

كَيْفَ تَكُونُ خَطِيباً مَوْثِراً

" خِبرَةُ عِشْرِينَ عَاماً بَيْنَ يَدَيْكَ "



١ ما هي الخطابة؟

٢ من هو الخطيب؟

٣ ماذا عن الخطبة؟

٤ الجمهور
ما له وما عليه؟

٥ علاقة
السُّلْطَة بِالْمَنْبِرِ

بقلم

شادي مروان الدُّرَّة

كَيْفَ تَكُونُ خَطِيْبًا مَوْثِرًا ؟

" خِبْرَةُ عِشْرِينَ عَامًا بَيْنَ يَدَيْكَ "

بقلم

شادي مروان الدرّة

إِهْدَاءٌ

إلى مقامِ الذي سعد - أولَ ما سعد - على الصِّفا فأعلنها
مدويةً

﴿إني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد﴾^١

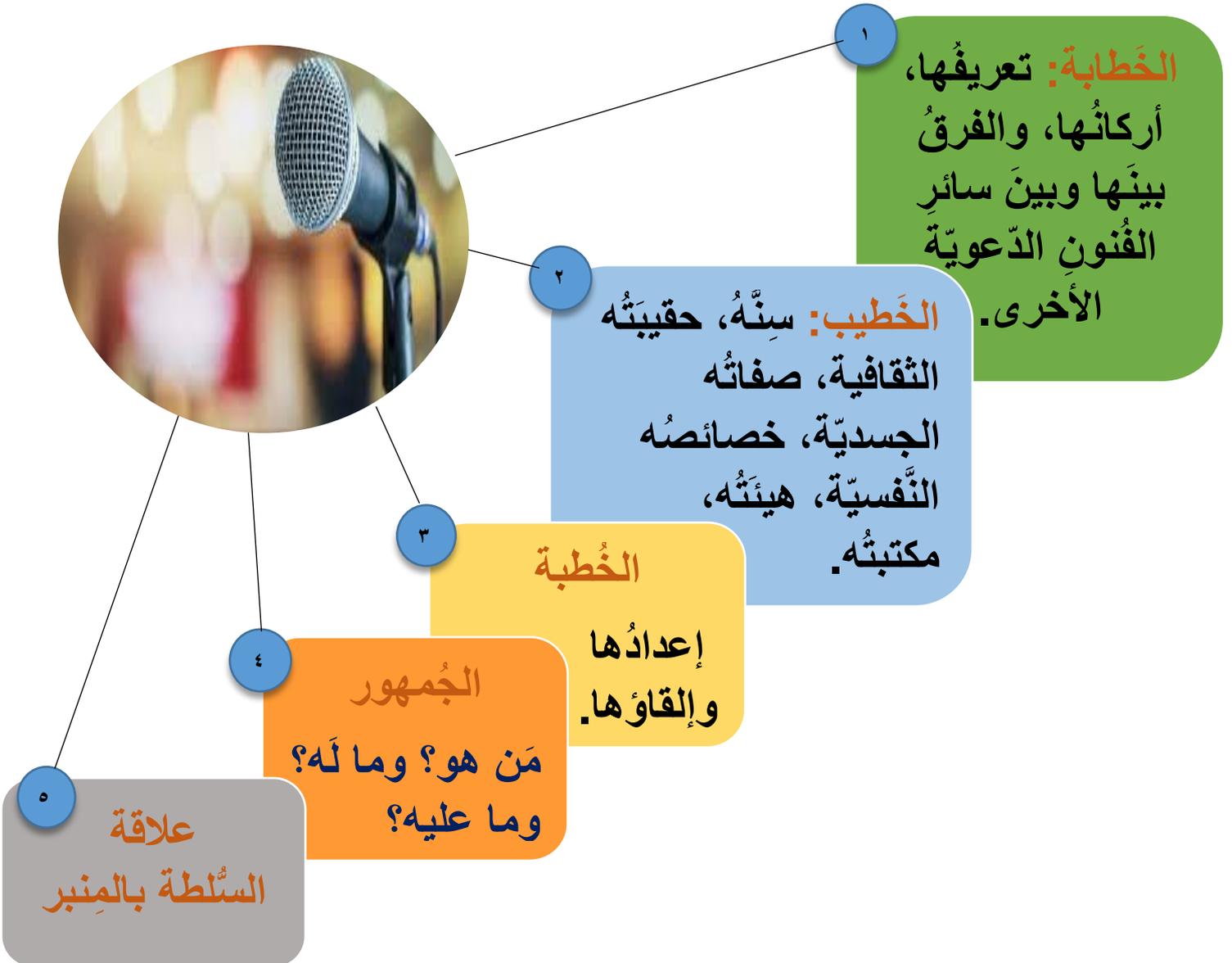
سيد الخطباء

سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم

^١ - حديث الصِّفا رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٨٠١) في كتاب التفسير، باب: قوله: " إن هو إلا نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد " عن ابن عباس.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تُطالَعُ في هذا الكتابِ بَعْدَ المُقَدِّمَةِ والتَّقْدِيمِ:



المُقَدِّمَة

مُقدِّمةُ هذا الكتاب

الحمدُ لله الَّذي خَلَقَ الإنسانَ، وَعَلَّمَهُ البَيَانَ.

والصَّلَاةُ والسَّلَامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الخُطَبَاءِ الَّذي لَمْ
ولن تَعْرِفَ المنابرُ والمحافلُ خطيباً مِثْلَهُ صِدْقاً وإِخْلَاصاً، وفَصَاحَةً وبيَاناً،
وتأثيراً وإقناعاً ...

وقُلْ لي بِرَبِّكَ أَسْمِعْتِ بِخُطِيبٍ في الأَرْضِ، مُذْ كَانَتْ
الأَرْضُ، حَنْ مَنبَرُهُ - إِذْ تَرَكَهُ إِلى غَيْرِهِ - إِليه؟^٢
صلواتُ رَبِّي وسلامُهُ عَلَيهِ، ما اعْتَلَّتِ المَنابرُ الخُطَبَاءِ،
وَدَعَتْ إِلى توحيدِ رَبِّ الأَرْضِ والسَّمَاءِ، وعلى آلِهِ الأَتَقِيَاءِ،
وأصحابِهِ العُظَمَاءِ الفُصَحَاءِ البُلَغَاءِ.

أَمَّا بَعْدُ

فإنَّ كتابنا هذا بجزأيه: الأول - وهو هذا - والثاني وجعلتُ عنوانه:

" الخُطابةُ في الزَّمنِ الصَّعبِ "

لَهُوَ طِرَازٌ جَدِيدٌ كَلَّ الجِدَّةَ، مُخْتَلِفٌ كَلَّ الاختِلافِ عن جميعِ الكُتُبِ الَّتِي
أَخَذتْ على عاتِقِها مُعالِجةً فَنِّ الخُطابةِ.

فليس كتابنا هذا دليلاً فقهيّاً للخُطيبِ، وقد أفرَدتُ لهذا الغَرَضِ كتاباً خاصّاً
كما أَنَّهُ ليسَ ديواناً جَمَعَ فيه مؤلِّفُهُ الخُطَبَ المَشهُورَةَ لِخُطَبَاءِ
الإسلامِ والجاهليَّةِ، وفي النِّيَّةِ أَنْ أُسوقَ أبرزَ الخُطَبِ، وأحلَّها لِتكونَ دُرُوساً
عمليَّةً للخُطيبِ تُعينُهُ في إعدادِ الخُطَبِ الناجحةِ.

٢ - حديثٌ حنين المنبر رواه البخاري برقم (٩١٨) في كتاب الجمعة، في باب: الخُطبةُ على
المنبر. عن جابر أَنَّهُ قالَ: كان جذع يقومُ إِليه النَّبِيُّ ﷺ فلما وُضِعَ له المنبرُ سَمِعنا للجذعِ مثل
أصواتِ العِشارِ حتَّى نزلَ النَّبِيُّ ﷺ فوضعَ يَدَهُ عليه " وفي رواية أُخرى برقم (٣٢٨٥) " فوضعَ
يَدَهُ عَلَيْها فسكتَ".

قال ابن حجر (٣٢٧ / ٣) العِشار: جمعُ عُشراء وهي النَّاقَةُ الحامل.
وقال أيضاً (٣٩٠ / ١٠) ووقعَ في رواية عبد الواحد بن أيمن " فصاحت النَّخلَةُ صياحَ الصَّبِيِّ "
اهـ.

وليس هو بكتابٍ تَرَجَمَ فِيهِ جَامِعُهُ لِلخُطَبَاءِ المَشهورِينَ زَمَنَ الجَاهِلِيَّةِ
والإسلام، ولم أرَ مَنْ اعتنى بهذا، وهو جَدِيرٌ بذلك، وليكن بِعنوان:

" طَبَقَاتُ الخُطَبَاءِ "

وهو أبعدُ ما يَكُونُ عن مصَنَّفٍ أنشأ فِيهِ صاحِبُهُ خُطَباً لِمُناسباتٍ شَتَّى لِتُتلى
على المنابر، إذ بئسَ الخَطِيبُ من يفعلُ ذلك!

إنه ليسَ شَيْئاً مِمَّا سَبَقَ، وإن كَانَ فِيهِ بَعْضٌ من كُلِّ ما سَبَقَ مِمَّا دَعَتْ إِلَيْهِ
حَاجَةُ الكِتَابِ.

إنه كِتَابٌ يُعَرَّفُ بِفَنِّ الخُطَابَةِ، وَيُبرِزُ تَميِزَهَا عن غَيْرِهَا من سائرِ الفنونِ
الدَّعْوِيَّةِ.

إنه كِتَابٌ يُعَرَّفُ بِالخُطِيبِ – الَّذِي يُعَدُّ الرُّكْنَ الأوَّلَ والأهمَّ من
أركانِ الخُطَابَةِ – مِنْ حيثُ سِنُّهُ، وثِقَاتُهُ المَطْلُوبُ مِنْهُ امتلاكُهَا، والامتلاءُ
مِنْهَا، وَيَذْكَرُ أهمَّ صفاتِهِ الجَسَدِيَّةِ والنَّفْسِيَّةِ ... الخ

إنه كِتَابٌ يُعَرَّفُ بِالخُطْبَةِ، وَهِيَ تِلْكَ الرِّسَالَةُ الَّتِي يُرِيدُ الخَطِيبُ إِيصَالَهَا
إِلَى مُسْتَمِعِيهِ – مِنْ حيثُ إِعْدَادُهَا وإِقَاؤُهَا.

إنه كِتَابٌ يُعَرَّفُ بِالجمُهورِ – وَهُوَ الرُّكْنُ الثَّالِثُ مِنْ أركانِ العَمَلِيَّةِ
الخُطَابِيَّةِ – مَنْ هُوَ؟ وَمَاذَا لَهُ؟ وَمَاذَا عَلَيْهِ؟

وأخيراً إنَّه كِتَابٌ يَكشِفُ عن طَبِيعَةِ العِلاقَةِ بَيْنَ السُّلْطَةِ والمَنبرِ، بَيْنَ الطُّغَاةِ
والدَّعَاةِ.

ولعلَّ أهمَّ ما فِي هَذَا الكِتَابِ – بِجُزْأِيهِ – هُوَ أَنَّهُ يَكشِفُ عن خَفَايَا وَخَبَايَا
هَذَا العَالَمِ، وَمِنْ هُنَا اسْتَقَى هَذَا الكِتَابُ اسْمَهُ.

ففيه الإجابة عن هذه التساؤلات الخطيرة:

- ١- لماذا يتفاضل الخطباء فيما بينهم؟ فخطيب يتربّع على عرش الخطابة، وآخر يفرّ الناس منه ويقولون ليته يسكت!
- ٢- لماذا تتفاضل خطب الخطيب البارز من الخطباء فيما بينها؟ فخطبة تحفظ، وأخرى تهمل وتلفظ وكتاهما لخطيب واحد!
- ٣- لماذا فقد المنبر - في عصرنا هذا - رُوحة وتأثيره على جمهور المسلمين؟ واختلت رسالته؟

وفيه أيضاً بعض من المواقف التي عاشها كاتب هذه السطور، طريفها وسخيفها، ومُرعبها أيضاً فإليك هذا - وفوق هذا - مجموعاً بين دفتي كتاب واحد، وبالله التوفيق.

كُتِبَ فِي

دمشق عاصمة بني أمية

١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التقديم

لقد دأب كثير من المؤلفين في زماننا هذا - قبل أن ينشروا مؤلفاتهم، ويدفعوا بها إلى قرائهم - دأبوا على عرضها على علماء ذاع صيتهم، ولمع نجمهم، وفشا بين العامة والخاصة اسمهم لا بهدف نقدها - فهذا آخر ما يريدون - بل بهدف أن يظفروا من أولئك المشهورين بتقريظ لكتابهم يُصدرون به كتابهم، ويؤيّنون باسم ذلك المقرّظ غلاف كتابهم، فيكون في ذلك دعاية للكاتب وللكتاب، يروج بها بين الناس!

وأذكر أنه ذات يوم جاءني شاب وقد ألفت كتاباً جمع فيه أمثال القرآن مع شرحها، وما زاد الشاب على التقاط ما جاء في تفسير القرآن للعلامة ابن كثير، و الإلتقان للعلامة السيوطي، مع سقط عند النقل، وخلل فيما نقل، و طلب إلي أن أنظر فيه، وأراجعه، وأقدم له، فاعتذرت إليه، ونصحتُه أن يقصد عالماً مشهوراً اسمه، معروفاً بين الناس قدره... ولكن الرجل أصرّ على مطلبه إصراراً فأخذت الكتاب، وراجعته، وأصلحت خلله، وقدمت له بمقدمة بينت فيها حقيقة هذا الكتاب، ودفعت بها إلى ذاك الشاب المؤلف! وكان أكبر ظني أنه سيلقي بمقدمتي وراءه ظهرياً ولكنه استبقاها كما هي!

إن التقديم للكتاب ما هو إلا شهادة له أو عليه، فليحذر الذين يُقدمون للكتب من غير أن يقرؤوها ويقفوا على ما بها من غثٍ وسمين، وليحذروا أن تكون شهادتهم له شهادة زور، يغم بها صاحب الكتاب والغرم عليهم! وفي تقديري أن خير من يُقدم للكتاب هو محتوى الكتاب نفسه.

وما أجمل قول القائل:

أنت قبل التقريظ من كمال الله فماذا يزيدك التقريظ

- ١ -

الخطابة

تعريفها

أركانها

ما يميزها عن غيرها



١- الخُطابة

تعريفها – أركانها

ما هي الخُطابة؟

١- الخُطابة عند أهل اللُغة:

الخُطابة عند أهل اللُغة مصدرٌ للفعلِ خَطَبَ.

قالَ صاحبُ القاموسِ المحيطِ: وَخَطَبَ الخاطِبُ على المِنبرِ خُطابةً – بالفتح - ... الخ وتنتمي هذه الكلمةُ وكذلك سائرُ أخواتِها إلى الجذرِ الثلاثيِّ / خَطَبَ /.

قالَ صاحبُ المقاييسِ (م/ خطب) الخاءُ والطَّاءُ والباءُ أصلان:

- أحدهما: الكلامُ بينَ اثنين، يُقالُ: خَاطَبَهُ يُخاطِبُهُ خِطاباً، وأُضِيفَ قائلاً: والخُطبةُ من ذلكَ، وهي الكلامُ المخطوبُ به.

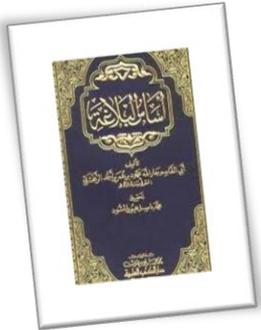
- والثَّاني: اختلافُ لونين، والأخْطَبُ: الجِمارُ الذي تلوهُ خُضرةٌ.

وقالَ الرَّمْخَشَرِيُّ في أساسِ البلاغةِ (م/ خَطَبَ) خَاطَبَهُ أحسنُ الخِطابِ، وهو المُواجَهَةُ بالكلامِ.

وفي المُعْجَمِ الوسيطِ: خَطَبَ النَّاسَ، وفيهم، وعلَيمُ خُطابةً، وخُطبةً: ألقى عليهم خُطبتَهُ اهـ

أقولُ: فالْحَاصِلُ أَنَّ الخُطابةَ – بفتحِ الخاءِ – تعني في اللُغةِ ما يقومُ به الخُطيبُ من التَّكَلُّمِ أمامَ غيرِهِ.

وباختصار: الخُطابةُ هي إلقاءُ الخُطبةِ.



٢-الخطابة كفن بشري دعوي:



يقول صاحب "خصائص الخطبة" الخطابة: علم معرفة طُرُق أداء الكلام، ونقل الأفكار إلى عقول السامعين، وأحاسيسهم بصورةٍ مخصوصةٍ، وصفاتٍ مُعيّنةٍ مع قصد التأثير والإقناع.

أركان الخطابة

للخطابة التي يُمارسها الخطباء من فوق المنابر، وفي المحافل الخاصة والعامّة ثلاثة أركانٍ أساسيةٍ وهي:

١-الخطيب ٢-الخطبة ٣-الجمهور

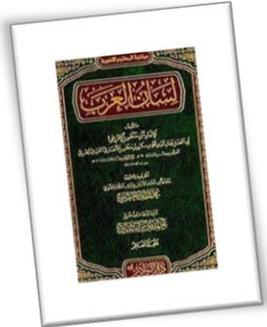
← الركن الأول من أركان العملية الخطابية (الخطيب)

١-الخطيب عند أهل اللغة:

الخطيبُ عند أهل اللغة صفةٌ مُشبهةٌ على وزن (فَعِيل) وهذا البناء يدلُّ على الثبوتِ ممّا هو خَلْقَةٌ أو مُكْتَسَبٌ مثَل (طَوِيل، وَقَصِير، وَخَطِيب، وَفَقِيه).

وهذا الوزنُ (فَعِيل) يُبْنَى من (فَعَلَ) وهذا الفعلُ يدلُّ على الطَّبائعِ وعلى التَّحَوُّلِ في الصِّفَاتِ ... فَمَعْنَى (خَطَبَ) صَارَ خَطِيباً أَي: مَارَسَ الخُطَابَةَ حَتَّى صَارَتِ الخُطَابَةُ سَجِيَةً لَهُ فِي حِينِ أَنْ مَعْنَى (خَطَبَ) ألقى خُطْبَةً ...

قال صاحبُ اللِّسَانِ (م/ خَطَبَ) رَجُلٌ خَطِيبٌ: حَسَنُ الخُطْبَةِ، وَجَمَعَ الخَطِيبِ خُطْبَاءً.



١- انظر "معاني الأبنية في العربية" لفاضل السامرائي ص/ ٩٤ فما بعدها.



وقال الزَّمَخْشَرِيُّ في أساسِ البلاغَةِ (م/ حَطَبٌ)

حَطَبَ الحَظِيبُ حُطْبَةً حَسَنَةً.

وخطبَ الخاطِبُ حُطْبَةً جَمِيلَةً.

أقولُ: وانظُر كيفَ بُنيَ المُتكلِّمُ على وزنِ (فَعِيل) في حينِ بُنيَ طَالِبُ الزَّواجِ على وزنِ (فَاعِل) وتأمَّل ما وُصِفَتْ به حُطْبَةُ الخَطيْبِ، وحُطْبَةُ الخاطِبِ.

والحاصلُ: أنَّ الخَطيْبَ هو المُتكلِّمُ فيما إذا كانَ حَسَنَ الحُطْبَةِ، وقد جاءَ ذلكَ من مُمارستِهِ لهذا الأمرِ حتَّى صارَ سَجِيَّةً له خُلِقَتْ معه، وخُلِقَ معها، وبهذا تَكونُ لُغَتُنا الخالِدةُ قد أسَقَطَتِ الكثيرَ ممَّنِ يعتَلونَ المنايِرَ، ويتصدَّرونَ في المحافلِ، ويدَّعونَ أنَّهم حُطباءٌ، وما هُم بحَسَنِي الحُطْبَةِ.

٢- الخَطيْبُ اصطِلاحاً:

والخَطيْبُ هو ذاكَ الَّذي يتكلَّمُ أَمامَ جُمهورِهِ بكلامٍ - منثورٍ - يمتازُ:

بوقْدَةِ العاطِفَةِ، ورِجاحةِ الفِكرِ، وسموِّ المَعاني، و حُسنِ السَّبكِ، و روعةِ البَيانِ، وصدقِ اللُّهجةِ، وجمالِ المَنطِقِ، وعمقِ التَّأثيرِ، وقوَّةِ الحُجَّةِ، بقصدِ إقناعِ جُمهورِهِ بقولِهِ، واستِمالاتِهِ إليه.

أقولُ: ومِنَ الجَدِيرِ بالذِّكْرِ أنَّ لِخَطيْبِ الجُمعَةِ والعَيدِينِ شُروطاً وقُيوداً وضوابطَ فِقهِيَّةٍ لا بُدَّ منها انظُرْها مُفصَّلَةً في كتابنا " دليلُ الخَطيْبِ الفِقهِيّ".

← الرُّكنُ الثَّاني من أركانِ العَمليَّةِ الخَطيْبِيَّةِ (الخُطْبَةُ):

١- الخُطْبَةُ عِنْدَ أَهلِ اللُّغَةِ:

يَسْتعمِلُ بعضُ اللُّغويينَ الخُطْبَةَ مصدرًا ل (حَطَبَ) وليست هي كذلك، بل هي اسمٌ للكلامِ المَخطوبِ به.

قال ثعلب تعليقاً على مَنْ جَعَلَ (الْخُطْبَةَ) مَصْدَرَ (خَطَبَ): لا أدري كيف ذلك؟ إلا أن يكونَ وَضَعَ الاسمَ مَوْضِعَ المصدرِ اهـ

والمعنى أنهم أطلقوا المَصْدَرَ و أرادوا اسمَ المفعولِ مِثْلَ (صيد) مُراداً به المَصِيدِ.

قال صاحبُ المقاييس (م/ خَطَبَ) الخُطْبَةُ: هي الكلامُ المَخْطُوبُ به.

ونقلَ صاحبُ اللِّسانِ عن أبي إسحاقَ قولَه: إِنَّ الخُطْبَةَ عند العربِ الكلامُ المنثورُ المسجوعُ.

هذا معناها.

وأما عن ضَبِطِها فجاءَ في الصِّحاحِ (م/ خَطَبَ) خَطَبْتُ على المِنْبَرِ خُطْبَةً - بالضَّمِّ - وخَطَبْتُ المَرَأَةَ خِطْبَةً - بالكسْرِ اهـ.

و كُنْتُ أسمعُ أشياخنا يقولونَ: الخُطْبَةُ بالضَّمِّ لا للضَّمِّ.

أقولُ: والحاصلُ: أَنَّ الخُطْبَةَ - بضَمِّ الخاءِ - هي الكلامُ الَّذي يقولُهُ الخَطِيبُ أمامَ غيرِهِ ، ويُفهِمُ من كلامِ أبي إسحاقَ الَّذي ساقَهُ صاحبُ اللِّسانِ أَنَّها لا بُدَّ أن تكونَ على وَصْفِ خاصٍّ مؤثِّرِ.

٢- الخُطْبَةُ اصطلاحاً:

قال صاحبُ القاموسِ الفقهِيِّ (١ / ١١٨) الخُطْبَةُ: هي الكلامُ

المنثورُ الَّذي يَخْطُبُ به متكلِّمٌ فَصِيحٌ جَمَعاً من النَّاسِ لإقناعِهِم.

وقال المَكْتَبِيُّ : هي كلامٌ منثورٌ يمتازُ بوقْدَةِ العاطِفَةِ، و رِجَاحَةِ الفِكرِ، و سُمُوِّ المَعاني ، و حُسْنِ السَّبْكِ، و رُوعَةِ البِيانِ، و صِدْقِ اللِّهْجَةِ ، و جَمالِ المَنْطِقِ، و عُمقِ التَّأثيرِ، و قوَّةِ الحُجَّةِ، يَتوجَّهُ به المُتكلِّمُ إلى الجُمهورِ المُستَمعِ له قاصداً إقناعَهُ بقولِهِ، واستمالَتَهُ إليه.

أقولُ: ولِخُطْبَةِ الجُمعةِ والعِيدَيْنِ شُرُوطٌ وقيودٌ وضوابطٌ فقهِيَّةٌ لا بُدَّ منها حتَّى تكونَ مُجزئةً شرعاً راجع فيها كتابنا " دليلُ الخَطِيبِ الفقهِيِّ "

← الركن الثالث من أركان العملية الخطابية (الجمهور):

١- الجمهور عند أهل اللغة:



جاء في المعجم الوسيط : الجمهور من كل شيءٍ
مُعْظَمُهُ، وَمِنَ الرَّمْلِ وَنَحْوَهُ مَا تَرَكَمْ ، وَ مِنَ النَّاسِ جُلَّهُم
(ج) جماهير، وجماهيرُ الناسِ أشرفُهُم.

٢- الجمهور اصطلاحاً:



لا يَخْرُجُ المعنى الاصطلاحى عن المعنى اللغوي بشكلٍ

عام

فالجمهور: هُمُ الأشخاصُ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ، الكِبَارِ
والصِّغارِ، المُتعلِّمِينَ والأُمِّيِّينَ... الَّذِينَ يَلْتَقُونَ حَوْلَ الخُطيبِ
خُطيبِ المنابرِ والمَحافلِ لاستِماعِ كَلِمَتِهِ.

أقول: وللجمهور الحاضرين لخطبة الجمعة والعيدين شروطٌ وقيودٌ وضوابطٌ
شرعيةٌ ذكرتها في كتابي " دليلُ الخُطيبِ الفِقهِيِّ " .

٢- الخُطابةُ والفنونُ الدَّعويَّةُ الأُخرى

اضطَّرتني الظُّروفُ - ولحينِ من الزَّمانِ - لحضورِ صلاةِ الجُمعةِ عندَ خطيبٍ لا يملكُ أيًّا من مؤهَّلاتِ الخطيبِ!

فلا هو يُحسنُ اختيارَ الموضوعِ!

وإن هو أحسنه أساءَ في تحضيره وترتيب أفكاره.

وإن هو أحسنَ في هذا وذاك لم يُحسنِ في إلقائه على النَّاسِ فلا إمتاعٌ ولا إقناع!

وهل الخُطابةُ شيءٌ غيرُ الإعدادِ والإلقاءِ؟

وهو فوق ذلك مقلدٌ سيءٌ لأحدِ الخُطباءِ المشهورينَ من أهلِ مصرِ

وبينه وبين قواعِدِ العربيَّةِ نحوها وصرفها خصومةٌ شديدةٌ، وعداوةٌ بينةٌ، ومما زاد الأمرَ سوءاً - فوق ما به من سوءٍ - أنه مصابٌ بأفةٍ لسانيةٍ عندَ نُطقه ببعضِ الحروفِ!

ولقد كنتُ أشعرُ وأنا بينَ يديه بأنِّي بينَ يدي جلاذٍ يجلدني، لا بينَ يدي خطيبٍ ينصحنِي ويُرشِدُنِي ومعَ هذا كلِّه فلمُ أكاشفه يوماً بشيءٍ ممَّا حاك في نفسي، لِعلمي بأنَّ كثيراً - ولا أقولُ كلُّهم - من الخُطباءِ والدُّعاةِ لا يقبلون النِّصيحةَ، حتَّى بلغ الأمرُ ببعضهم أنه (بهدل) من رده عندما أخطأ وهو يقرأ في الصَّلَاةِ! ولِعلمي أيضاً بأنَّ ما سأطُلبُه منه فوق طاقته، ولكلِّ طاقته!

ولأمرٍ يريدُه اللهُ حدَّثَ ما لم يكنُ بالحُسبانِ، فذاتِ جُمعةٍ من تلكِ الجُمعِ الرهيبةِ وبعدَ انتهاءِ ذلكِ الخطيبِ التَّعيسِ من خُطبته، وصلاته تعالتِ الأصواتُ - فجأةً - في المَسجدِ، فنظرتُ فإذا ذلكِ الخطيبِ، وشابٌّ - هو إمامُ ذلكِ المَسجدِ وكانَ على عكسِ ذلكِ الخطيبِ - يُجادله ويُعاتبه على سوءِ خُطبته، وذلكِ الخطيبِ ما يفتأُ يُدافعُ عن نفسه ويدفعُ عنها ويبريئُ ساحتها، على أنْ دفاعه عن نفسه وعن خُطبته جاءَ كخُطبته على منبره!

رأيتُ ذلكَ المشهدَ فسرنِي ما رأيتُ غيرَ أيِّ لم أتدخُلْ بلُ هممتُ بالانصرافِ، غيرَ أنْ ذلكِ الشابِّ المُجادلِ دَعاني - وكانَ بيننا نوعٌ معرفةٍ - وأقسمَ عليَّ أنْ أقولَ رأيي بهذا الخطيبِ.



وبالله ووالله وتالله لقد كان ذلك الموقف مُحرِجاً جداً ففي بلادنا الكبيرة،
ألفنا المواربة، وأنفنا من المكاشفة والمصارحة، وعدونا من ينصحننا، وحببنا
من يمدحننا ... ولكن الرجل أقسم عليّ، ووافق ما قاله ما في نفسي فصارحته
وكان ممّا قلته له:

اعلم يا أخي أن الدين النصيحة – كما يقول النبي ﷺ، واعلم أنك لا تصلح
أن تكون خطيباً أبداً، فلا أنت تحسن اختيار موضوعك، ولا أنت تحسن
عرضه على الناس، وهل الخطبة الناجحة سوى إعداد ممتاز، وإلقاء ممتاز؟
وأنت فوق ذلك ضعيف في العربية لا تكاد تحسن ضبط الكلمات، ولا تركيب
الجمل، وذكركه بإحدى خطبه العجبية وذلك يوم وقف ينصح الناس بحفظ
النسب النبوي الشريف من لدن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحتى
عدنان ثم سرده على مسامعهم من ورقة ولم يكذ يصب في ضبط اسم واحد
منهم.

ونصحته بأن يعيد تأهيل نفسه، وأن يحسن اختيار المواضيع، ويتدرب
على إلقائها وإلا فليدع المنبر لمن هو أولى به منه، وأنفع للمسلمين، فحرك
رأسه، ووعد بإصلاح نفسه، غير أنه لا أصلح نفسه، ولا ترك المنبر لغيره!
ولعمري: إن كان الخطباء والدعاة – أكثرهم ولا أقول كلهم – لا يستمعون
إلى النصح ولا يأخذون به، فكيف يتوقعون من الناس أن يصغوا إلى
نصائحهم ويأخذوا بها؟

وكان عندي صديق حسن التلاوة – على إطالة فيه عندما يؤم الناس وهي
خلاف السنة – كُلف بالخطابة حيناً من الزمان فخطب فاجتمع في خطبته
من السوء ما تفرق في خطب غيره، وزاد على ذلك بأنه من هواة الإطالة
في كل شيء إلى حد الإملال.

ولما صارحناء برأينا فيه – عندما طلب ذلك منا – وقلنا له ما قلنا لذلك
الخطيب التّعس ابتسم ابتسامة المتكبر، ومضى على أمره وظل كذلك حتى
عزل عن الخطابة والإمامة فالذي لا يُغيّر نفسه فمن (جدير) بأن يُغيّر.

١- حديث " الدين النصيحة" أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن تميم الداري
(٩٥) أن النبي ﷺ قال " الدين النصيحة " قلنا: لمن؟ قال: لله وكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين
وعامتهم" وقد شرحه النووي شرحاً عظيماً نقله عنه العلامة ابن حجر فطالعه عنده.

الفنون الدعوية الأخرى:

إنَّ الدَّعوةَ إلى الله عزَّ وجلَّ والتَّعريفَ بهِ وبدينه الإسلامِ عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً ... ليستُ جِكرًا على الخُطباءِ بل دائرتُها أوسعُ من ذلك، ورجالُها أكثرُ من ذلك فهي تشمل:

١-التَّدریسَ الدِّینیَّ.

٢-والوعظَ والإرشادَ.

٣-والتَّالیفَ والتَّحقیقَ.

٤-والدَّعوةَ بالحالِ.

التَّدریسُ من الفنونِ الدَّعویَّة:



إنَّ التَّدریسَ للعلومِ الشرعیَّةِ كالتَّجویدِ والتَّفسیرِ، والفقهِ وأصوله، والحديثِ وعلومه، والسيرة النبویَّة، والتَّاریخِ ... تُعدُّ بلا شكَّ من أبرزِ الفنونِ الدَّعویَّةِ فمِنَ خلالها يتعرَّفُ النَّاسُ على تفاصيلِ دينهم، بعدَ أن تتناولَ الخطباءُ خطباءُ المنابرِ والمحافلِ تلكَ الأمورَ بشيءٍ من الإيجازِ والاختصارِ فلكلِّ مقامٍ مقالُه.

وإني لأحبُّ أن ألفتَ نظَرَ الدُّعاةِ من المُدرِّسينَ في المساجدِ والمدارسِ والمعاهدِ والجامعاتِ إلى أمورٍ:

١-أن لا يقتصرَ المُدرِّسونَ على علومٍ معيَّنة، أو أبوابٍ محدَّدةٍ: بل لا بُدَّ من تدریسِ جميعِ العلومِ، ولا بدَّ من فتحِ جميعِ الأبوابِ من كلِّ علمٍ من العلومِ.

النَّصِيبَ الْأَكْبَرَ مِنَ الدُّرُوسِ، فَأَيْنَ بَاقِي الفُنُونِ؟ وَأَيْنَ بَاقِي الْأَبْوَابِ مِنَ الفِقْهِ
مثلاً؟

فأنا لا أذكرُ أنني حَضَرْتُ يوماً درساً عن الجهادِ، أو النِّظامِ الاقتصاديِّ في الإسلامِ، أو النِّظامِ السياسيِّ ... وقد أدَّى هذا - كما نرى - إلى جَهْلِ جُمُهورِ المُسلمينَ بهذه المَلَفَّاتِ الحَسَّاسَةِ كما وأصابهم المَلَلُ من تلكَ المَلَفَّاتِ المَطْرُوحَةِ بِشكْلِ دائِمٍ؛ إذ كُلمَا أرادَ داعيةً أن يُدرِّسَ بدأً بالفِقْهِ من كتابِ المِياهِ وآدابِ الاستِنجاءِ، أو بدأً بتدريسِ السِّيرةِ النَّبَوِيَّةِ!

٢- ضرورةُ تطويرِ أسلوبِ التَّدريسِ: وذلك بالاستعانةِ بوسائلِ الإيضاحِ المُعاصرةِ كالصُّورِ، ومقاطعِ الفيديو، وقد صارتَ مُتاحةً للجميعِ وسهولةً التَّحضيرِ والعرضِ، ويُلاحَظُ أنَّنا ندعو إلى التَّجديدِ في وسائلِ العَرَضِ فقط.

٣- ضرورةُ نشرِ الدُّروسِ عبرَ وسائلِ النُّشرِ المُعاصرةِ: فالجُمُهورُ اليومَ لم يَعدَ ذاكَ الجُمُهورَ المُتواضِعَ الَّذِي يَحْضُرُ في الجامعِ أو الجامعةِ بلُ تعَدَّاهُ إلى مِئاتِ الألوْفِ بل عشراتِ المِلايينِ ممَّن يُتَابِعُ وسائلَ البثِّ المُعاصرةِ.

٤- الاستِفادةُ مِنَ العُلومِ المُعاصرةِ: ولا سيَّما لِمُدْرَسي العَقيدةِ والفِقْهِ، ولقدُ جَرَّبْتُ هذا بِنَفْسي في مجالِ الفِقْهِ فدرَّستُ التَّشْريحَ ووظائفَ الأعضاءِ ورَبَطْتُ بَيْنَ ذلكَ وبَيْنَ الفِقْهِ فاستَفدْتُ وأفدْتُ كثيراً.

الوَعظُ والإرشادُ مِنَ الفُنُونِ الدَّعَوِيَّةِ:

٢

إنَّ الوَعظَ والإرشادَ مِنَ الفُنُونِ الدَّعَوِيَّةِ بلُ هو أَقْرَبُ الفُنُونِ الدَّعَوِيَّةِ إلى النَّاسِ إن وَجَدَ أَهلاً لَهُ.

نموذجٌ مِنَ أَهْلِ الوَعظِ والإرشادِ:



يَعُدُّ ابنُ الجوزيِّ مِنَ أعلامِ هذا الفَنِّ الدَّعَوِيِّ، ونجاحُهُ - كما قالَ مَنْ تَرَجَّمَ لَهُ - جاءَ مِنَ أَنَّهُ أَعَدَّ لَهُ العُدَّةَ مِنَ عُلومِ الشَّرِيعَةِ والأدبِ والتَّاريخِ فَحَفِظَ الكَثيرَ مِنَ الأحاديثِ والرِّقائِقِ والأخبارِ والحِكاياتِ والأشعارِ مَعَ إحاطَةٍ تامَّةٍ بأحوالِ عَصْرِهِ وشؤونِ مُجتمَعِهِ وأحوالِ النَّاسِ خاصَّتِهِم وَعامَّتِهِم.



يقول ابن جُبَيْر وهو شاهدُ عيانٍ في رحلته الشهيرة ص/ ١٧٦ " ثمَّ شاهدنا صَبِيحَةَ يَوْمِ السَّبْتِ مَجْلِسَ الشَّيْخِ الفقيهِ ابنِ عليِّ الجوزيِّ ... وَمِنْ أَبْهَرِ آيَاتِهِ أَنَّهُ يَصْعَدُ المِنْبَرَ وَيَبْتَدِئُ القُرْآنَ بِالقرآنِ وَعَدُّهُمْ نَيْفَ على العِشرينَ قارئاً ... فإذا فَرَّغُوا أَخَذَ هذا الإمامُ الغريبُ الشَّانِ في إيرادِ حُطْبَتِهِ عَجْلاً مُبتدِراً، وأفرغَ في أَصدافِ الأسماعِ من ألفاظِهِ دُرُراً، وانتظَمَ أوائلَ الآياتِ المقروءاتِ في أَثناءِ حُطْبَتِهِ فِقْراً، وأتى بها على نَسَقِ التِّلاوةِ لها لا مُقدِّماً ولا مُؤجِّراً، ثمَّ أكملَ الحُطْبَةَ على قافيةٍ آخرِ آيةٍ منها... ثمَّ إنَّهُ أتى بعدَ أن فَرغَ من حُطْبَتِهِ برقائقَ من الوَعظِ وآياتِ بَيِّناتٍ من الذِّكْرِ، طارت لها القلوبُ اشتياقاً، وذابتُ بها الأنفُسُ احتراقاً، إلى أن عَلا الضَّجيجُ، وتردَّدَ بشَهقاتِهِ النِّشيجُ، وأعلنَ التَّائبونَ بالصِّيَاحِ، وتساقطوا عليه تساقُطُ الفَراشِ على المِصباحِ، كُلُّ يُلقي ناصيتهَ بيده فيجْزُها، ويمسحُ على رأسِهِ داعياً له، ومنهُم مَن يُغشى عليه، فيُرفَعُ في الأذْرعِ إليه، فشاهدنا هَولاً يملأُ النُّفوسَ إنابةً وندامةً، ويذكِّرُها هَولَ يومِ القِيامةِ...



يقول ابن الجوزي في كتابه الفذ " صيد الخاطر ص/ ٥٥ " ما زالت نفسى تُتازر عني - بما يوجبهُ مجلسُ الوَعظِ وتوبةُ التَّائبينَ ورويةُ الزَّاهدينَ - إلى الزُّهدِ، والانتِطاقِ عن الخَلْقِ، والانفرادِ بالأخِرةِ، فتأمَلْتُ ذلكَ فَوَجَدْتُ عُمومَهُ من الشَّيطانِ، فإنَّ الشَّيطانَ يرى أَنَّهُ لا يخلو لي مَجْلِسٌ مِن خَلْقٍ لا يُحصونَ، يَبكونَ، ويندمونَ على ذُنوبِهِم، ويقومُ في الغالبِ جماعةً يتوبونَ، ويقطعونَ شُعورَ الصِّبَا، ولقد تابَ عندي في بعضِ الأيَّامِ أَكثَرُ من مئةٍ، وعُمومُهُم صبيانٌ، نشؤوا على اللَّعبِ والانهماكِ في المعاصي.

التأليف والتَّحقيقُ من الفنونِ الدَّعويَّةِ:

٣

إنَّ التَّأليفَ، وكذلك تحقيقُ ما أُلِّفَ و إخراجُه من ظُلُماتِ المكتباتِ والمتاحفِ إلى النَّاسِ ليقروهُ .

إنَّ هذا وذلكَ من الفنونِ الدَّعويَّةِ، وهو أبقاها وأدومُها، وأطولها عُمرًا، وأكثرُها نفعًا، وهل أهلُ عصرنا إلا عالَةٌ على العصورِ التي سَلَتْ وخَلَتْ؟

على أن التأليف والتَّحْقِيقَ يجبُ أن يُراعى فيه أمورٌ:

- ١- حاجة المجتمع الإسلامي المعاصرة.
- ٢- عدم إثارة الخلافات القديمة وعدم التطرُّق للخلافيات.
- ٣- تسهيل العبارة، وتوضيحها، والاستعانة بوسائل الإيضاح التي جاء بها عصرنا كالصور والمُصوِّرات.

٤ الدَّعوة إلى الله بالحال:

قد لا يكون المسلم خطيباً، أو فقيهاً، أو عالماً قادراً على التأليف ولكنه قد يكون من الدَّعاة وذلك من خلال تمسُّكه بتعاليم الإسلام في منزله ومع جيرانه وفي سوقه وفي مكان عمله ...
وبهذا نستطيع جميعنا أن نكون من الدَّعاة إلى الله عزَّ وجلَّ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

فصلت: ٣٣

٥ الدَّعاة والجنود:



ولستُ أجدُ للدَّعاة مثلاً أقربَ وأوضحَ من الجنودِ والمقاتلين، غايَتهم واحدةٌ وهي الدِّفاعُ عن الدِّيارِ والجمي، ولكن لكلِّ فرقةٍ منهم سلاحها وموقعها واختصاصها.

ولا يجوزُ في المعاركِ - ولا في العقولِ - أن يتخلَّى المقاتلُ عن موقعه ليشغلَ موقِعاً آخرَ وجبهةً أُخرى يقاتلُ فيها وهذه حماقةٌ كبرى منه فلا هو حمى موقعه إذ تركه، ولا هو أغنى في موقع غيره إذ شغله، فخيرنا الموقعين معاً.

فيا أيُّها الدَّعاةُ إلى الله، كلُّكم على خيرٍ، ولكن ليختَرُ كلُّ واحدٍ منكم الموقعَ الذي يناسبه ويتناسبُ مع قدراته ومؤهلاته حتَّى لا نُؤتى من قبله. وكلُّ خطيبٍ من طرازِ دينك الخطيبين يرتكبُ معصيتين:
أولاهما: أنه شغلَ موقعاً ليس أهلاً له.

وثانيتها: أنه حرَمَ النَّاسَ من أن ينتفعوا بمن هو أهلٌ لذلك المنبر. فلا هو نفع النَّاسَ، ولا هو ترك النَّاسَ لينتفعوا بغيره ولكن أكثرَ الواعظين لا يتَّعظون!

- ٢ -

الخطيبُ



سُنَّه

حَقِيَّتُهُ التَّقَافِيَّة

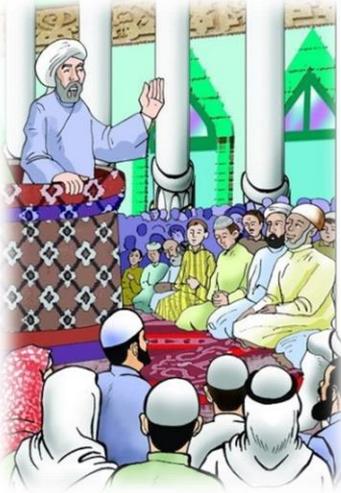
صِفَاتُهُ الجَسَدِيَّة

خِصَائِصُهُ النَّفْسِيَّة

هَيْئَتُهُ وَمَظْهَرُهُ

١- مَنْ هُوَ الْخَطِيبُ؟

إِنَّ الْخَطِيبَ هُوَ النَّاطِقُ الرَّسْمِيُّ - وَلَا أَقُولُ الْوَحِيدَ - بِاسْمِ الْإِسْلَامِ.
إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي امْتَلَأَ مِنَ الْإِسْلَامِ عِلْمًا بِهِ، وَحُبًّا لَهُ، وَإِخْلَاصًا... ثُمَّ قَامَ
يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ.



إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي يَقُومُ - فَوْقَ مَنبَرِهِ أَوْ فِي مَحْفَلِهِ -
قَاصِدًا رِضَا اللَّهِ وَنَفْعَ النَّاسِ لَا رِضَا الْحُكَّامِ الْمُتَأَلِّهِينَ
أَوْ رِضَا النَّاسِ أَوْ بَعْضِهِمْ مِنَ الْحَاضِرِينَ.
إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي يَعْرِفُ كَيْفَ يَصْطَادُ مَوْضُوعَهُ وَيُنَسِّقُ
أَفْكَارَهُ.

إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي يَتَفَنَّنُ فِي إِيْصَالِ أَفْكَارِهِ إِلَى جُمْهُورِهِ
مِنْ خِلَالِ مَنَافِذِ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ وَالرُّوحِ.

إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي يَنْسَى النَّاسَ فِي حَضْرَتِهِ أَنْفُسَهُمْ، فَأَبْصَارُهُمْ نَحْوَهُ مُشْدُودَةٌ،
وَأَسْمَاعُهُمْ إِلَيْهِ مُصْغِيَةٌ، يَحْفَظُونَ كَلَامَهُ، وَيَفْهَمُونَ مُرَادَهُ، وَيَعْمَلُونَ
بِوَصَايَاهُ.

إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي إِذَا مَا أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ كَانَ أَسْبَقَ النَّاسِ إِلَيْهِ!

إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي إِذَا مَا نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ كَانَ أْبَعَدَ النَّاسِ عَنْهُ!

إِنَّهُ ذَاكَ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَنبَرُهُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - شَاهِدًا لَهُ لَا شَاهِدًا
عَلَيْهِ.

إِنَّهُ بِإِيجَازٍ وَبِإِخْتِصَارٍ

إِنَّهُ

لِسَانُ الْإِسْلَامِ

سِينُ الْخَطِيبِ



٢- فِتْيَانُ الْمَنَابِرِ

إِنَّ الْخَطِيبَ - كما أسلفنا - هو النَّاطِقُ الرَّسْمِيُّ بِاسْمِ الْإِسْلَامِ

وهل يكونُ كذلكِ إلا من تشبَّعَ من علومِ الإسلامِ، وامتلاً قلبه حباً له، وإخلاصاً وحماسةً للدَّعوةِ إليه ثمَّ انطلقَ - من على منبره، أو في محافله - يدعو إليه على بصيرةٍ، ويُنافحُ عنه على علم!

وهل يكونُ كذلكِ إلا من كانَ جريءَ القلبِ، ثابتَ الفؤادِ، لا ترتعدُ فرائصه عندما يقفُ بينَ جمهوره خطيباً بهم، يأمرهم وينهاهم، ويبلغهم رسالةَ ربهم؟

وهل يكونُ كذلكِ إلا من فقهَ جمهوره المحتشدَ أمامه، المُلتفَّ حواليه، فأبصرَ بعين بصيرته مداركه العقلية، وحاجاته الحالية، وتطلعاته المستقبلية ...

وهل ... وهل وهل

وجليُّ أن مثل هذه المؤهلات، وتلك الخبرات بالإسلام والجمهور ... لا تتأتى لشابٍ غرٍّ مُبتدئٍ ما يزالُ في أرحامِ المعاهد، أو حديثِ الولادة العلمية؟

ولكنهم يستعجلون!

غيرَ أن الكثرةَ الكاثرةَ من الذين لا يزالون في أرحامِ معاهدهم، أو حديثي الولادة العلمية يتحرِّقون شوقاً لركوبِ المنابر، وتصدُرُ المحافلِ، قبلَ أن يتأهَّلوا لذلكِ ناسين أو متناسين ما قالتُه العربُ يوماً " قَبْلَ الرِّمَاءِ ثَمَلًا الْكِنَائِنُ " وما قرؤوه في كُتُبِ أصولِ الفقه " مَنْ اسْتَعْجَلَ بِالشَّيْءِ قَبْلَ أَوَانِهِ عُوِقِبَ بِحِرْمَانِهِ " وكم أُوتِيَ المنبرُ من أمثالِ هؤلاء؟



إنَّ اعتلاءَ المنابرِ، وتصدُرَ المحافلِ أصعبُ من رُكوبِ فرسٍ شموِسٍ، إن لم يكن راکبها ذا خبرةٍ ودرايةٍ انتهى به المطافُ سريعاً تحتَ أقدامها، ولعلُّه لا يُعاوِدُ رُكوبها كَرَّةً أُخرى كما حدَّثَ مع كثيرٍ من المُبتدئين ممَّن استعجلَ رُكوبِ المنابرِ، أو تصدُرَ المحافلِ فجنى على نفسه وعلى جمهوره معاً.

١- هو مثل يُضرب لضرورة الاستعداد للأمر قبل حلوله، والكنانة: الجعبة وهي وعاء السهم انظر " جمهرة الأمثال " ١٢٢ / ٢، و" مجمع الأمثال " ١٠١ / ٢.

ولكن ماذا لو؟ 🤔

ماذا لو أضطرَّ غيرُ متأهِّلٍ للخطابة أن يعلو منبراً، أو قُدِّمَ في محفلٍ ليتكلَّم؟

إذاً فليختَر من المواضيع أنسبها وأسهلها، وأسلسها، وأوضحها:

أنسبها لجمهوره

وأسهلها تحضيراً عليه

وأسلسها إلقاءً

وأوضحها فهماً

وليحدِّر كلَّ الحدِّر - وهو المُبتدئُ - من اختيارِ المواضيع الصَّعبة، أو الإطالة في المواضيع السَّهلة، فهما - أعني وُعورة الموضوع والإطالة - عدوَّ المُبتدئ اللُّدودان.

نموذجٌ مُدهشٌ:



كُفَّ خطيبٌ مُبتدئٌ بالخطابة في أحدِ المساجد بسبب غيابِ الخطيبِ لأداءِ فريضةِ الحجِّ للمرَّة العاشرةِ وإذا به - وهو المُبتدئُ - يُفاجئُ جمهوره بالحديثِ عن الربِّا من حيثُ تعريفه وأنواعه وخطره على صاحبه والمجتمعِ وحرمةُ التعاملِ مع البنوكِ الربويَّة ...

وجليٌّ أنَّ مثلَ هذا الموضوعِ يفتقرُ إلى خبرةٍ شرعيَّةٍ واقتصاديَّةٍ واسعةٍ، وهو - أيضاً - ليسَ من المواضيع المُحبَّبةِ لدى الحكوماتِ التي أقامتْ نظامها الاقتصاديَّ على أُسسٍ ربويَّةٍ!

ولئن تساءلتم عن ذاك الخطيبِ المُدهشِ؟ فالجوابُ إنَّه أنا!

٣-المُعَمَّرُونَ

قديماً قالوا:

لكلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فلا يُعَرِّ بِطَيْبِ العِيشِ إنسانٌ^١



ما أحسنَ أن يُغَادِرَ الخَطِيبُ الذي تَقَدَّمتْ سُنُّهُ، وانحنى ظَهْرُهُ، وخارت قُوَاهُ، وفَقَدَ حماسَتَهُ، واستنفذَ ذخيرَتَهُ، وقَدَّمَ أحسنَ ما عِنْدَهُ ... ما أحسنَ أن يُغَادِرَ مَنبَرَهُ، وينزلَ عن صَهْوَتِهِ، قبلَ أن يتبرَّمَ به النَّاسُ، ويَطْلُبُوهُ بذلكِ إن لم يكنْ بلسانِهِم فبِحَالِهِم، وذلكِ بانصرافِهِم عنه أو بالنومِ أثناءَ إلقائِهِ كَلِمَتِهِ!

وأحسنُ من هذا – لو استطاعَ – أن يتنازلَ عنه لِمَن يراهُ أهلاً له، لنألاً يعلوهُ مَن ليسَ هو بأهلٍ له.

على أن تَرَكَ المَنبَرَ لا يعدو تَرَكَ جبهةٍ إلى غيرها من الجَبَهَاتِ فهناكَ التَّأليفُ والتَّدرِيسُ والتَّدرِيبُ ...

إنَّ المَنبَرَ مُلْكٌ للأُمَّةِ، وليسَ حِكراً على هذا الخَطِيبِ أو ذاكِ، وبقاؤه عليه رَهْنٌ بقدرتِهِ على القيامِ بأعبائِهِ، وأداءِ أمانتِهِ، وما أتقلَّها مِن أمانةٍ!

نُمتَّ أولستَ يا أيُّها المُعَمَّرُ قد خَلَفْتَ مَن كان قبلكَ من الخُطباءِ الكُهولِ؟ فلمَ تستنْفِطُ أن يخلِفَكَ مَن يأتي بعدَكَ من الشَّبَابِ الفُحولِ؟

إنَّ كثيراً من الخُطباءِ يظنُّونَ أنَّ المَنابِرَ مُلْكٌ لهم و كُلاً طالَ وقوفُهُم عليها تأكَّدَ عندهم هذا الشُّعورُ وتقوى لديهم هذا الحقُّ! فنراهم يظنُّونَ به حتَّى لا يصرفَهُم عنه إلا موتٌ مُنهي، أو مَرَضٌ مُضني، أو خَرَفٌ مُنسي، أو عَزْلٌ مُخزي – لا قدرَ اللهُ-

بل إنَّهُم يظنُّونَ السُّوءَ بِمَن ينصَحُهُم ويرونَ فيه عدواً للدَّعوةِ وللدُّعاةِ!

١- هذا مطلع قصيدة للشاعر الأندلسي المشهور أبي البقاء صالح بن شريف الرندي يرثي الأندلس انظر " مجاني الأدب في حدائق العرب " ٢٤٥ / ٥ .

أَعْرِفُ حَاطِباً مَمَّنْ تَقَدَّمَتْ سِنُهُ، وَبَلَيْتْ أَفْكَارُهُ، وَاسْتَنْفَذَ مَا عِنْدَهُ، عَزَلَ
وَوَلَّى غَيْرُهُ، فَإِذَا بِهِ يَغْضَبُ غَضْبَةً، وَتَثُورُ ثَائِرَتُهُ، وَيَهْوِجُ وَيَمُوجُ، وَيَخْرُجُ
مَنْ أَدَبِ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ إِذَا بِهِ يُرْسِلُ النَّاسَ أَفْوَاجاً أَفْوَاجاً إِلَى هُنَا وَهَنَا
كَيْمَا يَعُودُوا بِهِ إِلَى مَنبَرِهِ الَّذِي أَقْصَى عَنْهُ!

وَلَكِنْ هَلْ هُوَ مَنبَرُهُ حَقّاً؟

تَنَاقُضُ!



وَلَا أُدْرِي كَيْفَ بَعْدَ هَذَا كَلِّهِ كَيْفَ لِأَوَّلِيكَ الدُّعَاةِ أَنْ يُحَارِبُوا مُحْتَكِرِي
السُّلْطَةِ لِأَنْفُسِهِمُ الَّذِينَ ضُنُّوا بِالسُّلْطَةِ وَمَنَعُوا تَدَاوُلَهَا إِنْ كَانُوا هُمْ ضُنُّوا
بِالْمَنبَرِ فَلَا يَتْرُكُونَهُ إِلَّا بِمَوْتٍ مُنْهِيٍّ أَوْ عَزَلٍ مُخْزِيٍّ.

وَتَذَكَّرُ يَا أَيُّهَا الْمُعَمَّرُ أَنَّ الْجِيلَ الَّذِي نَشَأْتَ فِيهِ وَخَاطَبْتَهُ وَخَطَبْتَ فِيهِ قَدْ
مَاتَ أَكْثَرُهُ، وَمَا تَرَاهُ حَوْلَكَ هُوَ جِيلٌ جَدِيدٌ مُخْتَلِفٌ فِي طَرِيقَةِ تَفْكِيرِهِ، وَنَظَرَتِهِ
لِلْحَيَاةِ فَهُوَ يَرَاكَ غَرِيباً عَنْهُ، كَمَا تَرَاهُ أَنْتَ غَرِيباً عَنْكَ.

وَتَذَكَّرُ يَا أَيُّهَا الْمُعَمَّرُ أَنَّ آخِرَ أَمْرِكَ يُنْسَى أَوَّلَهُ، وَأَنَّ ضَعْفَ نَهَائِكَ هُوَ
آخِرُ مَا سَيَذَكَّرُهُ النَّاسُ عَنْكَ، فَاتْرُكِ الْمَنبَرَ وَفِي النَّاسِ رَغْبَةٌ بِكَ، قَبْلَ أَنْ
تَتْرُكَهُ وَفِي النَّاسِ رَغْبَةٌ عَنْكَ، وَاللَّهُ يُجْزِيكَ الْخَيْرَ عَلَى مَا قَدَّمْتَ وَأَقَدْتَ.

مِنْ مَشْكَاتِ الْفَارُوقِ:

رَوَى ابْنُ كَثِيرٍ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ " الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ " ١٥٤ / ٧



هَذِهِ الْوَاقِعَةُ عَنْ عَمْرِ قَال " لَمَّا فَرَعَ عَمْرٌ مِنَ الْحَجِّ سَنَةَ
(٢٣) هـ وَنَزَلَ بِالْأَبْطَحِ دَعَا اللَّهَ وَشَكَا إِلَيْهِ أَنَّهُ كَبُرَتْ سِنُهُ،
وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتُهُ، وَخَافَ مِنَ التَّقْصِيرِ،
وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَقْبِضَهُ إِلَيْهِ ... فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الدُّعَاءُ
فَقَبِضَهُ إِلَيْهِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانُهُ عَلَيْهِ.

٤- مِيرَاتُ الْمَنَابِرِ

دَخَلْتُ - ذاتَ جُمُعَةٍ - مَسْجِداً من تِلْكَ الْمَسَاجِدِ الْكَبِيرَةِ الْجَامِعَةِ

وكان خطيبُ ذاكِ المسجدِ - رَحِمَهُ اللهُ - رجُلاً مَشهوراً بِالْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ وهو وإن لم يَكُنْ خطيباً مَفوّهاً فيكفِيهِ أَنَّهُ كانَ مَمَّنْ لا يُدَاهِنُ ولا يُمارِي ولا يَرْضَى أن يجعلَ من نفسه بُوقاً لِلطُّغَاةِ، أو نَعِلاً لِلظَّالِمِينَ، وهذا ما رَغِبَ النَّاسَ بِهِ، وجَعَلَ قُلُوبَهُم تَنجَذِبُ إِلَيْهِ.

ولَمَّا أن حَضَرَ وَقْتُ صُعودِ الخَطيْبِ المِنْبَرِ - والنَّاسُ وأنا مَعَهُم ننتظِرُ قُودَمَ ذاكِ الخَطيْبِ فإذا بِشابٍ لم يطرَّ شارِبُهُ^١ بَعْدُ يَدنو من المِنْبَرِ رُويداً رُويداً ثُمَّ يَنْسَلِقُ دَرَجَاتِهِ دَرَجَةً دَرَجَةً وَسَطَ اسْتِغرابِ النَّاسِ وَدهَشَتِهِمْ وَلِسانِ حَالِهِمْ يَقولُ: مَنْ هَذَا الشَّابُّ؟ وأين ذاكِ الشَّيْخُ؟

وما إن انتهى المُؤدِّنُ من الأذانِ الثَّاني حَتَّى قامَ ذاكِ الشَّابُّ وَيَدُهُ تَرْتَجِفُ وهو يَحْمِلُ مَجْموعَةً من الأوراقِ فيها خُطبةٌ كُتِبَتْ لَهُ، ولم يَكْتُبها هوَ بِنفسِهِ وبدأ بِقراءَتِها على جُموعِ النَّاسِ بِلُغَةٍ لا شَرِيقِيَّةً ولا غَرِيبِيَّةً، ولم يَرْفَعِ رأسَهُ من تِلْكَ الأوراقِ طَيِّلةَ الخُطبةِ الأولى ثُمَّ جَلَسَ.

ولَمَّا قامَ لِلخُطبةِ الثَّانيةِ ازدادَ الأمرُ سَوءاً فَمَا إن شَرَعَ بالدُّعاءِ حَتَّى جَعَلَ عَرَفَهُ يَتَصَبَّبُ، وَلِسانُهُ يَتَلَعَثُ، فَقُلْتُ لِيَتَه كَتَبَ الدُّعاءَ أَيضاً إِذاً لأَراحنا و نَفْسَهُ من ذاكِ العِناءِ!

ولَمَّا وَقَفَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ لَمْ تَكُنْ قِراءَتُهُ بأَحْسَنَ حالاً مِنْ خُطبَتِهِ!

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لا شَكَّ أَنَّ الشَّيْخَ مَعذورٌ وَلَكِنْ أَلَمْ يَجِدْ سِوَى هَذَا الفَتَى التَّعَسَّ الغَرَّ لِيَجْعَلَهُ يَقومُ مَقامَهُ؟

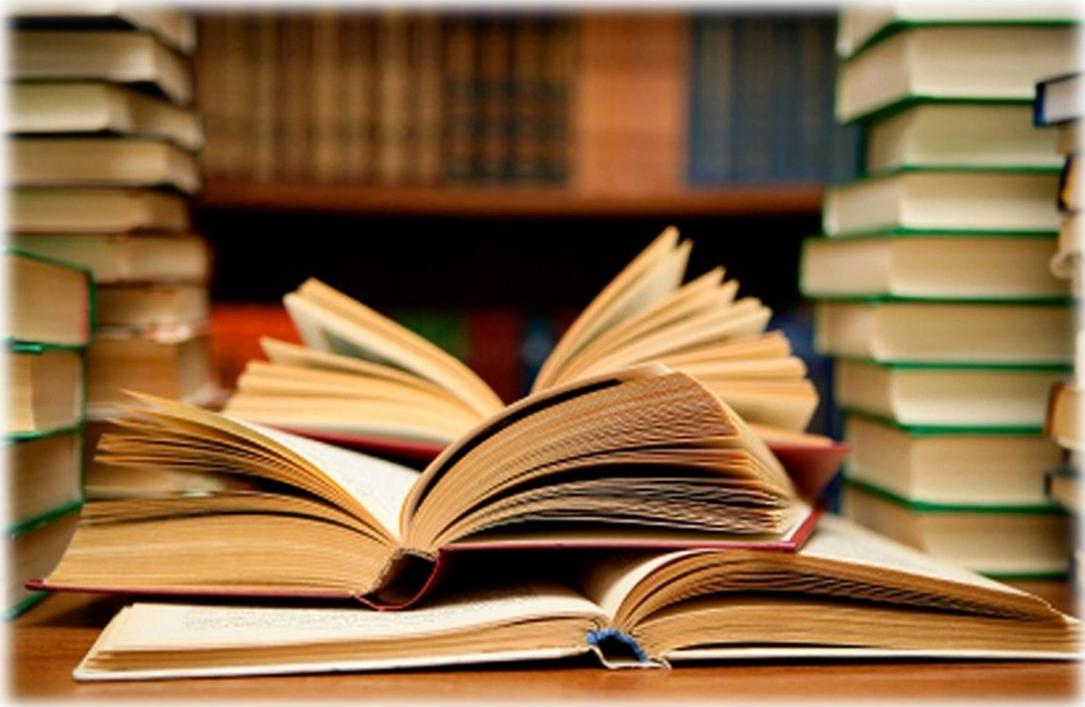
ثُمَّ عَلِمْتُ فِيمَا بَعْدَ أَنَّهُ ابْنُهُ!

إنَّ المَنابِرَ لَيْسَتْ كَالْمَنازِلِ وَالْمَتاجِرِ وَالسَّيَّاراتِ ... نَرِثُها عن آبائنا ثُمَّ نورِثُها لأَبنائنا!

^١ - قال الزمخشري في أساس البلاغة (م/ طرّ) ومن المجاز: طرّ الشاربُ والشعرُ والنَّبات ... ومعناه شقَّ الجلدَ والأرضَ ... وهذا غلامٌ لم يطرَّ شارِبُهُ، وما عدا أن طرَّ شارِبَهُ، وغلامٌ طارَّ.

إِنَّ الْمَنَابِرَ مُلْكٌ لِلأُمَّةِ وَأُولَى النَّاسِ بِهَا أَجْدَرُ هُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِحَقِّهَا
وَلَئِن كَانَ مَا حَدَّثَ تِلْكَ الْجُمُعَةَ غَرِيباً فَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّ ذَاكَ الشَّابَّ اسْتَمَرَ
خَطِيباً عَلَى ذَاكَ الْمَنْبِرِ، وَمَا زَالَتْ خُطْبُهُ فِيمَا بَعْدَ كُخُطْبَتِهِ الأُولَى!!!

ثقافة الخطيب و زادُه العِلْمِيّ



٥- الخُطيبُ والقرآنُ العَظيم

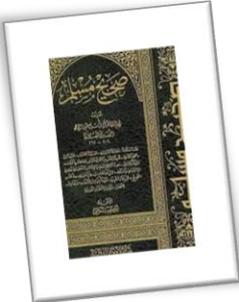
القرآنُ ومِنبرُ الرّسولِ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم:

- روى البخاريُّ في كتابِ بَدءِ الخَلقِ عن صفوان بن يعلى عن أبيه (٣٢٦٦) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ﴾ [الزخرف: ٧٧].



- رَوَى مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أُخْتِ لِعَمْرَةَ (٨٧٢) أَنَّهَا قَالَتْ:

" أَخَذْتُ قِ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ يَقْرَأُ بِهَا عَلَى الْمِنْبَرِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ "



- روى مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِمَارَةِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ (١٩١٧) أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]

أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ "



- روى أبو داود في كتابِ الصَّلَاةِ عن أبي سعيد (١٤١٠) أَنَّهُ قَالَ:

" قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ ﴿ص﴾ فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ ... الْحَدِيثُ "



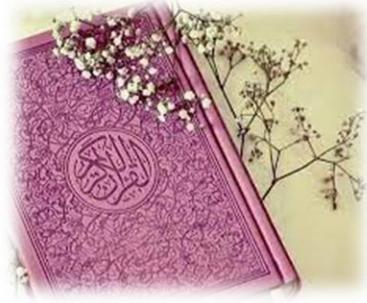
- روى أبو داود في كتاب الحدود عن عائشة (٤٤٧٤) أنها قالت:

" لَمَّا نَزَلَ عَذْرِي قَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمَنْبِرِ - فَذَكَرَ ذَلِكَ وَتَلَا - تَعْنِي - الْقُرْآنَ، فَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْمَنْبِرِ أَمَرَ بِالرَّجُلَيْنِ وَالْمَرْأَةِ فَضَرَبُوا حَدَّهُمْ ".

- روى النسائي في كتاب البيوع عن عائشة (٤٦٦٥) أنها قالت:

" لَمَّا نَزَلَتْ آيَاتُ الرَّبِّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَنْبِرِ فَتَلَاهُنَّ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ حَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ ".

القرآن وثقافة الدعاة إلى الله:



إنَّ القرآنَ العظيمَ هو المكوّنُ الأوّلُ والأكبرُ لثقافةِ الدُّعاةِ عُمومًا، والخُطباءِ مِنْهُمُ خُصوصًا، وهو أيضاً المَعِينُ الَّذِي لَا يَنْضَبُ، والشَّجَرَةُ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ ثَمَارُهَا، وَلَا يَزُولُ فِيئُهَا، وَهُوَ كَافٍ لِمَنْ عَكَفَ عَلَيْهِ، ففِيهِ نَبَأُ مَا كَانَ، وَخَبْرُ مَا سَيَكُونُ، وَتَعْلِيلُ مَا هُوَ كَائِنٌ ...

زاد الخطيب من القرآن العظيم:

هذا وعلى الخُطباءِ {خُطباءِ المنابرِ والمُحافلِ} أن يعتنوا بالقرآن ويهتموا به أكثرَ من غيرهم من سائرِ الدُّعاةِ ولكلِّ حاجتهِ إليه. ويتجلّى هذا الاهتمامُ في ثلاثةِ جوانبٍ أساسيةٍ لا يُستغنى عنها ولا يُغني بعضها عن بعضٍ وهي:

١- العنايةُ والاهتمامُ بتلاوتهِ وتجويدهِ

ولا عُذَرَ للخطيبِ - خطيبِ المنابرِ والمُحافلِ - في إهمالِ هذا الجانبِ أبداً فهو بحاجةٌ إليه عند تلاوتهِ لآياتِ القرآنِ أثناءَ إلقائهِ خُطْبَتَهُ أو كلمتهِ، وفي محرابهِ أيضاً، وكم يَقْبَحُ بالخطيبِ أن تكونَ تلاوتهُ للقرآنِ غيرَ مُجَوِّدَةٍ ولا مُرْتَلَّةٍ.

وأذكرُ أنه ذاتَ مرَّةٍ قَدِمَ أحدُ الدَّعاةِ! لِيُصَلِّيَ بالنَّاسِ صلاةَ العشاءِ، فلَمَّا أَمَّ النَّاسَ قرأَ قراءةً مُزريَّةً لا تجويدَ فيها ولا ترتيلَ فأزرى بنفسِهِ أيُّما إزراء.

حُسْنُ الصَّوْتِ وَحُسْنُ التَّلَاوَةِ:

إنَّ حُسْنَ الصَّوْتِ هبةٌ من الله، وما كان كذلك لا يُسألُ العبدُ عنه ولا يؤاخَذُ فيه، وأمَّا حُسْنُ التَّلَاوَةِ فمُكْتَسَبَةٌ فلذا يُسألُ العبدُ عنها ويُؤاخَذُ عليها، فعليه أن يَجِدَّ ويجتهدَ ليحصلَ ذلك.

يقول ابنُ الجَزْري (مُحمد بن محمد بن عليّ بن يوسف المتوفى: (٨٣٣ هـ)).



والأخذُ بالتَّجويدِ حَتْمٌ لا رِمَ
لأنَّهُ به الإلهُ أنزَلَ
وهو أيضاً جِلِيَّةُ التَّلَاوَةِ
وهو إعطاءُ الحُرُوفِ حَقَّهَا
وليسَ بينَهُ وبينَ تَرْكِهِ
مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ القرآنَ أَثِمَ
وهكذا منه إيلنا وصلا
وزينةُ الأداءِ والقِراءةِ
مِنْ صِفَةِ لها ومُستحقَّها
إلا رياضةُ امرئٍ بفِغِّهِ

قال لي أحدُهم مرَّةً: يا أستاذُ لماذا صوتُك ليسَ جميلاً، فقلتُ له: علمي أنكم طلبتمُ خُطيباً لمسجدِكُم يخطبُ في أحيائكم، لا قارئاً يقرأُ على أمواتِكُم!

٢- الاستكثار من محفوظاتهم منه - مع إتقان ذاك المحفوظ -

وما أجدَر أن يكون الخطيب حافظاً لكتاب الله من فاتحته وحتى خاتمته،
مُستحضراً لآياته التي تفي وتُغطي جميع المواضيع والمناسبات التي يمكن
للخطيب خطيب المنابر والمحافل أن يتطرق إليها.

آية أنقذت خطيباً أي خطيب من الحرج!



يروى القزويني في كتابه " التّووين في أخبار قزوين " (٤/ ١٨٩)
عن الخليفة الفدّ هارون الرّشيد أنّه حطّب يوماً على منبر أبيه
المهدي بالرّصافة وهو متألم من مرض كان به، والدُّباب يؤذيه،
فأرتج عليه في خطبته، فاستأنف كلاماً عقّد به الخطبة وقال: " يا
أيها النّاس انظروا إلى أجلكم منصباً، وأفضلكم أمّاً وأباً، وأحسنكم وجهاً،
وأفذكم أمراً، أدته دُبابة فلم يستطع لها دفعاً قال الله تعالى:

**﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۗ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا
يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ۗ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].**

٣- أن يتعمقوا في فهمه، ويغوصوا في أعماق معانيه:

غير مكتفين بلون واحد من ألوان تفسيره بل عليهم أن يعقدوا الصلّة معها
جميعاً ليحصلوا على الصّورة الكاملة لمعنى الآية.

فهنالك التفسير الأثري، ومن أبرز أعلامه العلامة ابن جرير الطبري، وابن
كثير.

وهناك التفسير الفقهي ومن أبرز أعلامه القرطبي، والجصاص الحنفي.
وهناك التفسير العلمي ومن أبرز أعلامه من المعاصرين الدكتور زغول
النّجار.

وهناك التفسير العقلي ومن أبرز أعلامه الفخر الرازي صاحب كتاب

" مفاتيح الغيب "

وهناك التفسير اللغوي والبلاغي ومن أبرز أعلامه الزمخشري ،ومن المعاصرين الدكتور فاضل السامرائي.

وهناك التفسير الأدبي وحسبنا منه كتاب الظلال لمؤلفه الشهيد السيد قطب رحمه الله.



وفي تقديري أنّ هذه التفسيرات لا يُغني بعضها عن بعض بل بعضها يُكمل بعضاً.

قرآن المنابر والمحافل:

إذا ما أراد الخطيب - خطيب المنابر والمحافل - أثناء تحضيره لخطبته أو لكلمته أن يستشهد بآية أو بأكثر من القرآن العظيم فعليه أن يُراعي الأمور الآتية:

١- أن يختار من الآيات ما يُناسب موضوعه مناسبة واضحة لا خفاء فيها ولا بُعد ولا غموض.

٢- أن يُتقن تلاوتها وحفظها إتقاناً تاماً، ولا أرى مانعاً أن يكتبها على

ورقة خاصة إن لم يكن حافظاً لها، أو خاف أن ينساها، وهذا وإن كان يُزري بالخطيب فهو أقل سوءاً من تخبطه عند تلاوتها وهو على منبره، أو في محفله..

٣- أن يُراجِعَ تفسِيرَها في مصادرِ التفسيرِ المُعتَبَرةِ غيرَ مُقتصرٍ على لونٍ واحدٍ من ألوانِ التفسيرِ، وليحدِرْ أن يُعَوَّلَ على فهمِهِ هُوَ أو فهمِ الجماهيرِ لها، ولعلَّه إن فعلَ ذلكَ وَضَعَهَا في غيرِ موضعِها أو استشهدَ بها على ما لا تصلحُ شاهدةٌ له، بل قد تكونُ شاهدةً عليه.



روى الترمذي في أبواب التفسير عن أبي عمران التُّجِيبِي (٢٩٧٢) أَنَّهُ قَالَ كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا لَنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُمْ أَوْ أَكْثَرَ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقَى بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ:

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُؤَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلِ، وَإِنَّمَا أَنْزَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ فِينَا -مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ- لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ - سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقْمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا:

{ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } [البقرة ١٩٥]

فكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحَهَا وَتَرْكَنَا الْغَزْوَ.

قال الترمذي في بيان درجة هذا الحديث: هذا حديث حسن صحيح غريب.



٤- أن يُفسِرَها لجمهوره بأسلوبٍ شائقٍ وجميلٍ ويحسُنُ به أن يستفيدَ من أسلوبِ وطريقةِ صاحبِ الظلالِ فطريقتهُ مُتميِزةٌ جداً ورائعةٌ ورائقةٌ وله لمساتٌ تمسُّ عصرنا وتتجاوبُ مع حاجاتِ أهله.

قصة فيها عبرة :



وساق القُرطبيُّ هذه القِصَّةَ فقالَ: كانَ للمأمونِ - وهو أميرٌ إذ ذاك - مجلسٌ نظَر، فدخلَ في جُملةِ النَّاسِ رجلٌ يهوديٌّ حَسَنُ الثَّوبِ، حَسَنُ الوَجْهِ، طَيِّبُ الرَّائِحَةِ، قالَ: فتكلَّم فأحسنَ الكلامَ والعِبارةَ، فقالَ له المأمونُ بعدَ أن تقوَّضَ المجلسَ: إسرائيلىُّ؟

قالَ: نعم

قالَ: أسلمَ حتَّى أفعلَ بِك وأصنع، ووعدته

فقالَ: ديني ودينُ أبائي وانصِرَفَ.

قالَ: فلمَّا كانَ بعدَ سنةٍ جاءنا مُسلمًا قالَ: فتكلَّم على الفقهِ فأحسنَ الكلامَ، فلمَّا تقوَّضَ المجلسُ دعاهُ المأمونُ وقالَ: ألسْتَ صاحبنا بالأمس؟

قالَ له: بلى.

قالَ: فما كانَ سببُ إسلامك؟

قالَ: انصرفتُ من حضرتك فأحببتُ أن أمتحنَ هذه الأديانَ ... فعمدْتُ إلى التَّوراةِ فكتبتُ ثلاثَ نُسخٍ فزدتُ فيها ونقصتُ وأدخلتها الكنيسةَ فاشتريتُ منِّي.

وعمدْتُ إلى الإنجيلِ فكتبتُ ثلاثَ نُسخٍ فزدتُ فيها ونقصتُ وأدخلتها البيعةَ فاشتريتُ منِّي.

وعمدْتُ إلى القرآنِ فعملتُ ثلاثَ نُسخٍ فزدتُ فيها ونقصتُ وأدخلتها الوراقينَ فتصفحوها فلمَّا أن وجدوا فيها الزيادةَ والنقصَ رموا بها فلم يشترروها فعلمتُ أن هذا كتابٌ محفوظٌ فكانَ هذا سببَ إسلامي.

قالَ يحيى بنُ أكتَم: فحججتُ تلكَ السنَّةَ فلقيتُ سُفيانَ بنَ عُيينةَ فذكرتُ له الخبرَ

فقالَ لي: مصداقُ هذا في كتابِ الله.

قالَ: قلتُ في أيِّ موضع؟

قالَ: في قولِ الله في التَّوراةِ والإنجيلِ :

﴿بما استحفظوا من كتابِ الله﴾ [المائدة: ٤٤]

فَجَعَلَ حَفِظَهُ إِلَيْهِمْ فَضَاعَ،

وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]
فَحِظَهُ اللَّهُ فَلَمْ يَضِغْ.

أقول: وبعدَ كلِّ ما سَبَقَ فَإِنَّ الخُطباءَ وسائِرَ الدُّعاةِ مِنَ المُدرِّسينَ والمؤلِّفينَ ... يَقَعُ على عاتِقِهِمَ مسؤوليَّةُ تصحيحِ التَّفاسيرِ الخاطِئَةِ للقرآنِ الكريمِ.

ولكنَّ الذي حدثَ أَنَّ بَعْضاً مِنْهُمَ تورَّطَ في إشاعةِ تفسيريٍّ مغلوطَةٍ، بَعْضُهُمَ عن جَهْلِ، وبَعْضُهُمَ عن عَمْدٍ وهذه نماذِجٌ من ذلك:

١- التَّلَاعِبُ بِآياتِ الجِهادِ:

إنَّ الجِهادَ هو دِرْعُ الأُمَّةِ الحِصينِ، ولم يَصِلْ حالُ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ إلى ما وصلَ إليه من المَذَلَّةِ والمَهانَةِ إِلَّا عندما أُغْمِدتْ سِيفُها، وَعَقِرتْ جِوادِها، وَمَنَحَتْ - لأعدائِها - أَكتافِها.

ولقد شَنَّ أعداءُ الأُمَّةِ وأتباعُهُمَ حَمَلَةً شَرِسَةً ضِدَّ الجِهادِ، و من آثارِ تلكَ الحَمَلَةِ أَنَّهُمَ قَصَرُوا الجِهادَ على صِدِّ العُدوانِ وَحَسَبُ - و لبيتِ المُسلمينَ اليومَ يدافعونَ عن بلادِهِمَ - وَعَطَّلُوا السَّببَ الثَّانِيَ أَلَا وهو القِتالُ لنشرِ الإسلامِ - بعدَ التَّبليغِ مِنَّا والرِّفْضِ مِنْهُمَ -

ولقد تأثَّرَ كَثِيرٌ مِنَ الخُطباءِ والمُتكلِّمينَ والدُّعاةِ عن طيبِ نِيَّةٍ، أو عن سوءِ نِيَّةٍ بتلكَ الدَّعاوى الَّتِي قَرَّمتْ من شأنِ الجِهادِ، وحصرتُهُ في صِدِّ العُدوانِ وقصرتُهُ عليه دونَ باقيِ الأسبابِ الأخرى، ولقد وَجَدَ هؤلاءُ المخدوعونَ أو المُخادعونَ في هذه الآيةِ حُجَّةً لهمَ وأعني قوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[البقرة: ١٩٠]

التفسير الحق لهذه الآية:



يقول العلامة ابن جرير (٣ / ٥٦١) اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية.

فقال بعضهم: هذه الآية هي أول آية نزلت في أمر المسلمين بقتال أهل الشرك، وقالوا: أمر فيها المسلمون بقتال من قاتلهم من المشركين، والكف عمّن كف عنهم، ثم نسخت ب " براءة ".
وقال آخرون: بل ذلك أمر من الله ذكره للمسلمين بقتال الكفار، لم ينسخ وإنما الاعتداء الذي نهاهم الله عنه هو نهيه عن قتل النساء والذراري قالوا: والنهي عن قتلهم ثابت حكمه اليوم.

قالوا: فلا شيء نسخ من حكم هذه الآية.
أقول: والذي يفهم من كلام ابن جرير أن هذه الآية إن كانت منسوخة فلا حجة فيها على قصر أسباب الجهاد في صدّ العدوان، ولئن لم تكن منسوخة - وهذا ما رجّحه ابن جرير - فإن معناها تحريم قتل من لا يُقاتل وليس لهذا المعنى صلة بأسباب القتال.



يقول الدكتور هيكل في كتابه الفذ: " الجهاد والقتال في السياسة الشرعية " (١ / ٨١٥) موضحاً أسباب القتال وأنها لا تقف عند صدّ العدوان فقط " إن الجهاد شرع أول ما شرع حرباً دفاعية ضدّ من يبدأ المسلمين بالاعتداء والقتال ... ثم جاء الإذن بأن يبدأ المسلمون الكفار بالقتال بعد تبليغهم الدعوة ورفضهم لها ولو لم يصدر من الكفار عدوان على المسلمين ...



يقول العلامة الجصاص (٣ / ١٩١) " ولا نعلم أحداً من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين، وإنما الخلاف في جواز ترك قتالهم لا في حظره، فقد حصل من الجميع الاتفاق على نسخ حظر القتال لمن كان وصفه ما ذكرنا ."

٢- التلاعب بآيات الربا:



إنَّ الرِّبَا من أكبر الكبائر، ولقد توعدَّ اللهُ مُرتكبيه بالحربِ التي لا هوادةَ فيها، ووسَّعَ الرَّسولُ ﷺ من دائرة اللعن لتتجاوزَ آخذه ومُعطيهِ إلى كُلِّ من له صلةٌ بتلك الجريمة النَّكراءِ، ولقد سبقَ القرآنُ إلى تحريمِ الرِّبَا كُلِّ من التَّوراةِ والإنجيلِ، فتحرِيمُ الرِّبَا ممَّا توافقت عليه الشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ جمعاءَ.

غيرَ أنَّ اليهودَ فتحوا بابَه فدخلَ فيه النَّصارى، ولم يلبثِ المسلمون أن تورَّطوا هم أيضاً فيه حتَّى إنَّ أغلبَ الحكوماتِ الإسلاميَّةِ اليوم بنت اقتصادها على النِّظامِ الرَّبوي.



وليس العَجَبُ من سُكوتِ أكثرِ العلماءِ على هذه الكبيرة بل إنَّ بعضهم سارَ في ركابِ مَنْ أحلَّ الرِّبَا فجعلَ يلوي بعضاً من النُّصوصِ القرآنيَّةِ لتشهدَ له زوراً على ما يُريدُ.

ولقد أكثرَ هؤلاء من الاستدلالِ بهذه الآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠]

فأوهَمُوا النَّاسَ أنَّ الرِّبَا إذا لم يكن أضْعَافاً مُضَاعَفَةً حلَّ أكله وساغ تعاطيه!

وهذا خلاف ما أجمعت عليه الأمة ولو أنهم طالعوا ما قاله علماء التفسير لانتهوا عما يقولون، وبئس ما يقولون.



يقول العلامة الرَّازي (١٠ / ٤٨) وقوله " لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً " لا دلالة فيه على إباحة الأكل عند زوال هذه الحالة.

ويقول العلامة الجصاص (٢ / ٣٢٤) وقوله تعالى:

﴿ لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠]

قيل: في معنى أضعافاً مضاعفةً وجهان:

أحدهما: المضاعفة بالتأجيل أجلاً بعد أجل، ولكلِّ أجلٍ قسطٌ من الزيادة على المال.

والثاني: ما يُضاعفون به أموالهم.

وفي هذا دلالة على أنَّ المخصوصَ بالذكر لا يدلُّ على أنَّ ما عداه بخلافه، لأنَّه لو كان كذلك لوجب أن يكون ذكرُ تحريم الربا أضعافاً مضاعفةً دلالةً على إباحته إذا لم يكن أضعافاً مضاعفةً.

فلما كان الربا محظوراً بهذه الصِّفة وبعدمها دلَّ ذلك على فسادِ قولهم في ذلك اهـ.

موقفٌ مُستغربٌ من بعضِ الخطباء!



كانتِ المصارفُ الربويَّةُ مُنفردةً في بلادنا ومُستأثرةً بالسَّاحةِ الاقتصاديَّةِ كلها ثمَّ بدأتِ المصارفُ الإسلاميَّةُ تدخلُ بلادنا رويداً رويداً، فما كان مِنِّي إلَّا أن خُطبتُ مُعلنًا عن دخولها ومُرَجِّباً بها وداعياً إلى التَّعاملِ معها ونبذ ما سواها.

والَّذِي فَاجَأَنِي هُوَ مَوْقِفُ بَعْضِ الْخُطَبَاءِ حَيْثُ بَدَّوْا يُشَكِّكُونَ وَيَغْمِزُونَ
بِتِلْكَ الْمَصَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا أَنْ حَاطَبْتُ وَقَلْتُ:

أوليسَ من العَجيبِ أَنَّ الكثيرَ من الَّذِينَ يُشَكِّكُونَ و يَغْمِزُونَ بِالْمَصَارِفِ
الْإِسْلَامِيَّةِ لم يُهَاجِمُوا الآنَ ولا فيما مَضَى البُنوكَ الرَّبَوِيَّةَ!

ولئنَ كان الشكُّ في هذه المَصَارِفِ ١٠٪ فإنَّ تلكَ حرامٌ ١٠٠٪ فلماذا
يسكتونَ عن الحرامِ الخالصِ، ويُلاحِقونَ ما فيه شكٌّ – كما يزعمونَ –
ولصالحِ مَنْ هُوَ لاءِ يَعْمَلُونَ!؟

إنَّه بلا شكِّ مَسَلِكٌ مُرِيبٌ ... إلى آخرِ ما قُلْتُهُ.

٣- إِبَاحَةُ الرِّدَّةِ:

الإسلامُ بعقيدتهِ وشريعتهِ ومَنظومتهِ الأخلاقيةِ لا يحتاجُ مثلهُ – ولا مثلاً
لهُ – إلى أن يُكرهَ أحدٌ على الدُّخولِ فيه، ويكفي الدُّعَاةَ أن يُحسِنُوا تَقْدِيمَهُ
للنَّاسِ فيقبلوا عليه زُرَافَاتٍ ووحداناً، ولكن من دَخَلَ في هذا الدِّينِ عن قَنَاعَةٍ
فلا يَجُوزُ له الخُرُوجُ عنه فإن فَعَلَ – واستنْتِيبَ ثمَّ لم يَنْبُ – فإنَّه يُقْتَلُ رِدَّةً،
ثم لا يُغسَلُ، ولا يُصَلَّى عليه، ولا يُدْفَنُ في مقابرِ المُسلمينَ، وهذا ممَّا لا
خِلافَ فيه بينَ أهلِ العِلْمِ.

رَوَى الشَّيْخَانِ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ عَنِ أَبِي مُوسَى (٧١٥٧) أَنَّ رَجُلًا أَسْلَمَ
ثُمَّ تَهَوَّدَ فَاتَى مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَهُوَ عِنْدَ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: مَا لِهَذَا؟

قَالَ: أَسْلَمَ ثُمَّ تَهَوَّدَ

قَالَ: " لا أَجْلِسُ حَتَّى أَقْتُلَهُ، قِضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ "

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: فَأَمَرَ بِهِ فُقِّتِلَ.

قال الإمام النَّووي (١٢ / ٢٠٨) فيه وُجوبُ قتلِ المرتدِّ، وقد أجمَعُوا على قتلِهِ اهـ.

و رَغْمُ وُضوحِ الأمرِ وُوقوعِ الإجماعِ عليه كما نَقَلَهُ الإمامُ النَّووي جاءَ في عصرنا مَنْ يُنارِغُ في ذلك، ويغالط في ذلك على المنابر وفي المحافلِ مستدلاً بقولِ اللهِ تعالى:

﴿وقلِ الحقُّ من ربِّكم فمن شاءَ فليؤمِنِ ومن شاءَ فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩]

يقولُ العلامَةُ القُرطبي (١٠ / ٣٩٣) ومعنى الآية: قُلْ يا مُحَمَّدُ لهؤلاءِ الذينَ أغفلنا قلوبَهُم، أيها النَّاسُ مِنْ ربِّكم الحقُّ فالِيه التَّوفيقُ والخِذلانُ، وبيدِهِ الهدى والضَّلالُ، يهْدِي مَنْ يشاءُ فيؤمِنُ، ويُضِلُّ مَنْ يشاءُ فيكفرُ ... فإن شِئْتُمْ فأمِنُوا، وإن شِئْتُمْ فاكفُرُوا وليسَ هذا بترخيصٍ وتخييرٍ بينَ الإيمانِ والكُفْرِ، وإِنما هو وَعِيدٌ وتهديدٌ، أي: إن كَفَرْتُمْ فقد أعدَّ لَكُم النَّارَ، وإن آمنْتُمْ فلَكُم الجنَّةُ ...

النَّهرُ الجاري:

هذا ويُمكنُ للخطيبِ أن يَجْعَلَ مِنَ القُرآنِ أو من بعضِ سورِهِ أو من بعضِ آياتِهِ أو من بعضِ مواضيعِهِ سِلْسِلَةً تجرِي على مَنبَرِهِ يتلو بعضها بعضاً كأنَّها دَفَقاتُ نَهرٍ عذبٍ.

غَيْرَ أنَّ هذا المَسْلَكَ وَعِرٌّ وصعبٌ وليسَ سَهلاً كما يَبْدُو، وأنصحُ للخطيبِ الذي يَجِدُ من نَه مَيْلاً نحوَ هذا النَّوعِ مِنَ الخُطْبِ أن يُطالِعَ خُطْبَ الشَّيخِ مُحَمَّدِ الغَزالي - رَجْمَهُ اللهُ - ليتعلَّمُ منه طَريقَتَهُ الفَدَّةَ في تفسِيرِ القُرآنِ على المَنبَرِ، وليحذَرُ أن يُعيدَ ما قالَهُ على مَنبَرِهِ.

القرآن على منابرنا اليوم!

إنه مما يُؤسفُ له ما آل إليه حالُ القرآنِ على منابرنا و في محافلنا فقد انحسرَ الاستشهادُ بالقرآنِ العَظيمِ إلى حدٍّ غيرِ مَسبوقٍ وغيرِ مقبولٍ، ففي كثيرٍ من الخُطبِ لا تكادُ تَسمعُ سوى آيةٍ أو آيتين، في حين غابَ القرآنُ أو كادَ عن محافلنا.

ومردُّ هذه الظَّاهرةِ الخطيرةِ يَعُودُ إلى أنَّ العلاقةَ بينَ الدُّعاةِ والقرآنِ قد وَهَّنتِ إلى حدٍّ بعيدٍ، وقد لَمَسْتُ هذا بنفسِي من خلالِ معرفتي بهم، فتلاوتهم له قَليلةٌ، والحافظون له من بينِ جُموعِ الدُّعاةِ يُعدُّونَ على أصابعِ اليَدِ، وصِلَّتْهم بتفسيره لا تتجاوزُ ما درَّسوه على مقاعدِ الدِّراسةِ في المعاهدِ

والجامعاتِ – وما أقلُّها – وهذه الظَّاهرةُ ظاهرةٌ سلبيةٌ جدًّا، وخطيرةٌ جدًّا، ولا بدَّ من تَلافيها بالعودةِ إلى رحابِ القرآنِ تِلاوةً وحفظاً وتفسيراً، وحبذا لو أُلزِمَتِ المعاهدُ والجامعاتُ بحفظِ القرآنِ كلِّه كما هو الحالُ في الأزهرِ الشَّريفِ الذي كانَ لي شرفُ الانتسابِ إليه والتَّخرُّجِ فيه.



٦- الخَطِيبُ وَأَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سمعتُ الرَّسُولَ ﷺ يقولُ:

روى البُخاريُّ في صحيحه في كتابِ بَدءِ الوحي وهو الحديثُ الأوَّلُ عنده عن علقمة بن وقاص اللَّيْثي أَنَّهُ قَالَ: سمعتُ عمرَ بن الخطَّابِ على المنبرِ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ... الحديث "



روى البُخاريُّ في صحيحه في كتابِ أَحَادِيثِ الأنبياءِ عن ابنِ عَبَّاسٍ (٣٤٤٥) أَنَّهُ قَالَ: سمعتُ عُمرَ يقولُ على المنبرِ سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ يقولُ: لا تطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم .. الحديث



روى البُخاريُّ في صحيحه في كتابِ الصَّوْمِ عن حُميد بن عبدِ الرَّحْمَنِ (٢٠٠٣) أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ - يَوْمَ عَاشُورَاءِ عَامِ حَجِّ - على المنبرِ يقولُ: " يا أَهْلَ المَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ هذا يَوْمَ عَاشُورَاءِ ولم يكتُبِ اللهُ عليكم صيامَه، وأنا صائمٌ فَمَنْ شاءَ فليصُمْ، ومن شاءَ فليُفْطِرْ.



روى مُسلمٌ في صحيحه في كتابِ الإِمَارَةِ عن عُميرِ بنِ هانئٍ (١٠٣٧) أَنَّهُ قَالَ: سمعتُ مُعَاوِيَةَ على المنبرِ يقولُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتِي قائمةً بأمرِ اللهِ ... الحديث



روى أبو داوودَ في كتابِ الصَّلَاةِ عن أَبِي الزُّبَيْرِ أَنَّهُ قَالَ: سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيْرِ على المنبرِ يقولُ: كان النَّبِيُّ ﷺ إذا انصَرَفَ من الصَّلَاةِ يقولُ: لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له ... الحديث



• مَنَابِرُنَا وَالحَدِيثُ:

لأحاديثِ رسولِ الله ﷺ حضورُها - الذي لا تخطئه الأذنُ - من فوق منابرنا، وفي محافلنا العامّةِ والخاصّةِ حتّى إنّها زاحمت القرآنَ وزحمته، إذ قلّما تخلو خطبةُ خطيبٍ، أو كلمةٌ مُتكلّمٍ في محفلٍ عامٍ أو خاصٍّ، من عددٍ وافٍ من أحاديثِ النَّبِيِّ عليه أزكى الصلوةِ وأتمّ السّلامِ وللحديثِ بقيّة.

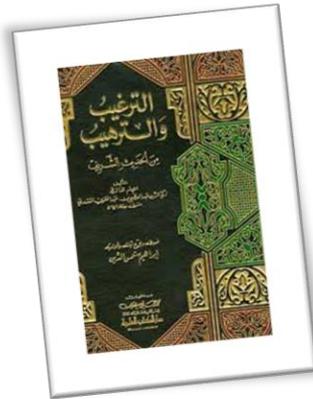
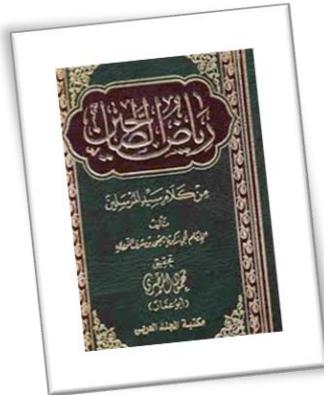
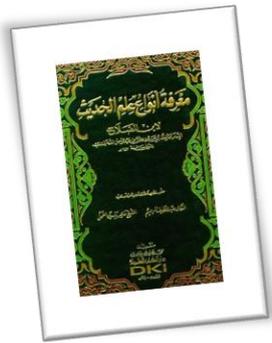
زاد الخطيب من أحاديث الحبيب ﷺ:

إنّ الحديثَ الشّريفَ هو المُكوّنُ الثّاني لثقافةِ الدّعاةِ عموماً والخطباءِ خصوصاً فعلى الخطيبِ -خطيبِ المنابرِ والمُحافلِ- أن يوثقَ صلتهُ بالسّنّةِ النّبويّةِ وعلومِها مُطالعةً وحفظاً وتفهُماً.

يقولُ العلامَةُ ابنُ الصّلاح في كتابه الفدّ " معرفة أنواع علوم الحديث " (ص / ٢٥١) " وليُقَدِّم العناية بالصّحّاحين ثمّ بسُننِ أبي داودَ، وسُننِ النَّسائي، وكتابِ التّرمذي، ضبطاً لمُشكِليها، وفهماً لخفيّ معانيها ولا يُخدَعَنَّ عن كتابِ السُّننِ الكبيرِ للبيهقي فإنّا لا نعلمُ مثله في بابِه ...

أقولُ: ومن الكُتبِ التي تمسُّ حاجةَ الخطيبِ إليها سوى تلك الكُتبِ الأصول:

- ١- كتابُ التّريغيبِ والتّرهيبِ للحافظِ المُندري (ت: ٦٥٦ هـ)
- ٢- كتابُ رياضِ الصّالحينِ للوليِّ الصّالحِ النّووي (ت: ٦٧٦ هـ)



وذلك لاعتنائها بجمع باقية رائعة من أحاديث الوعظ والإرشاد التي يتداولها الخطباء على منابرهم وفي محافلهم.

يقول العلامة ابن الصلاح: (ص / ٢٥٠) ثم لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث، وكتبه دون معرفته وفهمه، فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل، وبغير أن يحصل في عداد أهل الحديث، بل لم يزد على أن صار من المتشبهين المنقوصين، المتحلين بما هم منه عاطلون.



ثم روى هذين البيتين للأديب فارس بن الحسين يقول فيهما:

يا طالب العلم الذي
كُن في الرواية ذا العنا
و ارو القليل وراعاه
ذهبت بمدته الرواية
ية بالرواية والدراية
فالعلم ليس له نهاية

لتوتّي ثمارها:

إن الاستشهاد بحديث رسول الله ﷺ من فوق المنابر، وفي المحافل عامها وخاصها، ولمختلف المناسبات - ظاهرة سليمة وصحيحة وصحيّة أيضاً، ولكن ولكي توتّي هذه الظاهرة ثمارها المرجوة منها فلا بدّ للخطيب أن يُراعي جملة من الأمور وهي:

شرحُه
وبيانُ
معناه

بيانُ حاله

قراءته
قراءةً
سليمةً

صلاحِيته
للاحتجاج

مناسِبته
للموضوع

١-مُنَاسِبَةُ الْحَدِيثِ لِلْمَوْضُوعِ:



إِنَّ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي عَلَى الْخَطِيبِ هُوَ أَنْ يَخْتَارَ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ مَا يُنَاسِبُ مَوْضُوعَهُ -خُطْبَةً كَانَ أَمْ كَلِمَةً بِشَكْلِ عَامٍ، وَلِلْفِكْرَةِ الْجُزْئِيَّةِ بِشَكْلِ خَاصٍ- مُنَاسِبَةً تَامَّةً.

وَإِذَا مَا وَجَدَ الْخَطِيبُ عِدَّةَ أَحَادِيثٍ مُنَاسِبَةٍ فليَخْتَرْ أَصَحَّهَا وَأَوْضَحَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهَمًّا لِلْجُمْهُورِ.

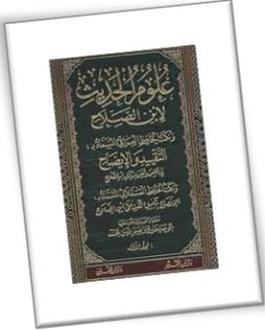
٢-صَلَابَتُهُ لِحَاجَتِهِ:

وَبَعْدَ أَنْ يَخْتَارَ الْخَطِيبُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي يُرِيدُ أَنْ يَسْتَشْهَدَ بِهَا فِي خُطْبَتِهِ أَوْ فِي مَحْفَلِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ صَلَابَتِهَا لِحَاجَتِهِ بِهَا، فَلَيْسَ كُلُّ حَدِيثٍ يَقَعُ عَلَيْهِ الْخَطِيبُ أَثْنَاءَ تَحْضِيرِهِ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتْلُوَهُ مِنْ عَلَى مَنْبَرِهِ، أَوْ فِي مَحْفَلِهِ، لَا بَلَّ لَا بَدُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ قُوَّةِ الثُّبُوتِ مَا يُؤْهِلُهُ لِذَلِكَ.

عَلَى أَنْ الْمِقْدَارَ الْمَطْلُوبَ مِنْ قُوَّةِ الثُّبُوتِ يَخْتَلِفُ تَمَاماً بِاخْتِلَافِ الْفِكْرَةِ الَّتِي سَبَقَ الْحَدِيثُ مِنْ أَجْلِ الْإِسْتِشْهَادِ بِهَا، وَالِاسْتِدْلَالِ بِهَا عَلَيْهَا.

وَهَذَا الْعَلَامَةُ ابْنُ الصَّلَاحِ يُوضِّحُ هَذَا الْمَقَامَ الْمَهْمَ فَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ "عُلُومُ الْحَدِيثِ" (ص/ ١٠٣) مَا نَصَّهُ:

"يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِمُ التَّسَاهُلُ فِي الْأَسَانِيدِ، وَرَوَايَةُ مَا سِوَى الْمَوْضُوعِ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ مِنْ غَيْرِ اهْتِمَامٍ بِبَيَانِ ضَعْفِهَا فِيمَا سِوَى صِفَاتِ اللَّهِ، وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ مِنْ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَغَيْرِهَا، وَذَلِكَ كَالْمَوَاعِظِ وَالْقَصَصِ، وَفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، وَسَائِرِ فُنُونِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَسَائِرِ مَا لَا تَعْلُقَ لَهُ بِالْأَحْكَامِ وَالْعَقَائِدِ."



ويقول الإمام النووي في كتابه "الأذكار" (ص / ٨): قال العلماء من المحدثين والفُهاء وغيرهم: يجوزُ ويُستحبُّ العملُ في الفضائلِ والترغيبِ والترهيبِ بالحديثِ الضَّعيفِ ما لم يكن مَوْضوعاً.

وأما الأحكامُ كالحلالِ والحرامِ والبيعِ والنكاحِ والطلاقِ وغير ذلك فلا يُعملُ فيها إلا بالحديثِ الصَّحيحِ أو الحسنِ إلا أن يكونَ في احتياطٍ في شيءٍ من ذلك.



ويقولُ أستاذنا الدكتور بديع في كتابه "الإيضاح" (ص / ١٠١) "أصبحَ مِنَ البدهيِّ لدينا أنَّ الحديثَ الصَّحيحَ والحسنَ صالحانِ للاحتجاجَ بهما وجوازِ العملِ بمقتضاهما سواءً في الأحكامِ الشرعيَّةِ أو في الفضائلِ والمناقبِ أو في الترغيبِ والترهيبِ.

وأما الحديثُ الضَّعيفُ فقد تعدَّدتْ فيه آراءُ أهلِ العِلْمِ ، واختلفتْ الأقوالُ والمذاهبُ، وتتلخَّصُ هذه المذاهبُ في ثلاثةٍ وهي:

المذهبُ الأوَّلُ:

لا يُعملُ بالحديثِ الضَّعيفِ مُطلقاً – مهما كانت دَرَجَةُ ضَعْفِهِ – فلا يُلتَفَتُ إليه لا في الأحكامِ ولا في سِوَاهَا مِنْ أمورِ الشَّرْعِ.

المذهبُ الثَّاني:

يُعملُ به مُطلقاً – إن لم يَشْتَدَّ ضَعْفُهُ ولم يكن في البابِ سِوَاهُ - ووجهُ الإطلاقِ ومكانه عند أصحابِ هذا القولِ هو: الأحكامُ الشرعيَّةُ والفضائلُ والمناقبُ.

المذهبُ الثَّالثُ:

يُعملُ به في الفضائلِ والمناقبِ والترغيبِ والترهيبِ فقط، ولا يُعملُ به في الحلالِ والحرامِ فضلاً عن العقائدِ.

وقد ذَكَرَ أصحابُ هذا المذهبِ للعملِ به شروطاً وهي:

١- أن يكون الضعْفُ غيرَ شديدٍ، فيخْرُجُ مَنْ انْفَرَدَ مِنَ الكذَّابِينَ والمُتَّهَمِينَ وفاحشِي الغَلْطِ.

٢- أن يكونَ مُندرجاً تحتَ أصلٍ عامٍّ مشروعٍ، فيخْرُجُ ما يُخْتَرَعُ بِحيث لا يكونُ له أصلٌ أصلاً.

٣- ألا يُعْتَقَدَ عندَ العملِ به ثبوتُه، لِئلا يُنسَبَ إلى النَّبِيِّ ﷺ ما لم يَقُلْه ...

هذا وقد ذهبَ إلى هذا المذهبِ جُمهورُ العُلَماءِ والمُحدِّثِينَ.

وأخْتِمُ هنا بما ذَكَرَهُ ابنُ حجرِ الهيثميِّ يقولُ " قد اتَّفَقَ العُلَماءُ على جوازِ العملِ بالحديثِ الضَّعِيفِ في فُضائلِ الأعمالِ لِأنَّه إن كانَ صحيحاً في نفسِ الأمرِ فقد أُعْطِيَ حَقُّه مِنَ العملِ به، وإلا لم يترتَّبْ على العملِ به مَفْسَدَةٌ تحليلٍ ولا تحريمٍ ولا ضياعُ حقٍّ للغيرِ".

٣- قراءته على الجمهورِ قراءةً سليمةً:

خَطَبْتُ ذاتَ مرَّةٍ عن موضوعِ السِّحْرِ فَسَقْتُ الحَدِيثَ المُتَّفَقَ عليه أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قد سِحِرَ، سَحَرَهُ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وَمِمَّا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الَّذِي سَقَّيْتُهُ

" يا عَائِشَةُ أَشَعْرْتُ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ ... "

فضممتُ تاءَ " أَشَعْرْتُ " ولمَّا أن انتهيتُ من خُطْبَتِي دَنَا مِنِّي رَجُلٌ وَقَوْرٌ وقال لي: الصَّوَابُ كَسْرُ التَّاءِ لا ضَمُّها فشَكَرْتُهُ ثُمَّ رَجَعْتُ و راجعتُ الحديثَ وشرحتُ^١ فكان الصَّوَابُ معه فصَحَّحتُ خَطْبِي في الأُسبوعِ التَّالِي، وشكرتُ الرَّجُلَ من على مِنبرِي.

هذا وإنِّي لأُهَيِّبُ بالسَّادَةِ الخُطباءِ- خُطباءِ المنابرِ والمُحافلِ -أن يَضْبُطُوا ألفاظَ الحديثِ بِشكلِ سَلِيمٍ قَبْلَ إلقائِهِ على جُمهورِهِم، ولا سِيَّما الأعلامَ الوارِدَةَ فِيهِ من أسماءِ الرِّجالِ و النساءِ والأماكنِ، وعينِ المُضارِعِ...

و رَحِمَ اللَّهُ الأَصْمَعِيَّ فقد خَشِيَ أن يكونَ هذا لَوْناً من ألوانِ الكَذِبِ على النَّبِيِّ ﷺ.

١- جاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٦/٢٣) قوله " أشعرت " الخطاب فيه لعائشة، أي: عملت اهـ.

٤- بَيَانُ حَالِ الْحَدِيثِ:

يَحْسُنُ - بل يجبُ - على الخَطِيبِ خَطِيبِ المَنَابِرِ والمَحَافِلِ أن يُشَارِكَ جُمهورَه ببيانِ حالِ الحديثِ وذلك من خلالِ أمرينِ اثنين:

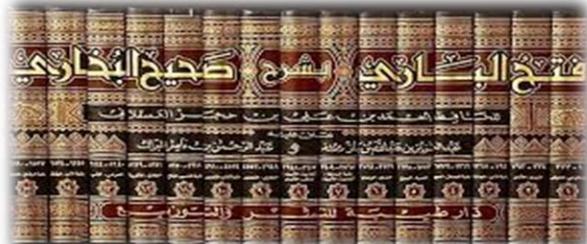
١- بيانُ مَصَدَرِ الحديثِ الَّذِي نَقَلَهُ عنه كالبُخَارِيِّ ومُسْلِمٍ والترمذِي وأبي داوود والنسائي وابن ماجه ...



٢- بيانُ دَرَجَةِ الحديثِ، و لِيُعَوَّلَ في ذلك على ما ذَكَرَهُ جَهَابُذَةُ ونُقَادُ الحديثِ من أمثالِ التِّرْمِذِيِّ وأبي داوودَ والمُنْذِرِيِّ والنُّوويِّ وابنِ حجرٍ والعِرَاقِيِّ والسِّيَوطِيِّ ... وليَكُنْ من تخريجِ كَثِيرٍ من المُعاصِرِينَ على حَدَرٍ.

٥- شَرْحُهُ وبيانُ معناه:

بعدَ أن يَسْتَكْمِلَ الخَطِيبُ -خَطِيبُ المَنَابِرِ والمَحَافِلِ- الخُطُواتِ السَّابِقَةَ جَميعَها عليه أن يَشْرَحَ الحديثَ لِجُمهورَه شَرْحاً أدبياً رَائِعاً وألِحْذَرُ كُلِّ الحَدَرِ أن يَشْرَحَهُ مِن قِبَلِ نَفْسِهِ، أو أن يَتَكَلَّمَ على فَهْمِ الجُمهورِ له، فهوَ إن لم يَكُنْ خَطِئاً فَإِنَّهُ سَيَكُونُ فهِماً سَطْحِيّاً جَدّاً، ولِيُراجِعَ في ذلك الشُّروخَ المُعْتَبَرَةَ والمُعْتَمَدَةَ، وما أَكثَرُها في مَكْتَبَتِنَا الإِسْلامِيَّةِ، ومن أبرَزِها شَرْحُ ابنِ حجرٍ على البُخَارِيِّ، والنُّوويِّ على مُسْلِمٍ ...



نماذج مُحزنة!

حَضَرْتُ خُطْبَةً عِنْدَ خَطِيبٍ شَابٍ غَرٍّ فِي مَسْجِدِ جَامِعٍ فَإِذَا بِهِ يَسُوقُ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِرَقْمٍ (٦٤١٢) أَنَّهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ "

ثُمَّ فَسَّرَ (مَغْبُونٌ) بِقَوْلِهِ (مَحْسُودٌ) وَهُوَ غَلَطٌ فَادِخٌ وَصَوَابُ التَّفْسِيرِ: (خَسِرَانٌ).

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ خَلْفٍ: وَمَعْنَى يُغْبَنُ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: أَي: يَذْهَبُ رِبْحُهُمْ أَوْ يَنْفُصُ.

• قِصَّةٌ أُخْرَى:

وَهِيَ أَعْجَبُ مِنْ سَابِقَتِهَا فَقَدْ حَضَرْتُ خَطِيباً يُحَدِّثُ جُمْهُورَهُ عَنْ أَحْكَامِ الْأَضَاحِيِّ فَسَاقَ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ:

رَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرْبَعٌ لَا تُجْزَى فِي الْأَضَاحِيِّ:



الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوْرُهَا

وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا

وَالعَرَجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا

وَالكَسِيرَةُ الَّتِي لَا تُنْقِي ... الْحَدِيثُ

ثُمَّ قَالَ: وَمَعْنَى (لَا تُنْقِي) أَي: لَا مُخَّ لَهَا، ثُمَّ فَسَّرَ الْمُخَّ بِالْعَقْلِ!!!

قَالَ السَّنْدِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى ابْنِ مَاجَةَ (٢ / ٢٧٧) عِنْدَ قَوْلِهِ (لَا تُنْقِي) مِنْ أَنْقَى إِذَا صَارَ ذَا نَقِيٍّ أَي: ذَا مُخٍّ، فَالْمَعْنَى الَّتِي مَا بَقِيَ لَهَا مُخٌّ مِنْ غَايَةِ الْعَجْفِ.

فلا أدري من الذي لا عقل له؟؟؟

• وَرَعُ الْأَصْمَعِيِّ:

روى ابن الصَّلَاحِ في كتابه " علوم الحديث " (ص / ٢٧٣) عن الأصمعيّ وقد سُئِلَ عن معنى حَدِيثِ " الجارُ أحقُّ بسَقْبِهِ " فقالَ وهو الإمامُ في لُغَةِ العربِ: أنا لا أُفسِّرُ حَدِيثَ رسولِ اللهِ ﷺ، ولكنَّ العربَ تَزَعُمُ أنَّ السَّقْبَ اللَّزِيْقُ.

• شَرَحُهُمْ وَشَرَحْنَا:

شاءَ اللهُ لي أن أقرأ الكُتُبَ السِّتَةَ (صحيح البخاريّ، وصحيح مُسليم، وسنن أبي داوُد، وجامع التِّرْمِذِيِّ، وسنن النَّسَائِيِّ، وسنن ابنِ ماجَه)



مَثْنِي وَثَلَاثَ وَكُنْتُ أُعَلِّقُ عَلَى كُلِّ حَدِيثٍ بِمَا يَفْتَحُ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ اللهُ أَنْ نَبْدَأَ بِقِرَاءَةِ شُرُوحِ تِلْكَ الْكُتُبِ بِدَايَةِ بَشْرِحِ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ، ثُمَّ شَرَحَ ابْنُ حَجَرٍ عَلَى الْبُخَارِيِّ ... فَاكْتَشَفْتُ أَمْرَيْنِ:

- ١- أَنَّ بَعْضًا مِنَ الْأَحَادِيثِ كَانَ فَهْمُنَا لَهَا مَغْلُوطًا
- ٢- أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ كَانَ فَهْمُنَا لَهَا سَطْحِيًّا جَدًّا.

ولذا فأنا أنصحُ كلَّ حَاطِبٍ أَلَّا يَطْرَحَ حَدِيثًا حَتَّى يُرَاجِعَ شَرَحَهُ فِي أَكْثَرِ مَنْ مَرَجَعَ مِنْ مَرَاجِعِ الشَّرْحِ، وَلَا سِيَّما شَرَحَ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ، وَابْنِ حَجَرٍ عَلَى الْبُخَارِيِّ ... فَإِنَّهُ سَيَقْفُ عَلَى ثَرْوَةٍ عِلْمِيَّةٍ لَا نَظِيرَ لَهَا!

مثال رابع:

شرح حديث " نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس " رواه البخاريُّ عن ابنِ عباسٍ برقم (٦٤١٢).



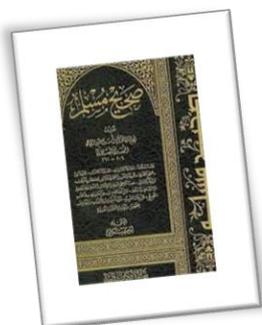
نَقَلَ ابْنُ حَجَرٍ (١١١ / ٢٣٠) عن ابنِ بَطَّالٍ قوله: وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يَكُونُ فَارِغًا حَتَّى يَكُونَ مَكْفِيًّا صَاحِحَ الْبَدَنِ، فَمَنْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ فَلْيَحْرِصْ عَلَى أَنْ لَا يُغْبَنَ بِأَنْ يَتْرَكَ شُكْرَ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَمِنْ شُكْرِهِ امْتِثَالُ أَوْامِرِهِ وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَمَنْ فَرَّطَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ الْمَغْبُونُ وَأَشَارَ بِقَوْلِهِ " كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ " إِلَى أَنَّ الَّذِي يُوفِّقُ لِذَلِكَ قَلِيلٌ أَهـ

ونقل عن ابنِ الجوزيِّ قوله: قد يكونُ الإنسانُ صحيحاً و لا يكونُ مُتفَرِّغاً لشُغله بالمعاشِ ، وقد يكونُ مُستغنياً و لا يكونُ صحيحاً فإذا اجتمعَا فغلبَ عليه الكسلُ عن الطَّاعةِ فهو المغبونُ.

وتَمَامُ ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ، وَفِيهَا التَّجَارَةُ الَّتِي يَظْهَرُ رِبْحُهَا فِي الْآخِرَةِ، فَمَنْ اسْتَعْمَلَ فِرَاعَهُ وَصِحَّتْهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُوطُ، وَمَنْ اسْتَعْمَلَهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ؛ لِأَنَّ الْفِرَاعَ يَعْتَبُهُ الشُّغْلُ، وَالصِّحَّةَ يَعْتَبُهَا السَّقَمُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْهَرَمَ لَكْفَى.

مثال آخر:

شرح حديث "الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ" رواه مُسْلِمٌ عن أَبِي هُرَيْرَةَ برقم (٢٩٥٦)



يقولُ الإمامُ النَّوويُّ ٨٨ / ٩٣ " معناه: أن كلَّ مُؤْمِنٍ مَسْجُونٌ مَمْنُوعٌ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَةِ، مُكَلَّفٌ بِفِعْلِ الطَّاعَاتِ الشَّاقَّةِ، فَإِذَا مَاتَ اسْتَرَاحَ مِنْ هَذَا، وَانْقَلَبَ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالرَّاحَةِ الْخَالِصَةِ مِنَ النُّقْصَانِ.

وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّمَا لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا حَصَلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ قَلْبِهِ وَتَكْدِيرِهِ بِالْمُنْغَصَّاتِ، فَإِذَا مَاتَ صَارَ إِلَى الْعَذَابِ الدَّائِمِ وَشِقَاءِ الْأَبَدِ.

● الأحاديث المَوْضُوعَةُ تَغْزُو مَنَابِرَنَا وَ مَحَافِلَنَا!

لهذه النُّقْطَةُ صِلَةٌ بِجُزْئِيَّةٍ صِلَاحِيَّةِ الْحَدِيثِ لِحَاجَتِهِ بِهِ غَيْرَ أَنِّي -
وَنَظَرًا لِأَهْمِيَّتِهَا - أَوْسَعْتُ فِيهَا الْكَلَامَ وَأَشْبَعْتُهُ، وَلِتَكُنَّ الْبِدَايَةُ مَعَ تَعْرِيفِ
الْحَدِيثِ الْمَوْضُوعِ وَحُكْمِ رِوَايَتِهِ:

يقولُ العَلَمَةُ ابْنُ الصَّلَاحِ ص / ٩٨ " الْحَدِيثُ الْمَوْضُوعُ : هُوَ
الْحَدِيثُ الْمُخْتَلَقُ الْمَصْنُوعُ "

وتابع قائلاً: " اعلم أنَّ الْحَدِيثَ الْمَوْضُوعَ شَرُّ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ،
وَلَا تَحِلُّ رِوَايَتُهُ لِأَحَدٍ عِلْمَ حَالِهِ فِي أَيِّ مَعْنَى كَانَ إِلَّا مَقْرُونًا بِبَيَانِ
وَضْعِهِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ الَّتِي يُحْتَمَلُ صِدْقُهَا فِي
الْبَاطِنِ، حَيْثُ جَازَ رِوَايَتُهَا فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ "

ويقولُ أستاذنا بَدِيعُ فِي " إِضَاحِهِ " ص / ١٩٨، وَإِنَّمَا سُمِّيَ
الْمَوْضُوعُ حَدِيثًا إِمَّا لِكَوْنِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ هُوَ حُكْمُ ظَنِّيٍّ أَغْلَبِيٍّ لِمَا
ظَهَرَ لَنَا مِنْ قَرَائِنَ تَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ كَذِبًا، أَوْ بِالنَّظَرِ إِلَى زَعْمِ
وَاضِعِهِ.

وتابع قائلاً: وقد يكونُ الْكَلَامُ الْمَنْسُوبُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالْمَحْكُومُ بِوَضْعِهِ هُوَ
مِنْ أَلْفَاظِ الرَّاويِ الْمُتَّهَمِ بِوَضْعِهِ.

وقد يكونُ حِكْمًا وَأَمثَالًا سَائِرَةً فَيُضَعُّ لَهَا إِسْنَادًا وَيَرْفَعُهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

أَوْ يَكُونُ شَيْئًا مِنَ الْقَصَصِ الْإِسْرَائِيلِيِّ الْمَنْقُولِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُضِيفُهُ ذَلِكَ
الْوَاضِعُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ.

أقولُ: وَمِمَّا يُؤَسِّفُ لَهُ وَيُسْتَعْرَبُ أَنَّ الْأَحَادِيثَ
الْمَوْضُوعَةَ تَسَلَّلَتْ إِلَى تَرَاثِنَا الْإِسْلَامِيِّ كُلِّهِ، فَأَيْنَمَا يَمَّمُ
طَالِبُ الْعِلْمِ وَجْهَهُ، وَجَدَ ثُلَّةً مِنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ فِي
انْتِظَارِهِ، فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ حَتَّى إِنَّ الشَّيْخَ أَبُو شَهْبَةَ
كُتِبَ كِتَابًا بِاسْمِ " الْإِسْرَائِيلِيَّاتُ وَالْمَوْضُوعَاتُ فِي كُتُبِ

التَّفْسِيرِ "، وَفِي كُتُبِ الْفِقْهِ، وَفِي كُتُبِ الْحَدِيثِ، وَفِي كُتُبِ

التَّارِيخِ - وَمَا أَكْثَرَهَا فِيهِ-، وَفِي كُتُبِ الْوَعظِ وَالْإِرْشَادِ، وَفِي كُتُبِ الْأَدَبِ،
وَالْأَدَبِ طَافِحٌ بِهَا ...



وبدهيُّ بعد هذا الانتشار الواسع للأحاديثِ الموضوعية أن نَسَمَعَهَا تُتلى من فوق المنابر، وفي محافلنا العامة والخاصة ...

أذكرُ أنَّ خَطيْباً خَطَبَ عن الموتِ فاستهلَّ خُطْبته بحديثِ موضوع ظاهرِ الوَضْع، وختَمَ بمثله وجرتِ الموضوعاتُ فيما بينهما ! وكانَ القرآنُ العَظِيمَ والسُنَّةَ الصَّحيحةَ بل والحسنةَ خلتُ ممَّا يخدمُ موضوعَ ذلك الخَطيْبِ التَّعَس.

• واجبُ الخَطيْبِ – والدُّعاةِ عموماً – تجاهَ هذه الظَّاهرةِ الخَطيْرةِ:

ومن هُنا فقدَ وَجِبَ على الخَطيْبِ أن يتوسَّعَ في دراسةِ الأحاديثِ الموضوعيةِ بمطالعةِ الكُتُبِ التي خُصِّصَتْ لها، وأن لا يُدْخَلَ في ذاكرته، ولا يتلو من على منبره أو في محفله حديثاً إلا بعدَ التَّحَقُّقِ من صلاحيته للاحتجاجِ به كما أسلفنا.



يقولُ الشَّيْخُ أبو غَدَّة في مُقدِّمةِ تحقيقه لكتاب

" المَصْنوعُ في مَعْرِفةِ الحَدِيثِ المَوْضوعِ " للعلامةِ القاري (ت: ١٠١٤ هـ):

" وإنَّ ممَّا يُطلَبُ من طالبِ العلمِ – ليكونَ واعياً بصيراً – أن يُكثِرَ النَّظَرَ وتَقْلِيْبَ البَصْرِ في كُتُبِ " المَوْضوعاتِ " فإنَّ تَكَرُّرَ النَّظَرِ فيها يَزِيدُهُ وقايةً منها وبعداً عنها، ويُقَوِّي في نَفْسِهِ شِدَّةَ التَّحَسُّسِ بلُزومِ النَّبْطِ في كُلِّ ما يَحْكِيهِ عن سَيِّدِنَا رَسولِ اللَّهِ ﷺ من الأحاديثِ.

ثمَّ من هذا التَّكَرُّرِ الحَيِّ بالبَصْرِ والبصيرةِ تَعيشُ في نَفْسِ طالبِ العلمِ مَلَكةُ التَّمْيِيزِ بينَ الباطلِ والصَّحيحِ، والقويِّ والضعيفِ من الأحاديثِ، وفي ذلك الخَيْرُ الكَثِيرُ.

بل إنَّ طالبَ العلمِ الواعيِ المُتَّبِعِ لفي حاجةٍ دائمةٍ إلى تَكَرُّرِ النَّظَرِ في كُتُبِ " المَوْضوعاتِ " ليعرفَ منها ما لم يَكُنْ يَعْرِفُهُ بالوَضْع، وليتذكَّرَ ما كانَ قد عَرَفَهُ، وليصحَّحَ ما أخطأ فيه فظنَّه حديثاً ثابتاً أو صحيحاً وهو حديثٌ ضعيفٌ أو موضوعٌ.

فتكرار النظر في كُتب " الموضوعات " إلى جانب دراسة وقراءة الأحاديث الصحيحة - خير مُعلِّم ومُنقذ له من الاستمرار على قبولها والاستشهاد بها، وخير مُعين له على تبصير الناس بمعرفتها وتركها والاستعاضة عنها بالأحاديث الصحيحة عن سيدنا رسول الله ﷺ وهي وافية كلّ الوفاء بما يحتاج إليه المسلم في أمر دينه وأمر دُنياه وقد أغنى الله الحق عن الباطل منذ القدم والله الحمد.



أقول: وقد بذل علماءنا جهوداً مُضنية في سبيل ملاحقة تلك الأحاديث الموضوعية، وإلقاء القبض عليها، وفصحها على رؤوس الأشهاد، وقد كثرت في ذلك المُصنّفات، وتعدّدت المؤلفات، ولعلّ أهمّ كتاب في هذا و يكاد يُغني عن غيره كتاب " تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعية " لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكِناني (ت ٩٦٣).

يقول أستاذنا بديع في كتابه " الإيضاح " ص / ٢١٤ " وقد جمَعَ فيه بين كُتب السيوطي وابن الجوزي وحذف الأسانيد ورتّبهُ على الأبواب، وقسّم كلّ كتاب إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل: فيما اتفق عليه السيوطي مع ابن الجوزي في الحكم عليه بالوضع.

الفصل الثاني: فيما حكم عليه ابن الجوزي بالوضع، وتعقّبهُ السيوطي في حكمه.

الفصل الثالث: فيما زاده السيوطي من الأحاديث الموضوعية في كتابه " ذيل اللآلي ... "

وبتّ في طيات الكتاب تعقبات مفيدة بحيث أصبح كتابه أجمع كتاب - فيما نعلم - في بابهِ مع التحرير والاختصار وحسن التصنيف والترتيب

وقدّم له بمقدّمة تكلم فيها عن الحديث الموضوع، وأصناف الوضّاعين وأسباب الوضّاع... إلى غير ذلك، ثمّ أورد قائمة بأسماء الرّواة الكذّابين والمُتهمين مُرتبةً على حروف المُعجم.

• نماذج من كتاب " تنزيه الشريعة المرفوعة ":

١- حديث " كُنْتُ كَنْزاً لَا يُعْرَفُ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ، وَتَعَرَّفْتُ لَهُمْ فِي عَرْفُونِي "

ونقل عن ابن تيمية قوله: إنّه موضوع (١ / ١٤٨)

٢- حديث " مَا وَسَعَنِي سَمَائِي وَلَا أَرْضِي بِلِ وَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ "

ونقل عن ابن تيمية قوله: إنّه موضوع أيضاً (١ / ١٤٨)

٣- حديث " مَا مِنْ مُسْلِمٍ دَنَا مِنْ زَوْجَتِهِ وَهُوَ يَتَوَى إِنْ حَمَلَتْ مِنْهُ أَنْ يُسَمِّيَهُ مُحَمَّدًا إِلَّا رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرًا وَمَا كَانَ اسْمُ مُحَمَّدٍ فِي بَيْتٍ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ بَرَكَةً "

ونقل عن الذهبيّ قوله: حديث موضوع، وسنّده مُظلم (١ / ١٧٤).

• نماذج من كتاب " المصنوع في معرفة الحديث الموضوع " للقاري

١- حديث " اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ "

ونقل عن السخاوي قوله: لا أعرّفه (ص / ٤٥)

وقال المحقّق أبو غدة: هذا التّعبير " لا أعرّفه " ونحوه إذا صدر من أحد الحفاظ ولم يتعبّنه أحدٌ كفى للحكم على الحديث بالوضّاع.

٢- حديث " آخِرُ الطِّبِّ الْكَيِّ "

ونقل عن ابن الدَّبَّيْعِ قوله: كلامٌ وليسَ بحديث (ص / ٥٠).

٣- حديث " أَصْفِ النَّيَّةَ، وَنَمِ فِي الْبَرِّيَّةِ "

ونقل عن ابن الدَّبَّيْعِ قوله: ليسَ بحديث (ص / ٥٦).

٤- حديث " أَمَرْتُ أَنْ أَحْكَمَ بِالظَّاهِرِ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ "

ونقل عن العِرَاقِيِّ بِأَنَّهُ جَزَمَ بِأَنَّهُ لَا أَصْلَ لَهُ. (ص / ٥٨)
ولأبي غَدَّةٍ تَعْلِيْقٌ نَفِيْسٌ عَلَيْهِ فَانظُرْهُ

٥- حديث " أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بِيَدِ أَبِي مِنْ قُرَيْشٍ "

ونقل عن السِّيَوطِيِّ قوله: لَا يُعْلَمُ مِنْ أَخْرَجَهُ وَلَا إِسْنَادَهُ (ص / ٦٠)

٦- حديث " أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ فَقَالَ لَهُ: أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ أُدْبِرْ فَأُدْبِرَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ، فَبِكَ أَخْذُ وَبِكَ أُعْطِي "

ونقل عن المَقَاصِدِ قوله: قالوا: إِنَّهُ كَذِبٌ مَوْضُوعٌ اتَّفَاقاً (ص / ٦٣)

٧- حديث " حُبُّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ "

قال: لَا أَصْلَ لَهُ عِنْدَ الْحُقَاطِ (ص / ٩١).

٨- حَدِيثُ " الْحَدِيثُ فِي الْمَسْجِدِ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ الْبَهِيمَةُ
الْحَشِيشَ "

قَالَ أَبُو غَدَّةَ: وَيُحْكَى بِلَفْظٍ آخَرَ: " الْكَلَامُ فِي الْمَسْجِدِ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ
كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ "

قَالَ الْقَارِي: لَمْ يُوجَدَ (ص / ٩٢).

أقول: وقد شاع هذا الحديث وذاع، وملاً الأسماع، حتى إنني رأيتُه مكتوباً
على لوحةٍ مُعلَّقةٍ في بعضِ المساجدِ، وهو يُخالفُ الأحاديثَ الصَّحيحةَ التي
تُبيحُ الكلامَ في المسجدِ من دونِ إنم.

٧- الخُطيبُ والسيرة النبوية

• النموذجُ البشريُّ الكاملُ:

إنَّ الأنبياءَ والمرسلينَ هم خيرُ البشرِ وصفوتهم، وإنَّ صفوةَ أولئك الأنبياءِ والمرسلينَ هم الخمسةُ المعروفونَ بأنهم أولو العزمِ من الرُّسلِ، وصفوةٌ هؤلاءِ الصفوةُ هو سيِّدنا مُحَمَّدٌ ﷺ فهو صفوةُ صفوةِ الصفوةِ.

هذا ولم تحظْ سيرَةُ نبيِّ قبله - ولا نبيِّ بعده - من العنايةِ والرعايةِ والاهتمامِ بما حظيت به سيرَةُ نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ، حتَّى إنَّ علماءَ السيرةِ رَصدوا لنا تفاصيلَ حياةِ نبيِّنا ﷺ من ميلاده وحتَّى وفاته: في طفولته ومراهقته وشبابه ورُجولته ... ، قبل مبعثه وبعده، في مكَّة وفي المدينة، في سفره وفي حضره، وفي جلِّه وفي ترحاله، وفي ليله وفي نهاره، داخلَ أسرته، ومع أصحابه، وفي محرابه، ومع ربِّه عزَّ وجلَّ ...

• زادُ الخُطيبِ من سيرةِ الحبيبِ:

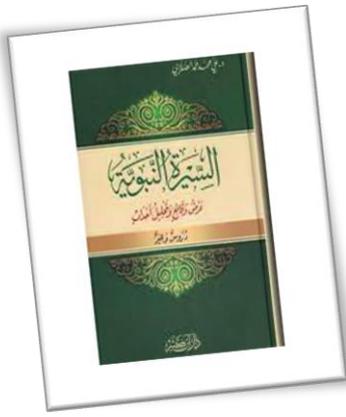
إنَّ لكلِّ مُسلمٍ حاجتهُ المُلحةُ لدراسةِ سيرةِ النبيِّ ﷺ ليزدادَ محبةً له، وافتخاراً به، واقتداءً بسيرته، وحاجةُ الخُطباءِ لدراسةِ السيرةِ النبويةِ أكبرُ من حاجةِ غيرهم لأنَّ في سيرته نبعاً لا ينضب، وشجرةً لا تنقطعُ ثمارها مع دنوِّ جناها ...



فعلى الخُطباءِ أن ينكبوا على دراسةِ السيرةِ دراسةً جادَّةً مع مُراعاةِ الأمورِ التَّاليةِ:

- ١- الاستكثارُ من مُطالعةِ كتبِ السيرةِ - وما أكثرها - قديمها وحديثها ففي كُلِّ كتابٍ من المعلوماتِ والتفصيلِ وطريقةِ العرضِ ما ليس في الكُتبِ الأخرى.
- ٢- التوثيقُ من المعلوماتِ ففي كُتبِ السيرةِ من الأخبارِ الواهيةِ والموضوعيةِ الشيءُ الكثيرُ.

٣- مُطالعةُ الكُتُبِ الَّتِي تُعْنَى بِاسْتِنْبَاطِ الدُّرُوسِ وَالْعَبْرِ المُسْتَفَادَةِ مِنْ السَّيْرَةِ فِي جَمِيعِ مَنَاحِي الحَيَاةِ مِثْلَ: فَهْمِ السَّيْرَةِ لِمُحَمَّدٍ الغَزَالِي، والبُوطِي، والسَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِلصَّلَّابِيِّ ...



• الْمُنَاسَبَاتُ الْمُتَجَدِّدَةُ:

هَذَا وَثْمَةٌ مَشَاهِدُ مِنَ السَّيْرَةِ تَتَجَدَّدُ مَعَ تَجَدُّدِ الأَعْوَامِ الهِجْرِيَّةِ مِثْلَ: حَادِثَةِ الهِجْرَةِ، وَحَادِثَةِ الإِسْرَاءِ، وَالغَزَوَاتِ المِفْصَلِيَّةِ كَبَدْرِ وَفَتْحِ مَكَّةَ ... وَيَحْسُنُ بِالخَطِيبِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَا وَيَذْكُرَهَا وَيُذَكِّرُ بِهَا وَلِيَحَاوِلَ أَنْ يُقَدِّمَ فِي كُلِّ عَامٍ جَدِيداً، وَلَا يُكْرِرَ مَا قَالَهُ مِنْ قَبْلُ، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا بِكثْرَةِ المُطَالَعَةِ وَحُسْنِ الاستِنْبَاطِ.

• سِلْسِلَةُ السَّيْرَةِ:

كَمَا وَيُمْكِنُ لِلخَطِيبِ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ سَيْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ سِلْسِلَةً مُتَّصِلَةً الحَلَقَاتِ يَعْرِضُ فِيهَا عَلَى جُمُهورِهِ مَشَاهِدَ مِنَ السَّيْرَةِ مَعَ ذِكْرِ مَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا مِنْ دُرُوسٍ وَعَبْرٍ، وَرَبِطُهَا مَعَ الوَاقِعِ المُعَاصِرِ، وَلِيَكُنْ ذَكِيّاً فِي انْتِقَائِهِ لِلْمَشَاهِدِ، عِبْقَرِيّاً فِي ذِكْرِ الدُّرُوسِ، حَكِيماً فِي رَبِطِ السَّيْرَةِ بِالوَاقِعِ المُعَاشِ.

• تَجْرِبَتِي مَعَ السَّيْرَةِ:

جَرَّبْتُ مَرَّةً أَنْ أَجْعَلَ مِنَ السَّيْرَةِ سِلْسِلَةً خَطَابِيَّةً فَكُنْتُ أبدأُ بِمَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِهَا - مَعَ مُرَاعَاةٍ تَسْلُسُلِهَا التَّارِيخِيَّ، ثُمَّ أَعْقِبُ عَلَى ذَلِكَ بِالدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْهُ، مَعَ رِبْطِهَا بِوَأَقِعِنَا الْمُعَاصِرِ.

وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْحُضُورِ لَمْ يَتَجَاوَبُوا مَعَ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ قَالَ لِي يَوْمًا " لِمَاذَا تُحَدِّثُنَا عَنِ الْقَدِيمِ "؟

لَقَدْ أَصْبَحَتِ السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ قَدِيمًا!

فَلِذَا أَوْقَفْتُهَا وَعَدَلْتُ عَنْهَا إِلَى سِلْسِلَةٍ أُخْرَى عَنِ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى ... فَنَالَتْ إِعْجَابَ النَّاسِ!



٨- الخَطِيبُ والتَّارِيخُ الأحداثُ والشَّخصياتُ

• تاريخُ الأُمَّةِ هو ذاكِرَةُ تلكِ الأُمَّةِ!

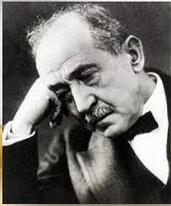


يقولُ القَرَضَاوِي فِي كِتَابِهِ " تَارِيخُنَا الْمُفْتَرَى عَلَيْهِ " (ص / ٩)
" إِنَّ التَّارِيخَ هُوَ ذَاكِرَةُ الأُمَّةِ، وَأَعْدَاءُ الأُمَّةِ يُرِيدُونَ أَنْ يَمْحُوا ذَاكِرَتَنَا
التَّارِيخِيَّةَ بِحَيْثُ نَنْفَصِلُ عَنْ مَاضِينَا، وَنَنْسَى أَمْجَادَنَا، وَنُهَيِّلُ التُّرَابَ
عَلَى ثُرَاتِنَا وَحَضَارَتِنَا، وَنَبْدَأُ مِنَ الصِّفْرِ مِثْلَ الأُمَّةِ الَّتِي لَا تَارِيخَ لَهَا
،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا مَحْوَ ذَاكِرَتِنَا سَعَوْا إِلَى إِفْسَادِهَا، فَحَشَوْهَا بِمَعْلُومَاتٍ خَاطِئَةٍ
أَوْ مَقْلُوبَةٍ أَوْ مُزَوَّرَةٍ عَنْ رِسَالَةِ الأُمَّةِ وَحَضَارَتِهَا وَتَارِيخِهَا وَرِجَالِهَا وَثُرَاتِهَا
،وَبِهَذَا تَنْخَلِجُ الأُمَّةُ مِنْ جُذُورِهَا، وَيَلْعَنُ آخِرُهَا أَوْلَهَا، وَتُمْسِي أُمَّةً بِلَا جُذُورٍ
وَلَا أَعْمَاقٍ.



وَيَقُولُ مُحَمَّدٌ الغَزَالِي فِي إِحْدَى حُطْبِهِ " وَيُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّ
المُسْلِمِينَ أُصِيبُوا بِمَرَضٍ فِقْدَانِ الذَّاكِرَةِ فَهَمُّ لَا يَدْرُونَ مَا وَقَعَ
لَهُمْ، وَبِالتَّالِي لَا يَعْرِفُونَ مَا سَيَقَعُ لَهُمْ، وَبَقَاءُ الأُمَّةِ عَلَى هَذَا النِّحْوِ
حَظْرٌ تَتَعَرَّضُ لَهُ عَقِيدَةُ التَّوْحِيدِ نَفْسُهَا "

وَيَقُولُ أَمِيرُ الشُّعْرَاءِ أَحْمَدُ شَوْقِي:



كَلْقِيَطٍ عِيٍّ فِي النَّاسِ انْتِسَابَا
يَشْتَكِي مِنْ صِلَةِ المَاضِي انْقِضَابَا

مَثَلُ القَوْمِ نَسُوا تَارِيخَهُمْ
أَوْ كَمَغْلُوبٍ عَلَى ذَاكِرَةِ

أقول: ولعلَّ هذا يَكشِفُ الحِكمَةَ وراءَ إسهابِ سُورَةِ البَقَرَةِ – وهي أوَّلُ ما نَزَلَ في المَدِينَةِ – في سَرِدِ تاريخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ (اليَهُودِ) الَّذِينَ كَانَتْ قَبَائِلَ مِنْهُمْ تُسَاكِنُ المُسْلِمِينَ وتُجاوِرُهُم في المَدِينَةِ المَنورَةِ.



وقد أثبتتِ الوقائعُ أَنَّ حاضِرَ اليَهُودِ – آنذاك – كانَ امتداداً لذلِكَ التَّاريخِ الأَسودِ، وما نراهُ اليَومَ مِنْهُم ما هو إلاَّ امتدادٌ لذلِكَ الحَاضِرِ، وليتِ حُكَّامُ العَرَبِ مِنَ المُطبِّعينِ والمُطبِّلينِ يَعلمون!

• ثالِثَةُ الأَثافيِّ:

إنَّ عِلْمَ التَّاريخِ يُعدُّ – بَعْدَ القرآنِ والحديثِ – المُكوِّنَ الثَّالِثَ لثقافةِ الدُّعاةِ عُموماً، والخُطباءِ مِنْهُم على وَجهِ الخُصوصِ، وقد بيَّنا السِّرَ وراءَ ذلكِ ونُضيفُ هنا قائلينَ:



يقولُ المُوَرِّخُ الشَّهيرُ ابنُ خَلْدونِ (٦ / ١): إنَّ فَنَّ التَّاريخِ مِنَ الفُنونِ الَّتِي تتداوَلُهُ الأُمَّمُ والأَجيالُ، وتُنشَدُ إليه الرِّكائبُ والرِّحالُ ... وهو في ظاهِرِهِ لا يَزِيدُ على أخبارِ عَن الأَيامِ والدُّولِ والسَّوابِقِ مِنَ القُرُونِ الأوْلَى ... وفي باطنِهِ نَظْرٌ وتَحقيقٌ، وتعليلٌ للكائِناتِ ومَبادِيها دَقيقٌ، وعِلْمٌ بكِيفِيَّاتِ الوَقائعِ وأسبابِها عميقٌ.



ويقولُ ابنُ القَيِّمِ في كتابِهِ " الدَّاءُ والدَّواءُ " (٤٢) إنَّ التَّاريخَ ما هو إلاَّ تَفصِيلٌ لجزئِيَّاتِ ما عَرَفنا اللهُ ورَسولَهُ مِنَ الأسبابِ الكُلِّيَّةِ للخيرِ والشرِّ.

ويَقصِدُ ابنُ القَيِّمِ أَنَّ مُجرِيَّاتِ وأحداثِ التَّاريخِ هي تَفصِيلٌ ومَظهِرٌ للسُّنَنِ الاجتِماعِيَّةِ الَّتِي تَحكُمُ التَّجمُّعاتِ البَشَريَّةِ كما تَحكُمُهُمُ السُّنَنُ الكَوْنِيَّةُ.

• زاد الخَطيْب من التَّاريخ:

وانطلاقاً ممَّا سبق وتأسيساً عليه فإنَّ على الخَطيْب أن يُلِمَّ بالتَّاريخ الإسلاميِّ قديمه وحديثه وإماماً حسناً، ولا يَغلَبَنَّ عن التَّاريخ العالميِّ قديمه وحديثه، فتواريخُ الأممِ يتداخلُ بعضها في بعضٍ حتَّى لا يُمكنُ دراسةَ تاريخِ أُمَّةٍ ما بعيداً عن دراسةِ ما عاصرها من الدُّولِ!

• ماذا نعرضُ من تاريخنا؟ ومن التَّاريخ العالميِّ؟

إنَّ القارئَ للتَّاريخ الإسلاميِّ والعالميِّ يجدُ نفسه أمامَ كمِّ هائلٍ من الأحداثِ والشَّخصياتِ، فماذا يُقدِّم منها لجمهوره؟ وكيف يُقدِّمه؟ وماذا يدعُ؟ ولماذا يدعُ؟

وللإجابة عن هذا السؤالِ أقولُ: حسبُه من تاريخنا وتاريخ غيرنا المتداخلِ مع تاريخنا وغير المتداخلِ:

رُجِي نَفْعُهُ

وَ

ما صحَّ
خبره

١- ما صحَّ خبره:



إنَّ المعيارَ الأوَّلَ والأكثرَ أهميَّةً لقبولِ الخبرِ التَّاريخيِّ وإعادةِ روايته ونشره هو صحَّةُ ثبوته، فما أكثرَ الأخبارِ الواهيَّةِ والمكذوبةِ في كتبِ تاريخنا.

وما أظنُّ أنَّ أُمَّةً من الأممِ تعرَّضَ تاريخها لِمَا تعرَّضَ له تاريخنا من الدَّسِّ والافتراءِ والتَّشويهِ والتَّزويرِ على أيدي أعدائها حيناً، وعلى أيدي بعضِ من أبنائها حيناً آخر!

يقولُ القَرَضاوي في كتابه " تاريخنا المُفترى عليه " (ص/

٣٢١)

" ليس كلُّ ما تحويه كتبُ التَّاريخِ صحیحاً مئةً في المئة، فكَم حَوَتْ مَراجِعُ التَّاريخِ مِن مُبالغاتٍ وتَّشويهاَتٍ وتَّحريفاتٍ



تُكذِّبُهَا الْحَقَائِقُ الثَّابِتَةُ بِالِاسْتِقْرَاءِ أَوْ بِالْمَوَازَنَةِ بِالْأَدِلَّةِ النَّاصِعَةِ فِي مَصَادِرٍ أُخْرَى.



وَكَمْ أَدَّتِ الْأَهْوَاءُ وَالْعَصَبِيَّاتُ السِّيَاسِيَّةَ وَالنَّسَبِيَّةَ وَالْمَذَهَبِيَّةَ دَوْرَهَا فِي كِتَابَةِ التَّارِيخِ، وَفِي رِوَايَةِ وَقَائِعِهِ، وَتَلْوِينِ أَحْدَاثِهِ، وَتَصْوِيرِ أَبْطَالِهِ إِيْجَاباً أَوْ سَلْباً، وَخُصُوصاً إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ التَّارِيخَ يَكْتُبُهُ - عَادَةً - الْمُنْتَصِرُونَ الْغَالِبُونَ، وَالْغَلْبَةُ لَهَا بَرِيقٌ وَأَضْوَاءٌ، كَثِيراً مَا تُغْشِي أَعْيُنَ الْمُؤَرِّخِينَ عَنِ سَوَاءَاتِ الْغَالِبِينَ، فِي حِينِ تُضَحِّمُ أَخْطَاءَ الْمَغْلُوبِينَ، وَتَطْمِسُ فِضَائِلَهُمْ، عَنِ قَصْدٍ أَوْ غَفْلَةٍ.

وَأُضِيفُ عَلَى مَا سَبَقَ: إِنَّ الْمَعَايِيرَ الَّتِي وَضَعَهَا الْعُلَمَاءُ لِاخْتِبَارِ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَنَقْدِهَا وَتَمْيِيزِ صَاحِبِهَا مِنْ ضَعْفِهَا هِيَ ذَاتُهَا الْمَعَايِيرَ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُؤَرِّخِ الْأَخْذُ بِهَا، وَالتَّعْوِيلُ عَلَيْهَا، وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا.

٢- وَرَجِي نَفْعُهُ:

لَيْسَ كُلُّ مَا ثَبَتَ مِنَ الْأَحْدَاثِ وَظَهَرَ عَلَى مَسْرَحِ التَّارِيخِ مِنْ شَخْصِيَّاتٍ يَحْسُنُ عَرْضُهُ وَتَقْدِيمُهُ لِلْجُمْهُورِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي عَرْضِ الْحَدِيثِ أَوْ تَقْدِيمِ الشَّخْصِيَّةِ مَا يُرْجَى نَفْعُهُ، وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ.

فَعَوَامِلُ النَّصْرِ وَالْهَزِيمَةِ فِي حَيَاةِ أُمَّتِنَا مِمَّا يَحْسُنُ عَرْضُهُ لِتَعَمَلِ عَلَى تَهْيِئَةِ النَّصْرِ بِالْأَخْذِ بِأَسْبَابِهِ، وَنُحَارِبِ أَسْبَابِ الْهَزِيمَةِ بَعْدَ أَنْ كَشَفْنَا لَنَا التَّارِيخُ.

وَالشَّخْصِيَّاتُ الْمُجَدِّدَةُ وَالْمُؤَثِّرَةُ، وَكَذَلِكَ الطُّغَاةُ الَّذِينَ انْتَهَى بِهِمِ الْمَطَافُ صَرَ عَى مُجْنَدِلِينَ مِمَّا يَحْسُنُ عَرْضُهَا أَيْضاً مِنْ أَجْلِ تَقْدِيمِ الشَّخْصِيَّاتِ وَالنَّمَاذِجِ الْإِيْجَابِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ تَكُونُ الْإِيْجَابِيَّةُ أَسْوَةً وَقُدُوءَةً، وَيُجْعَلُ مِنَ السَّلْبِيَّةِ عِبْرَةً أَيْةً عِبْرَةً!



• كيف نعرض التاريخ؟



بعد أن يتوثق الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- من صحة معلوماته التاريخية، ويغلب على ظنه أن ما سيقدّمه من أخبار، وما سيرضه

من شخصيات من النوع النافع والمفيد والهادف لجمهوره، عليه أن يعرضه مكتفياً بخطوطه العامة، من غير أن يُشارك جمهوره بالتفاصيل التي وقف عليها، وتحصّلت عنده أثناء مُطالعة التاريخ أو إعداد الخطبة وليضمّ إلى خطوطه العامة للحدث أو الشخصية ما يراه هاماً جداً من التفاصيل، وأيحذر من الإغراق فيها، أو الخروج عنها لئلا يملّ جمهوره، ويشتت ذهنهم.

• ما وراء التاريخ!

ليس الهدف من تقديم الأحداث، وعرض الشخصيات هو إدهاش الجمهور واستمالاته، بل الهدف الرئيسي هو الاعتبار، وهو الغاية الأساسية من سوق الأخبار، وعرض الشخصيات.

والاعتبار هو أسلوب يقوم على انتقال الذهن من الحدث التاريخي إلى ما يقابله من أحوال الناس الواقعة أو المتوقعة قياساً على ذلك الحدث لوجود التشابه بين الواقعين التاريخي والحالي.

على أن الاعتبار قد يكون من طرف جليّ أو خفيّ، على حسب ما تقتضيه طبيعة الحدث أو الشخصية، ولا شك أن للجمهور قدرته على الربط بين ما غبر من أحداث وما هو واقع أو متوقع منها.

• الهَدَفُ الْآخِرُ:



هذا وثَمَّةٌ هَدَفُ آخَرَ مِنْ سَوَاقِ الْأَحْدَاثِ، وَعَرَضَ الشَّخْصِيَّاتِ الْأَ وَهُوَ إِحْقَاقُ الْحَقِّ وَإِبْطَالُ الْبَاطِلِ، فَكَثِيرٌ مِنَ الْأَحْدَاثِ التَّارِيخِيَّةِ تَعَرَّضَتْ لِلتَّحْرِيفِ الْمُتَعَمَّدِ، وَالتَّشْوِيهِ الْمُرْعَبِ.

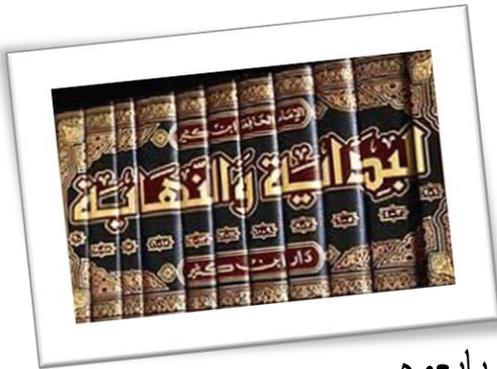
وَكذلكِ الشَّخْصِيَّاتِ فَمَا كَانَ إِسْلَامِيًّا مِنْهَا، سَلِبَتْ حَسَنَاتُهُ، وَ شُوِّهَتْ سِيرَتُهُ، وَمَا كَانَ عَدُوًّا لِلْأُمَّةِ قُدِّمَ عَلَى أَنَّهُ مُنْقِذُهَا، أَوْ عَلَى الْأَقْلِ قُدِّمَ كَشَخْصِيَّةٍ فَذَّةٍ تَجْعَلُ مِنْهُ مَحَطًّا إِعْجَابٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ وَنَاشِئَتِهَا، فَعَلَى الْخَطِيبِ -خَطِيبِ الْمَنَابِرِ وَالْمَحَافِلِ- مُرَاعَاةُ هَذَا الْجَانِبِ الْهَامِّ وَالْحَاطِرِ.

• مَقْتَلُ الْحُسَيْنِ:



الْحُسَيْنُ حَفِيدٌ مِنْ أَحْفَادِ الرَّسُولِ ﷺ، أَبُوهُ عَلِيُّ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ أَحَبُّ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ، وَقَدْ تَعَرَّضَتْ سِيرَتُهُ وَمَا جَرَى مَعَهُ لِتَحْرِيفِ مُتَعَمِّدٍ وَتَزْوِيرِ خَطِيرٍ، لِأَهْدَافِ خَطِيرَةٍ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَذْهَانِ النَّاسِ مَا أَشْيَعَ مِنْ بَاطِلٍ، وَغَابَ عَنْهُمْ أَوْ غُيِّبَ عَنْهُمْ مَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ أَلْقَيْتُ خُطْبَةً - رَجَعْتُ فِيهَا إِلَى الْمَصَادِرِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي رَصَدْتُ لَنَا



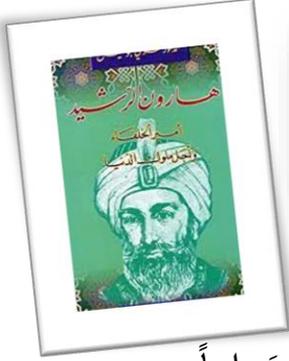
أَخْبَارَ خُرُوجِهِ عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِهَا مَا كَتَبَهُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي كِتَابِهِ الْفَدَّ "الْبِدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ" وَقَدْ وَفَّقَنِي اللَّهُ لِقِرَائَتِهِ كَامِلًا، فَقَدْ أَطَالَ وَأَطَابَ، وَجَلَّى الْحَقِيقَةَ وَكَانَ خُلَاصَةً مَا قُلْتُهُ أَنَّهُ خَرَجَ بِنَاءً عَلَى اقْتِرَاحَاتٍ قُدِّمَتْ لَهُ مِنْ أَبْنَاءِ الْعِرَاقِ، فَخَرَجَ مُخَالَفًا لِكِبَارِ الصَّحَابَةِ فِي عَصْرِهِ كَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ ... ثُمَّ إِنَّ الَّذِينَ بَايَعُوهُ بَاعُوهُ، وَلِقَاتِلِيهِ أَسْلَمُوهُ...

وركزت على أن أهل الشام لا علاقة لهم بهذا الأمر، فهو خرج من المدينة إلى العراق، وجاءت التوجيهات من قصر الخليفة الأموي إلى القوات المرابطة في أرض العراق ... فما علاقة أهل الشام بكل تلك الأحداث؟!

• هارون الرشيد:



خليفة من أعظم خلفاء المسلمين في العهد العباسي وهو إن لم يكن مثل أبي بكر وعمر ... فليس بسوء من جاء بعده، وقد تعرضت سيرته للتشويه المتعمد، فما كان مني إلا أن ألقيت خطبة عن سيرته العطرة، معولاً على ما ذكره المؤرخ الدمشقي شوقي أبو خليل في كتاب "هارون الرشيد" ومن أهم ما جاء عنه أنه كان يغزو عاماً ويحج عاماً ولم يتعاط خمراً أو يرتكب حراماً كما تصوّره قصص "ألف ليلة وليلة"!



• نابليون:



ملك وإمبراطورٌ عنده جنون العظمة غزا مصر، فداك مساجدها وقتل علماءها، ودخلت جنوده الأزهر بعد أن قصفه بمدفعه ... وأثبتت الأيام أن جميع الشعارات التي رفعها مارس على المسلمين عكسها، وفي عهده وضعت المدونات القانونية (١٨٠٤) م التي صارت فيما بعد نواة للقوانين في البلاد الإسلامية التي حلت محل الشريعة الإسلامية ...

وبعد كل هذه الجرائم تجد من أبناء المسلمين من هو مُعجبٌ به و يرى فيه قُدوةً له!

• التَّارِيخُ الْمُعَاصِرُ: أَحْدَاثُهُ وَشَخْصِيَّاتُهُ



للتَّارِيخِ الْمُعَاصِرِ الَّذِي بَدَأَ مَعَ سُقُوطِ آخِرِ خِلَافَةِ جَامِعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا جَرَّهُ ذَلِكَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنْ تَمَرُّقِهَا إِلَى دُوِيَلَاتٍ وَمَمَالِكٍ وَإِمَارَاتٍ ... عَلَى أَيْدِي سَايَكْسٍ وَبِيكُو وَأُمْتَالِهَمَا، وَتَقَاتُلِ تِلْكَ الدُّوِيَلَاتِ فِيمَا بَيْنَهُمَا، وَالثُّورَاتِ بَيْنَ أُنْبَاءِ الدُّوِيَلَةِ الْوَاحِدَةِ، وَتَسَلُّطِ أَعْدَائِهَا عَلَيْهَا، وَاغْتِصَابِ فِلَسْطِينَ مِنْهَا، وَاحْتِلَالِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مَسْرَى نَبِيِّهَا، وَقِيَامِ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ عَلَى أَرْضِهَا، وَتَبْنِيِ الْكَثِيرِ مِنْ تِلْكَ الدُّوِيَلَاتِ مَبَادِيءَ بَعِيدَةً بَلْ مُعَادِيَةً لِهَدْيِ الْإِسْلَامِ أَقَامَتْ أَسْئَهَا عَلَيْهَا، وَحَمَلَتْ الْمُسْلِمِينَ قَسْرًا عَلَيْهَا، وَابْعَادِ الْحُكْمِ بِالشَّرِيعَةِ وَالْإِحْتِكَامِ إِلَى قَوَانِينِ جَزَائِيَّةٍ وَمَدْنِيَّةٍ مِنْ وَضَعِ مَنْ أَحْتَلَّ أَرْضَنَا وَشَرَّدَ أُنْبَاءَنَا!

• مَسْؤُولِيَّةُ الْخُطْبَاءِ تَجَاهَ التَّارِيخِ الْمُعَاصِرِ:

عَلَى الْخُطْبَاءِ دِرَاسَةُ التَّارِيخِ الْمُعَاصِرِ دِرَاسَةً جَدِيدَةً مَعَ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْمَصَادِرِ الْمَوْثُوقَةِ، فَأَكْثَرُ أَحْدَاثِ التَّارِيخِ تَعَرَّضَتْ لِلْكَتْمَانِ أَوْ التَّزْوِيرِ، فَقُرِّمَ أَبْطَالٌ، وَعُظْمَ أَقْرَامٌ، وَزُورَتْ الْأَحْدَاثُ، وَبِيْنَبْغِي عَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يَكُونَ حَذِرًا فِي تَعَاطِي الْأَحْدَاثِ الْمُعَاصِرَةِ، وَالْحَدِيثِ عَنِ الشَّخْصِيَّاتِ الْمُعَاصِرَةِ، فَالَّذِينَ حَرَّفُوا التَّارِيخَ الْمُعَاصِرَ وَزُورُوا وَضَخَّمُوا ذَوَاتِهِمْ وَقَزَّمُوا غَيْرَهُمْ، وَلَبَسُوا بَدَلَاتٍ عَسْكَرِيَّةً لَمْ تُسَجَّلِ انْتِصَارًا لِلَّهِمَّ إِلَّا انْتِصَارَهُمْ عَلَى شَعْبٍ أَعْزَلَ لَا يَمْلِكُ حَوْلًا وَلَا قُوَّةً، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

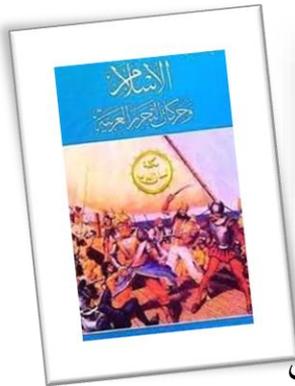
• في ذِكرى الجَلَاءِ:



في السَّابِعِ عَشَرَ من نَيْسانِ يَحْتَفَلُ السُّورِيُّونَ - في كُلِّ عَامٍ - بِذِكْرِ الجَلَاءِ والتَّحَرُّرِ مِنَ الاِحتِلالِ الفِرَنسِيِّ الَّذِي اِحتَلَّ بِلادِنَا رُبْعَ قَرْنٍ مِنَ الزَّمانِ (٢٤ - تموز - ١٩٢٠ - وَحَتَّى ١٧ - نَيْسانِ - ١٩٤٦)

وكما هي العادةُ جَاءَنَا تَعْمِيمٌ بِضَرورةٍ تَخْصِصُ خُطبةَ الجُمعةِ للحَدِيثِ عن هذه الذِكرى العَظيمة!

وَكُنْتُ في العَالبِ أَتْجَاهِلُ مِثْلَ هذه التَّعميماتِ، أو أَشيرُ إلى المُناسبةِ بِإِيجازٍ، وَلَكِنِّي في ذاكَ العَامِ (٢٠١٠) لَمْ أَتْجَاهِلُ ذاكَ التَّعميمَ بَلْ رَصَدْتُ لَهُ الخُطبةَ كَامِلةً وَلَكِنْ ماذا قُلْتُ؟



لقد تَحَدَّثْتُ عن دَوْرِ عُلَماءِ السُّنَّةِ في صِناعةِ الجَلَاءِ وَخَصَّصْتُ بِالذِّكْرِ العَلَّامةَ الشَّيخِ بَدْرَ الدِّينِ الحَسَنِيِّ وَنَقَلْتُ عن المُوَرِّخِ شَوقي أَبُو حَليلِ من كِتابِهِ "الإِسلامُ وَحَرَكَاتُ التَّحَرُّرِ العَرَبِيَّةِ" قَوْلَهُ: ها

هي الحَقائِقُ التَّاريخيَّةُ مُدَعَّمةٌ بِالوثائِقِ، وَمِنْ بَيْنِها وَثائِقُ باباويَّةٍ مَسِيحيَّةٍ، وَلِمُؤَلِّفِينَ مَسِيحيينَ أَيضاً، مَعَ الكَثِيرِ مِنَ الصُّحُفِ

الصَّادِرَةِ في التُّلُثِ الأوَّلِ من هذا القَرْنِ (العِشرين) على اِختِلافِ وَجْهاتِ نَظَرِ أَصحابِها وَأَهدافِها تُؤَكِّدُ كُلُّها أَنَّ مُفَجَّرَ الثُّورةِ العَرَبِيَّةِ الكُبرى والمُخَطِّطَ لِلثُّورةِ السُّوريَّةِ الكُبرى هو الشَّيخُ بَدْرُ الدِّينِ الحَسَنِيِّ مُحَدِّثُ الدِّيارِ الشَّاميَّةِ.



وتابع قائلاً: سنرى - قارئ العزيز - كيف أعد النفوس وهياً للثورة، ثم فجّرَها مع تلاميذه، ممّن حملوا لواء الإسلام في سورية من أمثال: الشيخ علي الدقر، و الشيخ نجيب كيوان، و الشيخ محمد حجاز، و الشيخ موسى الطويل ...



الشيخ موسى الطويل



الشيخ نجيب كيوان



الشيخ علي الدقر

ولمّا هياً الشيخُ النفوسَ ضدّ فرنسا قامَ بجولته الشهيرة في المحافظات فكان أول عملٍ يعمّله في أيّ مدينةٍ ينزلُها، دخوله المسجد الكبير فيها، وإلقاءه حكمه ومواظمه، ويحثّ الجميع على الثورة ضدّ فرنسا، وما إن عادَ إلى دمشق حتّى قامت الثورة في كلّ المحافظات في اليوم التالي لعودته، وللحديث بقيةً انظرها في ذلك الكتاب.

● أسنا استثناء:

ولمّا أن فرغتُ من حديثي عن دور علماء السنّة في صناعة الجلاء في سورية عرّجتُ للحديث - بإيجاز - عن دور علماء السنّة في صناعة الجلاء في بلادهم.

فذكرت من أرض الجزائر الأمير عبد القادر الجزائري، والإمام
عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي.



الشيخ محمد البشير
الإبراهيمي



الإمام عبد الحميد بن
باديس



الأمير عبد القادر

ومن أرض تونس العلامة محمد الخضر حسين، والشيخ الثعالبي.



الشيخ الثعالبي



العلامة محمد الخضر حسين

ومن أرض السودان محمد أحمد المهدي، وعبد الله التعايشي.



التعايشي



المهدي

ومن أرض الصومال الشيخ محمد عبد الله حسن الملاً.



الشيخ محمد عبد الله حسن الملاً

ومن أرض ليبيا الشيخ عمر المختار.



الشيخ عمر المختار

ومن أرض المغرب عبد الكريم الخطابي.



عبد الكريم الخطابي

ومن أرضِ فلسطينَ الشَّيخَ عزَّ الدينَ القسَّامَ.



الشَّيخَ عزَّ الدينَ القسَّامَ

ومن أرضِ العراقِ رشيدَ الكيلاني، والشَّيخَ مُحَمَّدَ شُكْرِي الأوسِي ..



الشَّيخَ مُحَمَّدَ شُكْرِي الأوسِي

رشيد الكيلاني

وكانَ لهذهِ الخُطبةِ وَقْعٌ مُجَلِّجٌ هائلٌ، ومُفاجِئٌ حيثُ كَشَفَ عن الحَقائِقِ
الَّتِي يُحاولُ أعداءُ الأُمَّةِ وأتباعُهُم مِن أبنائنا إهالةَ التُّرابِ عَلَيْها، وليَكُنْ أبطالُ
الثَّوراتِ مَنْ يَكُونُوا، المُهمُّ عندهُم ألا يَكُونَ عُلَماءُ السُّنَّةِ وَرَءَ تلكِ الثَّوراتِ
المُبارَكَةِ الَّتِي تُوجِبُ بالاستقلالِ من أقوى الجُيوشِ في ذاكِ العَصْرِ.

٩- الخَطِيبُ وَالْقِصَصُ الْقُرْآنِيُّ وَالنَّبِيُّ الأحداثُ والشَّخصياتُ

١- القِصَصُ الْقُرْآنِيُّ:

لقد استحوذت القِصَّةُ على اهتمامِ القرآنِ الكريمِ، ونالت من آياته المباركاتِ النَّصيبَ الأوفى و الأَكْبَرُ الَّذِي رَبَّاهُ عَلَى النَّصِيبِ الَّذِي نَالَتهُ آياتُ الأحكامِ على أهميَّتها في مِيدانِ التَّشْرِيعِ، وما ذاكَ إِلَّا لأهميَّتها البالِغةِ.

• فنُّ القِصَّةِ في القرآنِ الكَرِيمِ:

للقرآنِ العَظِيمِ طَريقَتُهُ الفِذَّةُ والفَريْدَةُ في تَعاطِيهِ مَعَ القِصَّةِ، وهي تُوحِي لِلخَطِيبِ- خَطِيبِ المَنابِرِ والمَحاوِلِ- الطَّريقَةَ المَثَلِيَّ في التَّعاوُلِ مَعَ القِصَّةِ على أساسِها وهذه أبرَزُ مَعالمِها:

الشَّخصياتُ
القرآنيَّةُ

الأحداثُ
والشَّخصياتُ

الاكتفاءُ
بموطنِ
العبرةِ

التَّفنُّنُ في
عرضِ
القِصَّةِ

١- التَّفنُّنُ في عَرَضِ القِصَّةِ:

لقد تَفَنَّنَ القُرْآنُ في عَرَضِ أحداثِ قِصَّتِهِ وأنقَنَ حَبَكَتَها (تَرتِيبَ أحداثِها) أيَّما إتقانٍ فهو تارةً يَبْدَأُ بالقِصَّةِ من أوَّلِها وَيَمْضِي بها حَتَّى آخِرِها مُتسَلِّسِلَةً رِقْرَاقَةً كقِصَّةِ يوسُفَ، وتارةً يَبْدَأُ بالقِصَّةِ من مَشهَدِها الأَخِيرِ ثُمَّ يَعودُ لسردِ القِصَّةِ من أوَّلِها مُوضِحاً وكاشِفاً السِّرَّ عن المَشهَدِ الأَخِيرِ.

وتارةً يبدأ بالقصة من مُنتصفها ثم يمضي بها قُدماً مُرماً ما سبق.
و رائده في ذلك الإثارة والتشويق من جهة، والفائدة والعبرة من جهة أخرى.

٢- الاكتفاء بموطن العبرة ومغزى الحكمة:

لم يجعل القرآن أكبر همه - وهو يسرد قصة ما - أن يستقصي تفاصيلها،
ويورد كل شاردة وواردة فيها، بل اكتفى بتسليط الضوء على موطن العبرة
فيها، ومغزى الحكمة منها، وفي هذا ما يفسر اختلاف المشاهد بين قصة
وقصة، قلة وكثرة.

٣- الأحداث والشخصيات:

عندما يقدم القرآن قصة ما من قصصه، فتارةً يسلط الضوء على
الأحداث، ويبيهم الشخصيات، وتارةً يسلط الضوء على الشخصيات، وتارةً
يماهي بينهما.

٤- الشخصيات القرآنية:

لقد تنوعت الشخصيات التي عرضها القرآن الكريم إلى حدّ التباين:
فمنها ما هو إيجابي كالأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين والعلماء
والحكام والقادة الفاتحين...

ومنها ما هو سلبي كالطغاة والجبابرة والمعاندين والجاحدين...

وقد كان للنساء نصيبهنّ وحضورهنّ من هذين النوعين:

الإيجابي مثل زوجتي إبراهيم هاجر وسارة، وزوجة الطاغية فرعون،
ومريم ...

والسلبي مثل زوجة نوح ولوط، وزوجة العزيز، وصديقاتها، وأمّ لهب ...

وحتى الشخصيات من عالم الجنّ كان لها حضورها مثل عفريت
سليمان، والجنّ الذين آمنوا برسول الله ﷺ، وإبليس وأمثاله من جهة أخرى.

ومن الطَّرِيفِ أَنَّ الْقُرْآنَ ذَكَرَ بَعْضَ الشَّخْصِيَّاتِ مِنْ عَالَمِ الْحَيَوَانِ مِثْلِ نَمْلَةِ سُلَيْمَانَ الْقِيَادِيَّةِ، وَهَدَّهِدِ سُلَيْمَانَ الدَّاعِيَةَ، وَفِيلِ الْحَبْشَةِ، وَحَوْتِ يُونُسَ...



القِصَّةُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْمَنْبِرُ:

إِنَّ لِلْمَنْابِرِ وَالْمَحَافِلِ وَأَهْلِهَا تَعَطُّشاً إِلَى الْقِصَّةِ أَيَّاماً تَعَطُّشٍ، وَوَلَعاً شَدِيداً، وَمَا عَلَى الْخَطِيبِ -خَطِيبِ الْمَنْابِرِ وَالْمَحَافِلِ- إِلَّا أَنْ يَرُوِيَ هَذَا الظَّمَّ، وَذَلِكَ التَّعَطُّشَ، وَذَلِكَ بِمِرَاعَاةِ الْأُمُورِ التَّالِيَةِ:



١- حُسْنُ اخْتِيَارِ الْقِصَّةِ أَوْ الشَّخْصِيَّةِ الْمُنَاسِبَةِ لِمَوْضُوعِ الْخُطْبَةِ أَوْ الْكَلِمَةِ، هَذَا وَيَسْتطِيعُ الْخَطِيبُ أَنْ يَسْتَهْلَ خُطْبَتَهُ بِقِصَّةٍ بَلْ وَيَسْتطِيعُ أَنْ يَجْعَلَ مِنَ الْقِصَّةِ مَوْضُوعاً لَخُطْبَتِهِ، وَقَدْ فَعَلْتُ هَذَا عِنْدَمَا تَحَدَّثْتُ عَنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، حَيْثُ اكْتَفَيْتُ بِسَرِّ قِصَّةِ أَصْحَابِ السَّبْتِ، وَكَفَى بِهَا مِنْ قِصَّةٍ.

٢- حُسْنُ عَرْضِ الْقِصَّةِ، وَلِيَكُنْ رَائِدهُ فِي ذَلِكَ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ فِي عَرْضِهِ لِلْقِصَّةِ.

٣- أَنْ يَحْذَرَ - كَلَّ الْحَذَرَ - مِنَ التَّرْيِيدِ عَلَى الْقِصَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ بِمَا لَيْسَ مِنْهَا، وَمَا أَكْثَرَ تِلْكَ الزِّيَادَاتِ فِي كِتَابِ التَّفَاسِيرِ الَّتِي تَوَرَّطَتْ بِإِيرَادِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَالْمَوْضُوعَاتِ خِلَالَ تَفْسِيرِهَا لِقِصَصِ الْقُرْآنِ، فَعِلَاوَةً عَلَى أَنَّهَا مَكْذُوبَةٌ فَإِنَّهَا قَدْ تَصَرَّفَتْ انْتِبَاهَ السَّامِعِينَ إِلَيْهَا، وَإِلَيْكَ هَذِهِ الْأَمْثَلَةُ:

• شجرة آدم:



لقد نهى الله آدمَ وزوجَه عن الأكلِ مِنَ الشَّجَرَةِ فَكَانَتْ مَعْلُومَةً لهُمَا، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لَنَا فَإِنَّهَا مَجْهُولَةٌ تَمَامًا، لَمْ يَأْتِ بَيَانُهَا فِي الْقُرْآنِ وَ لَا فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، بَلْ كُلُّ مَا وَرَدَ فِيهَا مِمَّا نُقِلَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

يقول العلامة ابن جرير الطبري (١ / ٥٢٠) فالصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدمَ وزوجه عن أكلِ شجرةٍ بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفهما الله به.

ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة فأنى يأتي ذلك؟ ... وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهل لم يضره جهله به.

وأضيف قائلًا: بل إن ذكره مضر لأنه يصرفُ اهتمامَ وانتباهَ السامعين إليه، ولا شك أن الناس لو علموها فإنهم سيسمون تلك الشجرة بأنها شجرة ملعونة فلا يقربونها فيحرموا ما أحل الله!

• بقرة بني إسرائيل:



لقد طلب موسى من قومه أن يذبحوا بقرة، ولمَّا ذَبَحُوهَا بَعْدَ لَأْيٍ أَخَذَ جُزْءًا مِنْهَا فَضْرَبَ الْمَيْتَ بِهِ فَأَحْيَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا الْجُزْءُ مَعْلُومٌ لَهُ وَلِمَنْ شَهِدَ الْحَادِثَةَ وَلَكِنَّهُ مَجْهُولٌ لَنَا تَمَامًا، وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِيهِ فَهُوَ مِنْ تَحْرِيفَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

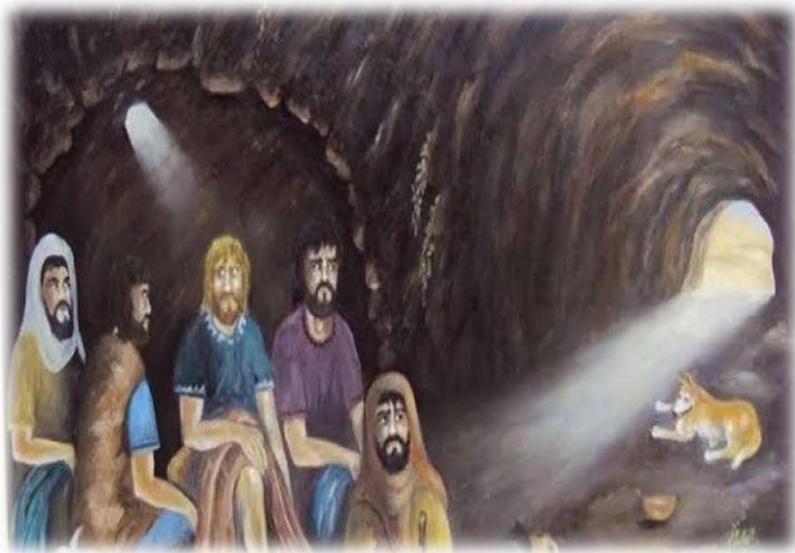


يقول العَلَّامةُ ابنُ كَثِيرٍ (٣٠٢ / ١) هَذَا الْبَعْضُ أَيُّ شَيْءٍ
كَانَ مِنْ أَعْضَاءِ تِلْكَ الْبَقْرَةِ فَالْمُعْجِزَةُ حَاصِلَةٌ بِهِ، وَخَرَقُ الْعَادَةِ
بِهِ كَائِنٌ، وَقَدْ كَانَ مُعَيَّنًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، فَلَوْ كَانَ فِي تَعْيِينِهِ
لَنَا فَائِدَةٌ تَعُودُ عَلَيْنَا فِي أَمْرِ الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا لَبَيَّنَهُ اللَّهُ لَنَا، وَلَكِنْ
أَبْهَمَهُ، وَلَمْ يَجِئْ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ عَنِ الْمَعْصُومِ بَيَانُهُ فَنَحْنُ
نَبْهَمُهُ كَمَا أَبْهَمَهُ اللَّهُ.

وَأَضِيفُ: بَلْ ثَمَّةَ خَطْرٌ فِي تَحْدِيدِهِ وَهُوَ الْاِفْتِرَاءُ عَلَى اللَّهِ، وَصَرَفِ
اهْتِمَامِ النَّاسِ إِلَيْهَا، وَقَدْ يَصِلُ الْحَدُّ بِبَعْضِ النَّاسِ إِلَى تَقْدِيسِ ذَلِكَ الْجُزْءِ
وَتَعْظِيمِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ يَشْفِي وَأَنَّ بِهِ سِرًّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

• عَدُوُّ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَأَسْمَاؤُهُمْ:

إِنَّهُمْ – كَمَا قَالَ اللَّهُ – فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى فَعَلَى الْخَطِيبِ
إِذَا مَا أَرَادَ أَنْ يُتْحَفَ جُمْهُورَهُ بِقِصَّتِهِمْ أَنْ يِقْتَصِرَ عَلَى مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مَعَ
بَيَانِ الْعِبَرِ وَالذُّرُوسِ الْمُسْتَفَادَةِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنَ الْبَحْثِ فِي زَمَانِهِمْ وَمَكَانِهِمْ
وَعَدِيدِهِمْ – عَلَى الْحَقِيقَةِ – وَأَسْمَائِهِمْ فَكُلُّ هَذَا مِمَّا لَا طَائِلَ وَرَاءَهُ.



يقول العلامة ابن كثير في مقدمة تفسيره (٩ / ١) قد اشتملت هذه الآية الكريمة:

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُذِّبُوا وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُذِّبُوا رَجْمًا بِالْغَيْبِ ۗ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كُذِّبُوا ۗ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢]

على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعفت القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته إذ لو كان باطلاً لردّه كما ردّهما، ثم أرشد على أن الإطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال في مثل هذا ﴿ **قل ربّي أعلم بعديّهم** ﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعّه الله عليه فهذا قال ﴿ **فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهراً** ﴾ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ... فتنشغل به عن الأهم.

• ما وراء القصة!

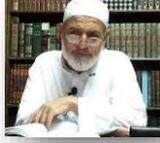
ليس هدف القصة إثارة إعجاب الجمهور، واستجلاب دهشتهم وحسب بل وراء كل قصة في القرآن حدثاً كانت قصته، أو شخصيّة كانت تعرضها ... وراء ذلك عبرة تريد من الناس أن يلتفتوا حولها و يلتفتوا إليها.

• ولكن ما هي العبرة؟

إن الاعتبار أو العبرة أسلوب تربوي قرآني يقوم على انتقال الذهن من قصة أو واقعة مشهودة أو محكيّة إلى ما يقابلها أو ما يشابهها أو يناظرها من أحوال الناس أو المتعلّمين أو إلى ما يتوقّع أن تؤول إليه أحوالهم، أو أحوال شعب ما، أو مجتمع ما، أو أمّة ما ... قياساً على هذه القصة لأنّ مقدماتها وأحوال أبطالها تشبه ما عليه هذا الفرد المعتبر أو هذا الشعب أو المجتمع، فيجب أن يكون المصير والمآل متشابهاً كما تشابهت المقدمات.

• كِتَابَانِ لَا يُسْتَعْنَى عَنْهُمَا فِي مَوْضُوعِ الْقَصَصِ الْقُرْآنِيِّ:

ثُمَّ كِتَابَانِ لَا يُسْتَعْنَى عَنْهُمَا، وَكَادَانِ يُغْنِيَانِ عَنِ الْغَيْرِ فِي هَذَا الْمَجَالِ:



١- كِتَابُ " الْقِصَصِ الْقُرْآنِيِّ لِصَلَاةِ عَبْدِ الْفَتَّاحِ الْخَالِدِيِّ، وَهُوَ أَوْسَعُ وَأَدْقُ مَا كُتِبَ فِي هَذَا الْمَجَالِ وَكَانَ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنِ الْمَوْضُوعَاتِ وَالْمَدَسُوسَاتِ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ قُفِّتْ بِتَلْخِيصِهِ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ نَظَرًا لِأَنَّهُ يَقَعُ فِي أَرْبَعَةِ مُجَلَّدَاتٍ.



٢- كِتَابُ " الْمُسْتَفَادُ مِنْ قِصَصِ الْقُرْآنِ " لِعَبْدِ الْكَرِيمِ زَيْدَانَ، وَاسْمُهُ يُنْبِئُ عَنِ مَضْمُونِهِ.

٢- الْقِصَصُ النَّبَوِيُّ:

لَقَدْ ظَهَرَتْ الْقِصَّةُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ بِمَكَانَتِهَا الَّتِي تَلِيقُ بِهَا، وَلَقَدْ قَصَّ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْغَائِبَةِ، وَعَرَّفَهُمْ بِبَعْضِ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى مَسْرَحِ التَّارِيخِ مَا طَفَحَتْ بِهِ كُتُبُ السُّنَّةِ.

وَنَلَفْتُ النَّظَرَ هُنَا إِلَى أَنَّ مَوْضُوعَ الْقِصَصِ مِنَ الْمَوَاضِيْعِ الَّتِي نَشَطَ فِيهَا الْوَضْعُ وَالِدَسُّ وَالْإِفْتِرَاءُ، فَعَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يَتَوَقَّعَ مِمَّا يُقَدِّمُهُ لِجُمْهُورِهِ تَمَامَ التَّوَقُّعِ، وَلِيَحْذَرَ أَنْ يَحْمِلَهُ الشَّرُّ عَلَى رِوَايَةِ كُلِّ مَا وَصَلَتْ يَدُهُ إِلَيْهِ، وَوَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَيْهِ.



يَقُولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الصَّلَاحِ: اعْلَمْ أَنَّ الْحَدِيثَ الْمَوْضُوعَ شَرُّ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَلَا تَحِلُّ رِوَايَتُهُ لِأَحَدٍ عِلْمَ حَالِهِ فِي أَيِّ مَعْنَى كَانَ إِلَّا مَقْرُونًا بِبَيَانٍ وَضَعَهُ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ الَّتِي يُحْتَمَلُ صِدْقُهَا فِي الْبَاطِنِ حَيْثُ جَازَ رِوَايَتُهَا فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ.

نَمَاجٍ مِمَّا قِصَّهُ عَلَيْنَا رَسُولُنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

لقد أَلَفْتُ كِتَاباً جَمَعْتُ فِيهِ بَعْضاً مِنَ الْقِصَصِ النَّبَوِيِّ بِعُنْوَانِ

" مُخْتَارَاتٍ مِمَّا قِصَّهُ عَلَيْنَا الرَّسُولُ مِنْ قِصَصِ السَّابِقِينَ "

و سَقْتُ فِيهِ (١٥) قِصَّةً وَهَذِهِ بَعْضُهَا:

١- قِصَّةُ أَصْحَابِ الْغَارِ وَهِيَ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ رَوَاهَا الشَّيْخَانُ.



٢- قِصَّةُ الثَّلَاثَةِ : الْأَبْرَصِ وَالْأَقْرَعِ وَالْأَعْمَى، وَهِيَ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ
أَيْضاً وَرَوَاهَا الشَّيْخَانُ.



٣- قِصَّةُ جُرَيْجٍ مَعَ وَالِدَتِهِ وَهِيَ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ جَدًّا وَقَدْ رَوَاهَا الشَّيْخَانُ.



٤- قِصَّةُ الْغُلَامِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَهِيَ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ جَدًّا وَقَدْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ.



وقد قَصَّصْتُ أَكْثَرَ هَذِهِ الْقِصَصِ مِنْ فَوْقِ مَنْبَرِي، وَفِي بَعْضِ الْمَحَافِلِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ.

١٠- الخُطيبُ والحَكايا

حكايا العَرَب – حكايا الأُمَم – الحَكايا الشَّعبية

النَّاسُ والحَكايا:

لَطالَمَا أُولِعَ النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ بِسَمَاعِ الحَكايا، فاستَمَعُوا لها، واستَمَتَعُوا بها، وفهَمُوا ما فيها، وعَمِلُوا بأحسَنَ ما فيها.

ويَسْتَطِيعُ الحَطيْبُ- حَطيْبُ المَنابِرِ والمَحاوِلِ- أن يَجْعَلَ من حِكايةٍ من الحَكايا، أو قِصَّةٍ من القِصصِ، مُقَدِّمَةً لِحُطْبَتِهِ أو كَلِمَتِهِ – وما أَحسَنَها إِذْنَ وما أَحلاها – أو مِسكَ الخِتَامِ – وما أروَعَهُ من خِتَامٍ – أو شاهِداً على فِكرةٍ من الفِكرِ الَّتِي طَرَحَها في حُطْبَتِهِ أو كَلِمَتِهِ.

بين الصِّحَّةِ والعِبرة:

و لعلَّ فِينا مَن يَقولُ: ولكن هل يُشترَطُ في الحَكايا أن تُكونَ قد وَقَعَت فِعْلاً، ووصلت إلينا بِسندٍ مُعْتَبَرٍ؟

لقد أَجابَ فُقهاؤُنَا عن هذا الاستفسارِ فقد قالَ الرَّملي في نِهايةِ المُحتاجِ (١٦٥ / ٨) " ومِثْلُه – في الجِلِّ و الجَوازِ – سَماعُ الأَعايِبِ والعَرائبِ من كُلِّ ما لا يُتَيَقَّنُ كَذِبُه بقصدِ الفُرجةِ، بل و لو تُيَقَّنُ كَذِبُه لَكِن قُصدَ به ضَرْبُ الأَمثالِ والمَواعِظِ وتعليمِ نَحو الشَّجاعةِ على ألسِنَةِ آدميِّين أو حَيواناتٍ "

وقد نَقَلَ ابنُ عابِدين النِّصَّ السَّابِقَ في حاشِيَتِهِ (٤٠٥ / ٦) واعتمَدَه بِشَكلٍ عامٍ ومَثَلٌ بمقاماتِ الحَريريِّ وقالَ " فَإِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الحِكاياتِ الَّتِي فيها عن الحارِثِ بنِ هَمَّامٍ والسُّروجيِّ لا أَصلَ لها، وإِنَّمَا أتى بها على هذا السِّياقِ العَجيبِ لِمَا لا يَخفى على مَن يُطالِعُها " .



حِكاية فيها عبرة:

المَلِكُ وَالْوَزِيرُ وَالْكِلابُ



كَانَ عِنْدَ مَلِكٍ لثِيْمٍ جَبَّارٍ، عَشْرَةُ كِلَابٍ شَرَسَةٍ مُفْتَرَسَةٍ كِبَارٍ، وَكَانَ إِذَا مَا غَضِبَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ بِهِ فِي قَفْصِ تِلْكَ الْكِلابِ فَمَزَّقَتْهُ إِرْبَاءً، وَأَكَلَتْهُ حَيًّا!



وَذَاتَ يَوْمٍ غَضِبَ الْمَلِكُ عَلَى وَزِيرٍ مِنْ وَزَرَائِهِ - كَانَ قَدْ أَمْضَى فِي خِدْمَتِهِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ - فَأَمَرَ بِهِ الْمَلِكُ أَنْ يُلْقَى هُوَ الْآخَرُ فِي قَفْصِ تِلْكَ الْكِلابِ، فَالْمَلِكُ عَادِلٌ! يُسَوِّي بَيْنَ شَعْبِهِ فِي عُقُوبَتِهِ!

طَلَبَ الْوَزِيرُ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يُؤَخَّرَ عُقُوبَتَهُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ فَقَطْ، كُلَّ يَوْمٍ مُقَابِلَ خِدْمَتِهِ لِذَلِكَ الْمَلِكِ سَنَةً، فَوَافَقَ الْمَلِكُ، وَسُرَّعَانَ مَا مَضَتْ الْأَيَّامَ الْعَشْرَةَ، وَهَاهُوَ ذَا الْوَزِيرُ يُقَادُ مَكْبَلًا عَلَى مَرَأَى مِنَ الْمَلِكِ وَكُلِّ حَاشِيَّتِهِ، ثُمَّ يَقْدَفُ بِهِ إِلَى قَفْصِ تِلْكَ الْكِلابِ، وَهِيَ ذِي الْكِلابِ تُسْرِعُ نَحْوَهُ وَتُحِيطُ بِهِ وَتَلْحَسُ قَدَمِيهِ.

تَفَاجَأَ الْمَلِكُ وَمَنْ مَعَهُ، أَوْلِيَّ صَالِحٍ؟ أَوْ سَاحِرٌ مُخَادِعٌ؟ أَمْ مَاذَا هُوَ هَذَا الْوَزِيرُ؟
أَخْرَجَ الْوَزِيرُ مِنَ الْقَفْصِ وَأَحْضَرَ إِلَى الْمَلِكِ وَدَارَ بَيْنَهُمَا هَذَا الْجِوَارُ:

الْمَلِكُ: مَاذَا فَعَلْتَ لِهَذِهِ الْكِلابِ؟ أَسَحَرْتَهَا؟



الْوَزِيرُ: لَا يَا سَيِّدِي، كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنِّي أَنْفَقْتُ تِلْكَ الْأَيَّامَ الْعَشْرَةَ الَّتِي جَدْتُ عَلَيَّ بِهَا فِي خِدْمَةِ تِلْكَ الْكِلابِ فَأَطَعَمْتُهَا، وَدَاعَبْتُهَا، وَلاَعَبْتُهَا، عَشْرَةَ أَيَّامٍ فَقَطْ، وَهِيَ ذَا تَحْفَظُنِي!
يَا سَيِّدِي الْمَلِكُ!

فَهَمَّ الْمَلِكُ مُرَادَ الْوَزِيرِ وَلَكِنَّهُ رَغَمَ ذَلِكَ قَتَلَهُ، فَلَمَّا رَأَتْ الْكِلابُ مَا فَعَلَ الْمَلِكُ بِالْوَزِيرِ انْطَلَقَتْ نَحْوَهُ فَتَقَتَتْهُ!

تَجْرِبَةٌ نَاجِحَةٌ:

خَطَبْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ عَنِ الْمُخَدِّرَاتِ وَأَثَرِهَا عَلَى مَنْ يَتَعَاطَاهَا وَعَلَى أُسْرَتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ ... وَاكْتَفَيْتُ بِسَرْدِ بَعْضِ الْقِصَصِ الْوَاقِعِيَّةِ لِلْأَنْاسِ وَقَعُوا فِي شَرَكِ الْإِدْمَانِ.

- كَيْفَ وَقَعُوا فِي شَرَكِ الْإِدْمَانِ؟

- وَكَيْفَ كَانَ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَصِحَّتِهِمْ وَمَالِهِمْ وَأَهْلِهِمْ ...؟

- وَكَيْفَ كَانَتْ نِهَائِيَّتُهُمْ هَلْ تَابُوا أَمْ مَاتُوا عَلَى إِدْمَانِهِمْ؟

وَرَأَيْتُ فِي هَذَا نَفْعًا أَكْثَرَ مِنْ سَرْدِ كَلَامِ الْأَطِبَّاءِ، وَإِحْصَاءِ دَوَائِرِ الْإِحْصَاءِ.



١١- الخَطيْبُ والصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

.... وَالَّذِينَ مَعَهُ:

إنهم - أعني الصحابة - ذاك الجيل العظيم من الرجال والنساء، من الكهول والشبان وحتى الأطفال من العرب والعجم الذين اصطفاهم الله واختارهم من بين البشر أجمعين لصحبة صفوته من خلقه، وكبير أنبيائه، ومقدم مرسليه، سيدنا محمد ﷺ، ولنصر دينه، ورفع رايته، ونشره في مشارق الأرض ومغاربها، فقاموا بذلك خير قيام، وتحملوا في سبيل ذلك ما لا يمكن أن تتحمله الجبال ففارقوا في سبيل الله أوطانهم، وبدلوا في سبيل الله أموالهم ودماءهم، وخصموا في سبيل الله أقرب أقربائهم.



وتأمل معي قول الله في حقهم:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۗ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۗ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَابِهِ ۖ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۖ ﴾ [الفتح: ٢٩]

تجد أن الله عز وجل كما بشر بخاتم مرسله في الكتب السابقة كالنوراة والإنجيل فإنه - أيضاً - بشر بأصحاب وأتباع هذا النبي ﷺ الذين عاصروه وتحملوا أعباء الدعوة معه! فأئجيل ذاك الجيل الذي بشر الله به الأرض قبل ظهوره بقرون وقرون!؟

مَكَانَةُ التَّابِعِ بِمَكَانَةِ المَتَّبِعِ:

هذا ومِمَّا لا ارتيابَ فيه، ولا جدَلَ حَوْلِهِ، أَنَّ مَكَانَةَ التَّابِعِ تَعْلُو وتَسْمُو بِعَلْوٍ
وَسُمُو مَكَانَةَ المَتَّبِعِ!

وقُلْ لي بِرَبِّكَ مَنْ أَعْظَمُ قَدْرًا، وَأَعْلَى شَأْنًا، وَأَفْخَمُ أَمْرًا، وَأَبْقَى ذِكْرًا،
وَأَكْثَرُ تَابِعًا، وَأَعْظَمُ مُعْجَزَةً ... من سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؟

فَهُمْ إِذَا خَيْرُ أَتْبَاعِ لِخَيْرِ رَسولٍ مَتَّبِعِ.

أَصْحَابُ وَأَصْحَابُ!



وقُلْ لي بِرَبِّكَ أَيْنَ مِنَ أَصْحَابِ الرَّسولِ ﷺ
أَصْحَابُ كَلِيمِ اللَّهِ مُوسَى؟ أَوْلِيكَ الَّذِينَ نَجَّاهُم اللَّهُ
مِن ظُلْمِ الطَّاغِيَةِ فِرْعَوْنَ وَآلِهِ، وَأَغْرَقَهُ اللَّهُ عَلَى
مَرَأَى مِنْهُمْ هُوَ وَآلِهِ، وَأَطْعَمَهُم المَنَّ، وَأَنْزَلَ
عَلَيْهِم السَّلْوَى ... يَوْمَ طَلَبَ إِلَيْهِمْ نَبِيُّهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا
الأَرْضَ المَقْدَسَةَ - دُخولًا فَقَطْ بِلا قِتَالٍ - فَكانَ
جوابُهُم ما حَكَاه لَنَا القرآنُ عَنْهُمْ

﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ

وَرَبِّكَ فَقَاتِلْ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٥٤]

وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ عِيسَى أَوْلِيكَ الَّذِينَ رَأَوْهُ يُحْيِي المَوْتَى - بِإِذْنِ اللَّهِ -
وَيَبْرِئُ الأَكْمَةَ والأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ دَلِيلًا
مادِيًّا! لِكِي تَطْمِئِنَّ قُلُوبُهُمْ ، وَتَشْبَعَ بِهِ بَطُونُهُمْ!

﴿ إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ
عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ
أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ

الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٣]

بَلْ أَيْنَ هُمْ أَصْحَابُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ أَلْقَاهُ قَوْمُهُ فِي

السَّعِيرِ، لِكِي يَمْنَعُوهُ أَوْ يَنْصُرُوهُ؟





وأين هم أصحاب لوطٍ عليه السَّلَامُ يومَ أحاطَ بِدارِهِ قومُهُ
الشُّذَاذُ يُراودونَهُ عن ضيُوفِهِ ليفجُرُوا بِهِم حَتَّى الجَوُوهُ أن
يقولَ ما حَكَاهُ لنا القرآنُ:

﴿ قَالَ لَوْ أَنِّي بِيحْمٍ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠]

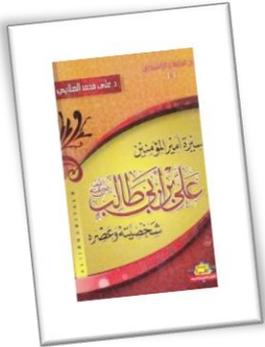
الإساءةُ إلى التَّابِعِ إساءةٌ إلى المَتَّبِعِ!

ومِمَّا لا جِدَالَ فِيهِ أيضاً أَنَّ التَّابِعَ كما يَسْمُو بِسْمَوْ مَتَّبِعِهِ، فإنَّ المَتَّبِعِ
أيضاً يَتَأدَّى كُلَّ الأذى بِالْحَاقِ الأذى بِصَاحِبِهِ وتَابِعِهِ وَمَن لَهُ انتِسابٌ إِلَيْهِ.

وَمِن هُنَا فَقدَ أَجمَعَ العُلَمَاءُ والعُقلاءُ على أَنَّ الإساءةَ لِجَبيلِ الصَّحَابَةِ –
عُموماً – أو إلى فِئَةٍ مِنْهُم على وَجهِ الخُصوصِ، أو إلى فَرْدٍ مِنْهُم – رَجُلًا
كان أمِ امْرَأةً – بالذَّاتِ هِيَ أوْلاً وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ! إساءةٌ إلى جَنابِ الرِّسولِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإيذاءٌ لَهُ وتَأَمَّلْ مَعِيَ قولَ الحَقِّ:

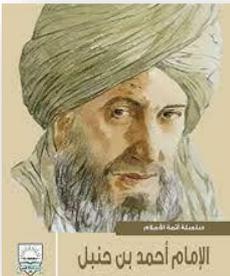
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيِرَ مَا
اكتَسَبُوا فَقدَ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧ - ٥٨]

يقولُ الصَّلَابي في كِتَابِهِ (عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِبٍ): هذه الآيةُ تَضَمَّنَتْ
التَّهْدِيدَ والوَعِيدَ بالطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ والعَذَابِ المُهِينِ لِمَن آذَى اللهُ
بِمُخَالَفَةِ أوامِرِهِ وارتكابِ زَواجِرِهِ ... وإيذاءِ رَسولِهِ، وَمِمَّا يُؤذِيهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبُّ أَصْحَابِهِ ...



ونَقَلَ ابنُ الجوزِيِّ عن أحمدَ بنِ حنبلٍ قولَهُ " إذا رأيتَ الرَّجُلَ
يَذْكَرُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسولِ اللهِ ﷺ بِسوءٍ فَاتَّهَمَهُ على
الإسلامِ "

أقولُ: وَالَّذِي دَعَانِي إلى هذه الإِطالَةِ – وهي قَليلَةٌ في
جَنابِهِمُ الكَرِيمِ – هو أَن:



١- أن جيلنا هذا قد وَهتَ صَلْتُهُ بِذَاكَ الْجَيْلِ الْعَظِيمِ -جِيلِ الصَّحَابَةِ- حَتَّى بَاتَ مَا يَعْرِفُهُ عَنِ الْفَنَّانِينَ مِنْ مُمَثِّلِينَ وَمُطْرِبِينَ وَرَاقِصَاتٍ وَرَاقِصِينَ ... وَعَنْ لَاعِبِي كُرَةِ الْقَدَمِ أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ مِمَّا يَعْرِفُهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، وَأَذْكَرُ أَنَّ امْرَأَةً - مُثَقَّفَةً -! سَأَلْتَنِي يَوْمًا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالنَّصَارَى، وَيَقُولُ أَحَدُ مُدْرَسِي الْجَامِعَةِ: طَلَبْتُ مِنْ طُلَّابِي الْجَامِعِيِّينَ أَنْ يَذْكُرُوا لِي أَسْمَاءَ أَرْبَعِ زَوَاجَاتٍ مِنْ زَوَاجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ فَتَصَاحُوا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ "عائشة"، "خديجة" ثُمَّ تَوَقَّفَ الْجَمِيعُ فَطَلَبَ مِنْهُمْ الْأَسْمَاءَ النَّالِيَةَ وَبَعْدَ صَمْتٍ رَهيبٍ صَاحَ أَحَدُهُمْ "فاطمة!" فَأَيُّ طُلَّابِ جَامِعِيينَ هُوَ لَاءَ الَّذِينَ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ زَوَاجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ وَبَنَاتِهِ؟!!

الْخَطِيبُ وَأَصْحَابُ الْحَبِيبِ ﷺ:

على كُلِّ مُسْلِمٍ - فَكَيْفَ بِالذُّعَاةِ وَالْخُطَبَاءِ - أَنْ يَكُونَ عَلَى صِلَةٍ طَيِّبَةٍ بِأَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ مُطَالَعَةِ أَخْبَارِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَمَا بَدَّلُوهُ فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ، فَهَمَّ الْجَيْلُ الَّذِي لَمْ يُسْبِقْ بِمِثْلِهِ، وَلَنْ يَأْتِيَ بَعْدَهُ مِثْلُهُ أَبَدًا.

وَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَذَرٍ فَلَيْسَ كُلُّ مَا يَقْرُوهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَوْ ذَلِكَ هُوَ صَحِيحٌ فِي ذَاتِ الْأَمْرِ، فَقَدْ تَعَرَّضْتُ سِيرَةَ الْأَصْحَابِ لِلتَّنْشِوِيهِ الْمُتَعَمِّدِ وَتَأَمَّلْ مَعِيَ قَوْلَ ابْنِ الصَّلَاحِ (ص / ٢٩١) " هَذَا عِلْمٌ كَبِيرٌ قَدْ أَلَّفَ النَّاسُ فِيهِ كُتُبًا كَثِيرَةً، وَمِنْ أَحْلَاهَا وَأَكْثَرَهَا فَوَائِدَ كِتَابُ (الاستيعاب) لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ لَوْلَا مَا شَانَهُ بِهِ مِنْ إِبْرَائِدِهِ كَثِيرًا مِمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَحِكَايَاتِهِ عَنِ الْإِخْبَارِيِّينَ لَا الْمُحَدِّثِينَ، وَغَالِبٌ عَلَى الْإِخْبَارِيِّينَ الْإِكْتَارُ وَالتَّخْلِيطُ فِيمَا يَرَوْنَهُ " اهـ.

يَقُولُ أَسْتَاذُنَا "العنتر" فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى النَّصِّ السَّابِقِ:

وَتَمَّةٌ كُتِبَتْ أُخْرَى مَهْمَةٌ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ وَهِيَ:

١- كِتَابُ " أَسْدُ الْغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ " لِابْنِ الْأَثِيرِ (ت).

(٦٣٠ هـ)

جَمَعَ فِي كِتَابِهِ هَذَا بَيْنَ الْكُتُبِ الَّتِي هِيَ غَايَةٌ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ الْجَمْعُ فِي الصَّحَابَةِ حَتَّى عَهْدِهِ فَاجْتَمَعَ لَهُ /٧٥٠٠/ مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ ابْنُ حَجْرٍ:

" إِنْ أَتَى نَبِيٌّ مِنْ قَبْلِهِ، فَخَلَطَ مَنْ لَيْسَ صَحَابِيًّا بِهِمْ، وَأَغْفَلَ كَثِيرًا مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْهَامِ الْوَاقِعَةِ فِي كُتُبِهِمْ ".



٢- كِتَابُ " الْإِصَابَةِ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ " لِابْنِ حَجْرٍ (ت ٨٥٢ هـ)

جَمَعَ فِي كِتَابِهِ مَا كَتَبَهُ السَّابِقُونَ، وَأَعَادَ النَّظَرَ فِي مَرَاجِعِ الصَّحَابَةِ الْأُولَى مِنْ كُتُبِ السُّنَّةِ وَتَارِيخِ الرُّوَاةِ وَالسِّيَرِ وَالْمَغَازِي فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَسْمَاءَ صَحَابَةٍ فَاتَتْ غَيْرَهُ.

٣- كِتَابُ " حَيَاةِ الصَّحَابَةِ " لِلْكَانْدَهْلَوِيِّ (ت ١٣١٣ هـ)



وَهُوَ كِتَابٌ بَدِيعٌ جَدًّا فِي هَذَا الْفَنِّ، تَنَاوَلَ فِيهِ سِيرَةَ الصَّحَابَةِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُمْ أَمْثَلَةً عَلِيًّا فِي تَطْبِيقِ هَذَا الدِّينِ، وَمِنْ حَيْثُ كَوْنُهُمْ قُدْوَةً تُحْتَذَى فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالتَّقَى ... وَالْكِتَابُ بِهَذَا عُدَّةٌ هَامَةٌ وَسِلَاحٌ مَاضٍ لِلذَّاعِيَةِ لَا يُسْتَعْنَى عَنْهُ.

الصَّحَابَةُ وَالْمَنَابِرُ وَالْمَحَافِلُ:

قُلْنَا: إِنَّ الصَّحَابَةَ جَيْلٌ لَنْ يَتَكَرَّرَ، وَلَقَدْ بَرَزَ هَذَا الْجَيْلُ فِي كُلِّ جَانِبٍ وَ مِنْ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ، وَمَنْحَى مِنْ مَنَاجِيهَا فِي عُمُقِ الْإِيمَانِ، وَمَحَبَّةِ رَسُولِ الرَّحْمَنِ ﷺ، وَخِدْمَةِ الدِّينِ، وَكَانُوا مِثَالًا فِي الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَطَلَبِ الْعِلْمِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْقِيَادَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ... وَلَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ عَلَى أَيْدِيهِمُ الْكِرَامَاتِ وَخَرَقَ لَهُمُ الْعَادَاتِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ.

وَبِرَأْيِي فَإِنَّ الْخَطِيبَ لَوْ جَعَلَ مِنْ هَذَا الْجَيْلِ مَادَّةً لِحَطَابَتِهِ فِي الْمَنَابِرِ وَالْمَحَافِلِ لَكَفَاهُ هَذَا، وَلَقَدْ تَنَاوَلْتُ عَلَى مَنَابِرِي شَخْصِيَّاتٍ مِنْهُمْ كَالْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَأَذْكَرُ أَنِّي تَحَدَّثْتُ عَنْهُمْ زَمَنَ حَرْبِ لُبْنَانَ.

وَأَيْحَدِّرُ الْخَطِيبُ مِنْ سَرْدِ الْأَخْبَارِ الَّتِي يُوهِمُ ظَاهِرُهَا التَّنْقِصَ مِنْهُمْ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ سَرْدِ مَا جَرَى بَيْنَهُمْ مِنْ حُرُوبٍ وَخِلَافَاتٍ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ هَذَا - عِنْدَ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ ذَاكَ الْجَيْلِ وَمُلَابَسَاتِ الْأَحْدَاثِ - أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لِإِسَاءَةِ الظَّنِّ بِهِمْ.

١٢- الخَطيْبُ والفِقه

لا هذا ولا ذاك:

ليس بالضرورة أن يكون الخَطيْبُ فقيهاً مُتبحراً في فنِّ الفِقه، كما أنه لا يجوزُ - أبداً - ولا يصحُّ أن يكونَ مَقطوعَ الصِلَّةِ بالفِقه، فهو على كُلِّ حالٍ لسانُ الإسلامِ والنَّاطِقُ الرَّسميُّ باسمه، وهل يكونُ لسانُ الإسلامِ والنَّاطِقُ باسمه من يجهلُ الفِقهَ الإسلاميَّ؟

ما لا يسعُ الخَطيْبَ جهله:

إنَّ الخَطيْبَ - وإن لم يكن مُتبحراً في دراسةِ الفِقه - لا يسعه الجهلُ بثلاثةِ مَنَاح:

١- الخُطوطُ العامَّةُ للفِقه الإسلاميِّ بأركانه الثَّمانيَّة وهي: العباداتُ، و الحلالُ والحرامُ، و الأسرةُ، و المُعاملاتُ المَالِيَّةُ، و العقوباتُ، و القضاءُ، و الجهادُ، و السِّياسةُ ونظامُ الحُكم.



ومِمَّا يَنبغي ذِكرُه هنا - وهو ممَّا يُؤسِفُ له ويُخشى منه - أنَّ أهلَ العِلْمِ - في عصرنا - أكْبُوا على بَابين أو ثلاثةٍ من أبوابِ الفِقه وهي: العباداتُ، و الحلالُ والحرامُ، و الأسرةُ.... أكْبُوا عليها دراسةً وتدرِيساً وتألِيفاً في حين أنَّهم هَجَرُوا باقيَ أبوابِ الفِقه حتَّى صارت نَسياً مَنْسِياً، وليقلَّ لي قارئِي هل سَمِعَ خُطبةَ يوماً في فِقه الجِهادِ، أو نظامِ الحُكم، أو السِّياسةِ، أو نظامِ القضاءِ، اللَّهُمَّ إلا أن تكونَ خُطبتُه في مَدحِ رجالِ السِّياسةِ وسياساتِهِم مِمَّن يتولَّونَ زمامَ الأمورِ هنا أو هناك في عالمنا الإسلاميِّ الكَبير!



٢-أحكام الخُطبةِ الفِقهيةِ: لأنَّهم ممَّن يُمارسُها فهم أولى بمعرفتها وحثها، وذلك لئلا يُوتى من جهة جهله بها، ولاغذر للخطيب - في رأيي - إن كان يتبع مذهباً أن يكون جاهلاً ببقية المذاهب فيما يتصل بأحكام الخُطبة: خُطبة الجمعة والعِيدين ... والأولى به أن يكون حكيماً ويُرَاعِي مذهب جمهوره ليألفهم وليبقى فيهم داعيةً وإماماً.

أين تقوى الله؟

هكذا قال لي أحدُ الأخوةِ المُصلِّينَ بعدَ انتهاءِ صلاةِ الجمعةِ فابتسمتُ وقلتُ له على الفور: التقوى ههنا وأشرتُ إلى صدره، فتنبَّسَ الرَّجُلُ وقال: ليسَ هذا ما عَنيتُ، بل عَنيتُ لماذا لم تأمرُ بتقوى الله أثناءَ الخُطبةِ؟

فأخبرتُ الرَّجُلَ وهو من أهلِ العِلْمِ والأدبِ واللِّبَاقَةِ بأنَّ هذه المسألة من المسائلِ الخِلافيةِ وأنا أخذتُ برأيي من لا يرى الأمرَ بتقوى الله من أركانِ الخُطبةِ ولزيادةِ الإيضاحِ أقول:

إنَّ لِخُطبةِ الجمعةِ شروطاً لا بدَّ منها لكي تصحَّ وثمة مذهبان:

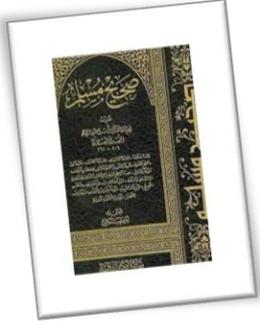
الأول: ويمثله الحنفيَّةُ ويكتفى عندهم بكلِّ ذكْرٍ يُمكنُ أن يُسمَّى في عُرْفِ النَّاسِ خُطبةً، فمتى قام الخطيبُ بذلكَ بعدَ دُخولِ الوَقتِ فقد تَأدَّى الشرطَ وصحَّت الخُطبةُ سواءً أكانَ قائماً أم قاعداً، أتى بخُطبتينِ أو بخُطبةٍ واحدةٍ، تلا فيها قرآناً أم لا، عربيَّةً كانت أم أعجميَّةً، غيرَ أنَّه يُشترطُ أن تكونَ بعدَ دُخولِ الوَقتِ وقبلَ الصَّلَاةِ.

الثاني: ويمثله الجمهورُ من المالكيةِ والشافعيةِ والحنابلةِ حيثُ اشترطوا لها خُطبتينِ، واعتبرَ الشافعيةُ - ومذهبهم هو السائدُ في قُرى بلادنا - أركاناً خمسةً لا بدَّ منها:

وهي: حمدُ الله، والصَّلَاةُ على رسوله، والأمرُ بالتقوى في كُلِّ من الخُطبتينِ.

والرابع: قراءةُ آيةٍ من القرآنِ في إحداهما.

والخامس: ما يقع عليه اسمُ الدُّعاءِ للمؤمنينَ في الخطبةِ الثانيةِ.
وأضيفُ إلى ما سبقَ أنه كانَ الأولى بي - وقد التزمته فيما بعدُ - أن أراعي
مثلَ هذه القضاياِ الخلافيةِ، وأخذُ بما قالَ به الشافعيةُ لأنه أولاً يتضمَّنُ ما
قاله الحنفيَّةُ وزيادةً، وهو أيضاً أكثرُ جمعاً لقلوبِ النَّاسِ وهو من مقاصدِ
الإسلامِ الكبرى.



رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (١٧٣٢) أَنَّهُ
قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ
قَالَ:

" بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا "

خُطْبَةُ الْبِسْمَلَةِ:



وهذا موقفٌ أغربُ من سابقه وخلاصةُ هذه القصةِ
أني كنتُ خطيباً في إحدى القرى وكنتُ إذا صليتُ
الجمعة لا أجهزُ بالبسملةِ عملاً بمذهبِ الإمامِ أبي
حنيفة، وتفاجأتُ عندما وصلني النبأُ بأنَّ خطيبَ المسجدِ
المجاورِ أفرَدَ خطبةً كاملةً - رجَّحَ فيها - رضيَ اللهُ
عنه - بطلانَ صلاتي بالناسِ لأني لا أجهزُ بالبسملةِ!

وللايضاح أقول:

جاءَ في الموسوعةِ الكويتيةِ (١٦ / ١٨١) ما نصُّه:

ذهبَ الحنفيَّةُ والحنابلةُ إلى أنه تُسنُّ قراءةُ البسملةِ سراً في
الصلاةِ السريَّةِ والجهريَّةِ.

قال الترمذي: وعليه العملُ عند أكثرِ أهلِ العلمِ من أصحابِ
النبيِّ ﷺ ومن بعدهم من التابعين، ومنهم أبو بكرٍ وعمرُ
وعثمانُ وعلي.



وهذا ما حكاه ابنُ المُنذِرِ عن ابنِ مَسْعُودٍ وَعَمَّارِ وابنِ الزُّبَيْرِ وَالْحَكَمِ وَحَمَّادِ
وَالأَوْزَاعِيِّ وَالثَّوْرِيِّ وابنِ المُبَارَكِ .

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَن أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّىتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعَمْرُ
وَعُثْمَانُ فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقْرَأُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،...

وَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ إِلَى أَنَّ السُّنَّةَ الْجَهْرُ بِالتَّسْمِيَةِ فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ فِي
الْفَاتِحَةِ وَفِي السُّورَةِ بَعْدَهَا ...

وَيَرَى المَالِكِيَّةُ عَلَى المَشْهُورِ كَرَاهَةَ اسْتِفْتَاكِ القِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ بِالبَسْمَلَةِ
مُطْلَقًا فِي الفَاتِحَةِ وَفِي السُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا سِرًّا وَجَهْرًا.

وَقَالَ القِرَافِيُّ مِنَ المَالِكِيَّةِ: الوَرَعُ بِالسَّمَلَةِ أَوَّلَ الفَاتِحَةِ خُرُوجًا مِنَ الخِلَافِ
إِلَّا أَنَّهُ يَأْتِي بِهَا سِرًّا وَيُكْرَهُ الجَهْرُ بِهَا .

أَقُولُ: وَلَوْ أَنَّ ذَاكَ الخَطِيبَ العَبْقَرِيَّ اطَّلَعَ عَلَى هَذَا لَعَلَّمَ أَنَّ مَذْهَبَ
الجُمُهورِ عَدَمُ الجَهْرِ بِالبَسْمَلَةِ فِي صَلَاةِ الجُمُعَةِ وَهُوَ المَذْهَبُ الأَقْوَى دَلَالَةً
وَالأَكْثَرُ اتِّبَاعًا وَلَكِنَّهَا الحِمَاقَةُ.

٣- إذا ما تَطَرَّقَ الخَطِيبُ لِمَسْأَلَةٍ فِقْهِيَّةٍ فَعَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَطْرَحَهَا مِنْ عَلَيِ مِنْبَرِهِ
أَوْ فِي مَحْفَلٍ مِنْ مَحَافِلِهِ أَنْ يَقْتُلَهَا بَحْثًا، وَيُلِمَّ بِهَا كُلَّ الإِلْمَامِ لِأَنَّهَا سَتُنْقَلُ عَنْهُ
إِذْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَطْرَحُهَا عَلَى مَلَأٍ، وَلَكَمْ اسْتَمَعْنَا إِلَى خُطْبَاءٍ تَنَاولُوا قَضَايَا فِقْهِيَّةٍ
لَمْ يُشَبِّعُوا بِحَثًّا فَضَّلُوا فِيهَا وَأَضَلُّوا حَتَّى احْتَاجُوا إِلَى الاعْتِدَارِ أَو التَّصْحِيحِ
فِيمَا بَعْدُ أَوْ أَصْرُوا عَلَى خَطِّهِمْ!

موقفان مختلفان حدثا معي:

• عند صلاة الجنزة:

فَرَعْنَا يَوْمًا مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ فَإِذَا بِجَنَازَتَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ إِحْدَاهُمَا لِرَجُلٍ وَالْأُخْرَى لِامْرَأَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ الْمَرَأَةَ مِمَّا يَلِي النَّاسَ وَجَنَازَةَ الرَّجُلِ مِنْ وَرَائِهَا فَلَقْتُ نَظَرَ النَّاسِ إِلَى أَنَّ السُّنَّةَ عِنْدَمَا تَجْتَمِعُ الْجَنَائِزُ أَنْ تُقَدَّمَ الرَّجُلَ مِمَّا يَلِي النَّاسَ وَتُؤَخَّرَ جَنَازَةَ الْمَرَأَةِ فَإِذَا بِرَجُلٍ (طَبِيبٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ فَقِيهٌ) يَقُولُ: وَلَكِنْ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ هَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ فَسَكَتُ لِأَنِّي لَا أَعْلَمُ أَصَوَابٌ مَا قَالَهُ ذَلِكَ الطَّبِيبُ الْفَقِيهَ أَمْ لَا، وَلَمَّا عُدْتُ إِلَى الْمَسْأَلَةِ وَجَدْتُ أَنَّهَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهَا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فَلَمَّا أَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ قَالَ لِي: هَكَذَا ظَنَنْتُ!



• رجل يقاطع الخطيب:

كنتُ أخطبُ وتطرقتُ خلالَ خُطْبَتِي إِلَى بَعْضِ أَحْكَامِ الطَّلَاقِ فَإِذَا بِرَجُلٍ (وَهُوَ شَيْخُ الْبَلَدَةِ!) يُقَاطِعُنِي وَيُحْطِنُنِي وَلَكِنِّي أَعَدْتُ الْمَعْلُومَةَ كَمَا قَدَّمْتُهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَاطَعَنِي ثَانِيَةً وَحْطَنُنِي وَلَكِنِّي أَصْرَرْتُ وَمَضَيْتُ وَذَلِكَ لِأَنِّي كُنْتُ عَلَى ثِقَةٍ تَامَّةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَعْلُومَةِ وَعَلَى جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ وَرَاجَعْتُ مَا قَالَهُ أَيْمَةٌ حَرَجُوا عَنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ وَأَطَالَمَا قُلْتُ لِنَفْسِي: مَاذَا كَانَ سَيَحْدُثُ مَعِي لَوْ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ مَعْلُومَاتِي؟

الْمِنْبَرُ وَالْفِقْهُ:

ليس المنبر هو المكان المناسب لإطرح القضايا الفقهية فالفقه رجاله ودروسه، وإن كان ولا بُدَّ فالخطوط العامة وبذكاء تكفي.

ولكن ...



كنت ذات مرّة أعطي طلابي درساً في فقه الصيام وكان الدرس في مسجد - قبل أن تأسس المعهد - فحضر معنا طبيب من أهل الجمعة والجماعة ولما وصلت إلى هذه المسألة: وهي أن من جامع امرأته في نهار رمضان بطل صيامه ووجب عليه إمساك ما تبقى من يومه ثم قضاء ذلك اليوم مع الكفارة وهي صيام سنتين يوماً فمَنْ عجزَ أطمع سنتين مسكيناً، فإذا به تحفظ عيناه، و يكاد يتوقف قلبه ورنثاه، فعلمت خبره قبل أن يُصارحني بما في نفسه!

ولما أن انتهى الدرس دنا نحوي وقال: يا أستاذ: مسألة ذكرتها في درسيك وأحب أن أتوثق منها فقلت له لعلك تقصد: من جامع زوجته في نهار رمضان ... قال نعم، ولما تأكد الرجل قال: إني لم أكن أعلم بهذا الحكم حتى الآن وإني لأجامع زوجتي منذ عشرة أعوام ظناً مني أن الجماع لا يفطر!

ولم يكن ذلك الطبيب أول المتورطين بهذا الأمر، بل إني ما درّست هذا الدرس إلا و رأيت العشرات من أمثال طبيبنا، فقلت لِنفسي: هل من المعقول والمقبول أن أتحدث عن روحانيات رمضان لجمهورٍ يجهلون أبسط أحكام صيام رمضان؟

فأخذت على نفسي أن أجعل من أول خطبة في رمضان بياناً لأهم أحكام الصيام، تاركاً التفصيل للدرس الذي لا يكاد يحضره أحد بعد الصلاة!

وقل في فقه الصلاة والزكاة والأسرة ... ما قلت في فقه الصيام، فلذا فقد زادت جرعة الفقه على منبري وفي المحافل التي أتحدث بها لهذا المعنى والله أ

١٣- الخطيبُ والعربيَّةُ نحوها وصرْفُها

سَوَطُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ:

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ - وَغَيْرُهُ - فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ عَنْ عَطَاءٍ
(١٥٥٧) أَنَّهُ قَالَ:

بَلَّغْنِي أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سَمِعَ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِالْفَارَسِيَّةِ فِي الطَّوَافِ
فَأَخَذَ بَعْضُهُ وَقَالَ: ابْتَغِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ سَبِيلًا ...

وَرَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ - بِإِسْنَادٍ غَيْرِ قَوِيٍّ - أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ يَرْمُونَ فَقَالَ "
بئسَ ما رَمَيْتُمْ " فَقَالُوا لَهُ: إِنَّا قَوْمٌ مُتَعَلِّمُونَ!

فَقَالَ لَهُمْ: وَاللَّهِ لَذَنْبِكُمْ فِي لِحْنِكُمْ أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ ذَنْبِكُمْ فِي رَمِيْكُمْ.

وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ: مِنْ أَبِي مُوسَى، فَكَتَبَ إِلَيْهِ
عُمَرُ: أَنْ اجْلِدِ كَاتِبَكَ سَوَطًا.



أَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ الْخَلِيفَةَ الرَّاشِدَ عُمَرَ وَرَضِيَ عَنْهُ، لَقَدْ
عَاقَبَ الْكَاتِبَ الَّذِي أَخْطَأَ وَلَحَنَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، عَاقِبَهُ بِأَنْ
يُضْرَبَ سَوَطًا، فَكَيْفَ بِهِ لَوْ اسْتَمَعَ إِلَى خُطْبِ خُطْبَائِنَا الْيَوْمِ
مِنْ عَلَى مَنَابِرِهِمْ، أَوْ فِي مُحَافِلِهِمْ ...

وَقَدْ عَطَّلُوا أَكْثَرَ حُرُوفِ الْجَرِّ فَارْتَفَعَ مَا بَعْدَهَا جِينًا
وَأَنْتَصَبَ جِينًا آخَرَ.

وَلَمْ تَعُدِ النَّوَاصِبُ - عِنْدَهُمْ - قَادِرَةً عَلَى إِظْهَارِ فَتْحِهَا عَلَى آخِرِ
الْمُضَارِعِ.

كَمَا لَمْ تَعُدِ الْجَوَازِمُ قَادِرَةً عَلَى الْإِطَاحَةِ بِضَمَّةٍ مَا بَعْدَهَا، أَوْ بِنُونِهِ - إِنْ
كَانَ مِنَ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ - أَوْ بِحَرْفِ الْعِلَّةِ

وَأَمَّا الْمُثَنَّى وَجَمْعُ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ، فَقَدْ لَزِمَ عِنْدَهُمْ حَالَةٌ وَاحِدَةً،

وَصَارَتِ الْأَسْمَاءُ السِّتَّةُ مُعْضِلَةً عِنْدَهُمْ.

وصُرفَ المَمْنوعِ من الصرفِ، ومنعَ المَصروفِ فخطيبٌ يمنعُ جَعفراً من الصَّرفِ، وآخرَ يصرفُ فلسطينَ (الحُكَّامُ تصرَّفوا والمَشايخُ صرَّفوا) ...
أقولُ: لا شكَّ عندي أنَّه كانَ سيجلِدُ كلَّ واحدٍ من هؤلاءِ التُّعساءِ ثمانينَ جلدَةً حدَّ الافتراءِ على اللُّغةِ العربيَّةِ نحوها وصرْفِها.

تَشَدُّدٌ وَلَكِنْ فِي مَحَلِّهِ:

ولَئِنْ كانَ الخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ عاقِبَ الَّذِي لَحَنَ بِسُوطِ يَشُوي ظَهْرَهُ، عَلَّ أَلَمَهُ يَدْعُوهُ لِلتَّعْلُمِ وَيَحْجِزُهُ عَنِ اللَّحْنِ، فَإِنَّ الإِمَامَ الأَصْمَعِيَّ أَدْخَلَ مِنْ يَلْحَنُ - أَوْ كادَ - فِي جُمْلَةٍ مِنْ يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

روى العَلَّامةُ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي كِتَابِهِ الفَدَّ " عِلْمُ الحَدِيثِ " ص/ ٢١٧ عَنِ الأَصْمَعِيَّ أَنَّهُ قالَ:

" إِنَّ أَخَوْفَ ما أَخافُ عَلَى طالِبِ العِلْمِ إِذا لَمْ يَعْرِفِ النُّحُوَّ أَنْ يَدْخَلَ فِي جُمْلَةٍ قولِ النَّبِيِّ ﷺ " **مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ** " قالَ: لِأَنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَلْحَنُ، فَمَهْمَا رَوَيْتَ عَنْهُ وَلَحَنْتَ فِيهِ كَذَبْتَ عَلَيْهِ.

قالَ ابْنُ الصَّلَاحِ: فَحَقَّ عَلَى طالِبِ الحَدِيثِ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنَ النُّحُوِّ واللُّغَةِ ما يَتَخَلَّصُ بِهِ مِنْ شَيْنِ اللَّحْنِ والتَّحْرِيفِ ومَعْرِتِهِما.

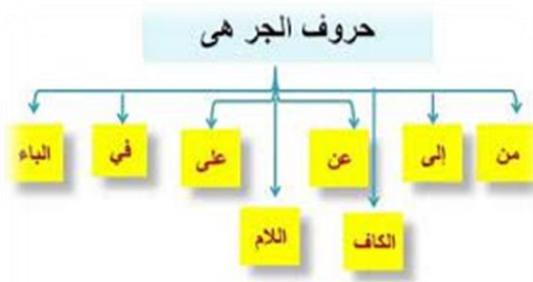
فُنُّ النُّحُوِّ:

مِنْ حُرُوفِ اللُّغَةِ ال (٢٩) تَتَرَكَّبُ كُلُّ كَلِمَاتِ العَرَبِيَّةِ عَلَى كَثَرَتِها أَسماءً وأفعالاً وحُرُوفاً دالَّةً عَلَى المَعانِي، وَمِنْ اجْتِماعِ الكَلِماتِ - عَلَى نِظامِ مَخْصُوصٍ - تَنشَأُ الجُمْلَةُ الأَسْمِيَّةُ والفِعْلِيَّةُ

وَمِنْ اجْتِماعِ الجُمْلِ تَتكوَّنُ الخُطْبَةُ.

وَعِلْمُ النُّحُوِّ هُوَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ القَواعِدِ - اسْتَنْبَطَها النُّحاةُ مِنْ كَلامِ العَرَبِ المَحْتَجِّ بِكَلامِهِمْ - تَهْدِي إِلى التَّرْكِيبِ السَّليْمِ للجُمْلَةِ العَرَبِيَّةِ.





فمن خلال علم النحو يتعرّفُ دارسُ النَّحوِ على حُرُوفِ الجَرِّ و أنّها مُختصّةٌ بالأسماءِ، وتعملُ فيها الجَرُّ، وعلامةُ الجَرِّ الكسرةُ إلا أن يكونَ الاسمُ ممنوعاً من الصَّرْفِ فتتوبُّ الفتحَةُ في آخره بدلاً عن الكسرةِ كما ويتعرّفُ الدّارسُ على الأسبابِ المانعةِ من الصَّرْفِ، ومتى يعودُ غيرُ المُنصرفِ مُنصرفاً.



ومن خلال علم النحو يتعرّفُ الدّارسُ على النّواصبِ الظّاهرةِ والمضمرةِ ومتى تُضمَرُ؟ وهل إضمارها على سبيلِ الوجوب أم على سبيلِ الجواز؟ كما ويتعرّفُ على أنّ علامة النّصبِ منها ما هو أصليٌّ ومنها ما هو نيايٌّ بدليٌّ .



ومن خلال علم النحو يتعرّفُ الدّارسُ على الجوازِمِ، ما يجزِمُ منها فعلاً واحداً، وما يجزِمُ فعلين (وهو أسلوبُ الشَّرطِ) و أثرُ دخولِ الجوازِمِ على المضارعِ، ومتى يُجزمُ المضارعُ بالطلبِ مثل: تَعَلَّمَ النَّحوَ تجتنبِ اللَّحْنَ .



ومن خلال علم النحو يتعرّفُ الدّارسُ على أسلوبِ المُنَادَى، ما كانَ منه مَبنيّاً، وما كانَ منه مُعرباً.

ومن خلال علم النحو يتعرّفُ الدّارسُ على أسلوبِ المَدحِ والمَدَمِّ، وأسلوبِ التَّعجُّبِ ... وهكذا

وعندَها يستقيمُ لسانُه، وتسلّمُ تراكيبهُ من اللَّحْنِ، فلا يرفعُ مَفْعولاً، ولا ينصبُ فاعِلاً، و...

فَنَّ الصَّرْفِ:

يَخْتَلِفُ فَنَّ الصَّرْفِ عَنِ فَنَّ النُّحُوِّ تَمَامَ الاختِلَافِ فَهُوَ لَا يُعْنَى بِتَرْكِيْبِ الجُمْلَةِ بَلْ لَهُ شَأْنٌ آخَرٌ وَهُوَ:

١- دِرَاسَةُ بُنْيَةِ الكَلِمَةِ مِنْ حَيْثُ سَلَامَتُهَا مِنْ أَحْرَفِ العِلَّةِ أَوْ إِصَابَتُهَا بِإِحْدَاهَا، وَمِنْ حَيْثُ مُحَافَظَتُهَا عَلَى أَحْرَفِهَا الأَصْلِيَّةِ أَمْ خَسَارَتُهَا لِإِحْدَاهَا، أَوْ اكْتِسَابُهَا لِحُرُوفٍ مَزِيدَةٍ ... الخ

٢- التَّوْلِيدُ: وَنَعْنِي بِهَا اسْتِخْرَاجَ كَلِمَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلُ اسْتِخْرَاجِ اسْمِ الفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ وَالصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ وَاسْمِ التَّفْضِيلِ ... الخ مِنَ المَصْدَرِ.

وَيَقْرَبُ مِنْهُ قَانُونُ التَّنْيِينِ وَالجَمْعِ بِأَنْوَاعِهِ المُخْتَلِفَةِ وَالنَّسَبِ ... الخ.

وَجَهْلُ الخَطِيبِ بِهَذَا الفَنَّ يَجْعَلُهُ يَحْتَارُ وَيَرْتَبِكُ فِي تَحْوِيلِ المُفْرَدِ إِلَى مُثَنَّى أَوْ جَمْعٍ أَوْ نَسَبِ كَلِمَةٍ أَوْ تَصْغِيرِهَا أَوْ إِسْنَادِ حَرْفٍ أَوْ ضَمِيرٍ إِلَيْهَا.

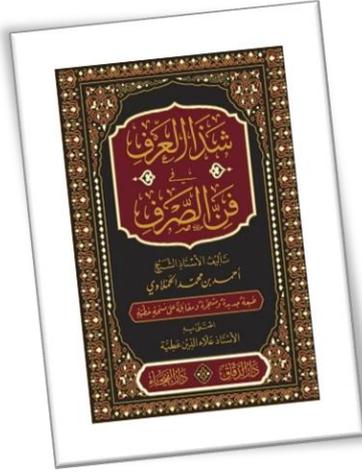
يَرُوي الجَاحِظُ فِي كِتَابِهِ " البَيَانُ وَالتَّبْيِينُ " ١ / ٣١٩ يَقُولُ: كَانَ يوسُفُ بْنُ خَالِدٍ يَقُولُ: (هَذَا أَحْمَرٌ مِنْ هَذَا) يُرِيدُ أَشَدُّ حُمْرَةً مِنْ هَذَا.

أَقُولُ: وَمَعْنَى كَلَامِ الجَاحِظِ أَنَّ اسْمَ التَّفْضِيلِ لَا يُشْتَقُّ بِشَكْلِ مُبَاشِرٍ مِنَ الوَصْفِ الَّذِي عَلَى وَزْنِ (أَفْعَل) مِثْلَ: (أَحْمَرٌ وَأَصْفَرٌ) بَلْ يُؤْتَى بِمَصْدَرِهِ بَعْدَ اسْمِ مُسَاعِدٍ مِثْلَ: هَذِهِ البَقْرَةُ أَكْثَرُ صُفْرَةً مِنْ تِلْكَ ... وَلَا نَقُولُ أَصْفَرٌ مِنْهَا ...

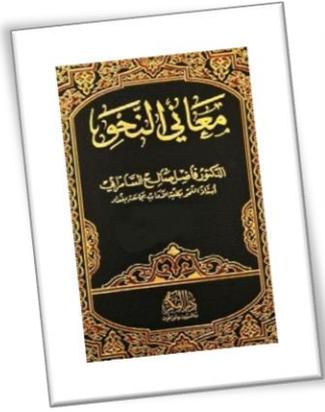
جَوْلَةٌ مَعَ المَصَادِرِ وَالمَرَاجِعِ:

لَقَدْ أَنْفَقْتُ شَطْرًا مِنْ عُمُرِي مَعَ فَنَّ النُّحُوِّ وَالصَّرْفِ حَتَّى إِنِّي حَفِظْتُ أَلْفِيَةَ ابْنِ مَالِكٍ وَشَرَحَهَا لِابْنِ عَقِيلٍ كَمَا وَحَفِظْتُ كُتُبَ ابْنِ هِشَامِ (القَطْرَ وَالشُّدُورَ وَالأَوْضَحَ وَالمُغْنِي ...) وَقَرَأْتُ (شَذَا العَرَفِ وَالمُسْتَقْصَى) ...

وَأَنَا لَا أَدْعُو الخَطِيبَ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ هَذَا وَلَا أَكْثَرَهُ، وَحَسْبُهُ كِتَابٌ مِثْلُ الدُّرُوسِ النُّحُوِّيَّةِ (الْجُزءِ الأَخِيرِ) وَكِتَابِ (شَذَا العَرَفِ) فِي الصَّرْفِ عَلَى أَنْ يَقْرَأَ هَذِهِ الكُتُبَ عَلَى مُخْتَصِّ وَخَبِيرٍ وَإِلَّا فَلَا فَائِدَةَ .



وإني لألفتُ نظرَ مُحِبِّي النّحوِ لكتابِ " معاني النّحو " للدُّكتورِ الفاضلِ فاضلِ السَّامِرانيِّ ففِيهِ أسرارُ النّحوِ العَرَبِيِّ وهو شيءٌ غَيْرُ القواعدِ.



تَجْرِبَةٌ لَوْ تَتَكَرَّرُ:

أحسَّتْ وزارةُ الأوقافِ بالتدهورِ المرعبِ الَّذِي أصابَ كثيرينَ من العاملينَ في حَقْلِ الخُطابةِ، ولا سيَّما في مَجالِ اللُّغةِ العَرَبِيَّةِ، فاللَّحْنُ الفاجِسُ زَلزَلَ المَنابِرَ، و دَقَّ ناقوسَ الخَطرِ ... فلِذا دَعَتِ الوِزارَةُ إلى دَوَراتِ إلزامِيَّةٍ! حُسِرَ لها الخُطباءُ، و وُكِّلَ إليَّ مَلَفُ اللُّغةِ العَرَبِيَّةِ في إحدى المُحافظاتِ وكانَ اللِّقاءُ الأوَّلُ غيرَ مُبشِّرٍ؛ فعدَمُ الرِّضا من البَعْضِ من جِهَةٍ، واستِصغارُهم لي من جِهَةٍ أُخرى حَالا دونَ بَدايةٍ مُبشِّرةٍ، ولكِنِّي تَجاهَلْتُ هذا ومَضَيْتُ إلى أن حُزْتُ على اهِتمامِهم وإعجابِهم ولكِنَّها لَمْ تَكُنْ كافيَةً من حيثِ المُدَّةِ، ولم تَتَكَرَّرْ!

١٤- الخَطِيبُ والبَلَاغَةُ بَلَاغَةُ الخَطِيبِ والأَقْوَالِ البَلِيغَةُ

وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً:

يقول العَلَمَةُ الفخرُ الرَّازِيُّ في تفسيره (١٢٤ / ١٠) إِنَّ القَوْلَ البَلِيغَ صِفَةٌ للوعظِ، فأمرَ اللهُ بالوعظِ، ثمَّ أن يَكُونَ ذلكَ الوَعظُ بالقولِ البليغِ وهو أن يَكُونَ كَلَاماً بليغاً طويلاً حَسَنَ الألفاظِ، حَسَنَ المَعَانِي، مُشْتَمِلاً على التَّرغيبِ والتَّرهيبِ، والإِحذَارِ والإِنذَارِ، والنُّوَابِ والعِقَابِ، فَإِنَّ الكَلَامَ إذا كان هكذَا عَظْمٌ وَقَعَهُ في القَلْبِ.

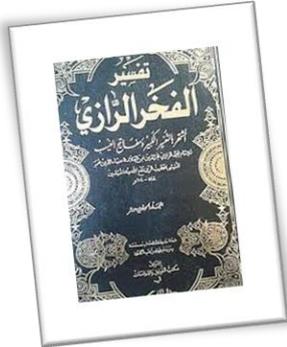
وإذا كَانَ مُختَصِراً رَكِيكٌ اللَّفْظِ قَلِيلَ المَعْنَى لم يُؤثِّرِ البَتَّةَ في القَلْبِ.

ويقولُ صَاحِبُ الظَّلَالِ (٦٩٢ / ٢) هَذَا تَعْبِيرٌ مُصَوَّرٌ، كَأَنَّما القَوْلُ يُودَعُ مُبَاشِرَةً في الأَنفُسِ، وَيَسْتَقِرُّ مُبَاشِرَةً في القُلُوبِ.

رَوَى أَصْحَابُ السُّنَنِ -واللَّفْظُ لِلتِّرْمِذِيِّ- عَنِ العَرَبَابُضِ بنِ سَارِيَةَ (٢٦٧٦) أَنَّهُ قَالَ:

وَعَظَّنَا رَسولُ اللهِ ﷺ ... مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ،
وَوَجَلَّتْ مِنْهَا القُلُوبُ ... الحَدِيثُ.

قالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



فُنُّ البَلَاغَةِ:



لِلْبَلَاغَةِ غَايَةٌ تَخْتَلِفُ تَمَامَ الاختِلَافِ عَنِ غَايَةِ النَّحْوِ، فَلَمَّا كَانَ هَدَفُ النَّحْوِ الْهَدَايَةَ لِتَقْوِيمِ اللِّسَانِ، وَتَجْنِيهِهَ اللَّحْنَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي شَرَحْنَاهُ، فَإِنَّ غَايَةَ البَلَاغَةِ هِيَ إِقْدَارُ صَاحِبِهَا عَلَى الوُصُولِ إِلَى قُلُوبِ الجُمُهورِ وَالتَّأثيرِ عَلَيْهَا وَإِقْنَاعِ العُقُولِ...

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ غَايَةٌ تَنْقَطِعُ دُونَهَا الأَعْنَاقُ فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهَا؟

وَلِلْإِجَابَةِ عَنِ هَذَا أَقُولُ: مُنْذُ عَهْدِ السَّكَاكِيِّ وَعُلُومِ البَلَاغَةِ تَنْفَرِّعُ إِلَى ثَلَاثَةِ عُلُومٍ:

عِلْمُ البَدِيعِ

وَهُوَ يُعْنَى
بِالمُحَسِّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ
وَذَلِكَ مِثْلُ: الجِنَاسِ
وَالسَّجْعِ وَالمُحَسِّنَاتِ
المَعْنَوِيَّةِ وَذَلِكَ مِثْلُ:
الطَّبَاقِ وَالمُقَابَلَةِ...

عِلْمُ
المَعَانِي

وَهُوَ يُعْنَى
بِمُطَابَقَةِ الكَلَامِ لِما
يَقْتَضِيهِ الحَالُ وَفِيهِ
الخَبَرُ وَالإِنْشَاءُ
وَصُورُهُمَا،
والتَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ،
وَالذِّكْرُ وَالحَذْفُ...

عِلْمُ البَيَانِ

وَهُوَ يُعْنَى
بِالصُّورَةِ الشِّعْرِيَّةِ
تَشْبِيهًا أَوْ اسْتِعَارَةً
بِنَوْعِيهَا
التَّصْرِيحِيَّةِ
وَالمَكْنِيَّةِ أَوْ كِنَايَةً.



وأوّل الأمر هو دراسة قواعد البلاغة دراسةً جيّدةً، وخَيْرُ ما يبدأ به الطالبُ كتابُ " البلاغة الواضحة".

وثاني الأمر هو دراسة النماذج البلاغية دراسةً تحليليةً، وعندها يكتسب الطالبُ الفهمَ الصحيحَ للقواعدِ، والتَّحليلَ البارِعَ للشّواهدِ التي فَاهَ بها البُلغاءُ، والقدرةَ على المُحاكاةِ وعندها يُصيحُ الخطيبُ بليغاً.

الأقوالُ البليغةُ:

لقد خَلَقَ اللهُ خَلْقَهُ ووزَّعَ فيما بيْنَهُم مَنَحَهُ، وأعطى كُلاًّ من المَواهبِ ما لم يُعطِ غيرَه، ومن المَواهبِ التي مَنَحَها اللهُ لِبعضِ خَلْقِهِ فصاحَةٌ لِسانِهِم، وبلاغَةٌ أقوالِهِم، حتّى سارتَ بها الرُّكبانُ، وخُلِّدتْ في كتبِ الأدبِ وغيرها إلى آخرِ الزمانِ.

وذلك كالأمثالِ السَّائرةِ، والحكمِ المشهُورَةِ، والخطبِ الفدّةِ، والوصايا الرَّائعةِ، والأقوالِ المشهُورَةِ...

ويحسُنُ بالخطيبِ بل يجبُ عليه أن يكونَ حَسَنَ الاطِّلاعِ عليها، حافظاً لكثيرٍ منها، فإنّه سيستفيدُ منها في خُطبه على المنابرِ وفي المحافلِ ففيها تحليةٌ خُطبه، وتقويتُها، وتأبيدُها بما يسوقُها من تلكِ الاقتباساتِ.

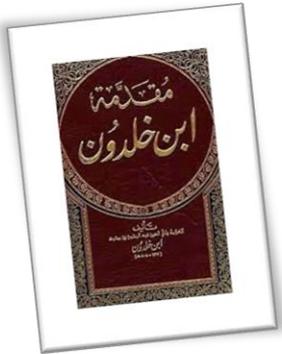
مَنابعُ الأدبِ:

يقولُ المؤرِّخُ ابنُ خلدون (١/ ٦٣): وسَمِعنا من شيوخنا في مجالسِ التَّعليمِ أن أصولَ هذا الفنِّ، وأركانَهُ أربعةٌ دواوينَ وهي:

١- أدبُ الكاتبِ لابنِ قُتَيْبة.

٢- وكتابُ الكاملِ للمُبرِّدِ.

٣- وكتابُ البيانِ والتبيينِ للجاحِظِ.



٤- وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي.



وما سوى هذه الأربعة فتبع لها، وفروع عنها، وكتب المحدثين في ذلك كثيرة.

أقول: فعلى الخطيب أن يطالع تلك الكتب أوقات فراغه، وليختار منها ما يراه مفيداً له في خطابته وخطبته مما جلّ معناه، وسهل إقاؤه على الخطيب، وفهمه على جمهوره ...

أم توصي ابنتها العروس:

أوصت أمانة بنت الحارث ابنتها أم إياس عند زواجها فقالت:
يا بنية احلمي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً:



- ١- الصحبة بالقناعة.
- ٢- والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.
- ٣- والتعهد لموقع عينه.
- ٤- والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسّن، والماء أطيب الطيب المفقود.
- ٥- والتعهد لوقت طعامه.
- ٦- والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.
- ٧- والاحتفاظ ببيته وماله.
- ٨- والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير.
- ٩- ولا تفتني له سراً.
- ١٠- ولا تعصي له أمراً، فإنك إن أفضيت سيره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره.

١٥- الخُطيبُ والشِّعر

روحُ القدّسِ معك:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ عَنْ عَائِشَةَ (٥٠١٥) أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ لِحَسَّانَ مِنْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ يَهْجُو مِنْ قَالَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ رُوحَ الْقُدُّسِ مَعَ حَسَّانَ مَا نَافَحَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)).

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ "بَدْءِ الْخَلْقِ" عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ (٣٢١٢) أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ عُمَرُ فِي الْمَسْجِدِ وَحَسَّانُ يُنْشِدُ فَقَالَ: كُنْتُ أَنْشِدُ فِيهِ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ التَفْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ: أَنْشِدْكَ بِاللَّهِ: أَسْمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَجِبْ عَنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدُهُ بِرُوحِ الْقُدُّسِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

ما هو الشِّعرُ؟

ما الشِّعرُ إِلَّا كَلَامٌ كَغَيْرِهِ مِنَ الْكَلَامِ غَيْرَ أَنَّهُ يَمْتَازُ عَنْهُ بِأَنَّهُ مَوْزُونٌ مُقَفًى.

قَالَ صَاحِبُ الْعُمْدَةِ ص/ ١١٩: الشِّعرُ يَقُومُ بَعْدَ النَّبِيَّةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى وَالْوَزْنُ وَالْقَافِيَةُ، فَهَذَا هُوَ حَدُّ الشِّعْرِ وَقَالُوا: قَوَاعِدُ الشِّعْرِ أَرْبَعَةٌ: الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالطَّرْبُ وَالغَضَبُ فَمَعَ الرَّغْبَةِ يَكُونُ الْمَدْحُ وَالشُّكْرُ. وَمَعَ الرَّهْبَةِ يَكُونُ الْإِعْتِذَارُ وَالِاسْتِعْطَافُ. وَمَعَ الطَّرْبِ يَكُونُ الشُّوقُ وَرِقَّةُ النَّسِيبِ. وَمَعَ الْغَضَبِ يَكُونُ الْهَجَاءُ وَالْتَوَعُّدُ وَالْعِتَابُ الْمَوْجِعُ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِأَرْطَا بْنِ سَهْبَةَ: أَنْقُولُ الشِّعَرَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَطْرَبُ، وَلَا أَغْضَبُ، وَلَا أَشْرَبُ، وَلَا أَرْغَبُ، وَإِنَّمَا يَجِيءُ الشِّعْرُ عِنْدَ إِحْدَاهُنَّ.

إيضاح لا دفاع:

لبعض الناس سوء ظنّ بالشّعر وأهله على وجه العموم، وهذا خطأ بلا امتراء.



يقول العلامة عبد القاهر الجرجاني في دلائله ص/ ١٥ "وبعد فكيف وضع من الشعر عندك، وكسبه المقت منك، أنك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا يحسن، ولم يرفعه في نفسك، ولم يوجب له المحبة من قبلك أن كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب، وأن كان مجنى ثم العقول والألباب، ومجتمع فرق الآداب، والذي قيّد على الناس المعاني الشريفة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسل بين الماضي والغابر، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد...

وكيف رويت " لأن يمتلي جوف رجل قبحاً خيراً له من أن يمتلي شعراً "

[رواه الشيخان عن أبي هريرة]

وتركت قوله " إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحراً "

[رواه بهذا اللفظ أبو داود والترمذي]

وكيف نسيت أمره بقول الشعر، ووعدّه عليه الجنة، وقوله لحسان " قل وروح القدس معك " وسماعه له، واستنشاده إياه، وعلمه به، واستحسانه له، وارتياحه عند سماعه؟

أما أمره به فمن المعلوم ضرورة.

وكذلك سماعه إياه فقد كان حسان وابن راحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصغي إليهم ويأمرهم بالرّد على المشركين فيقولون في ذلك ويعرضون عليه ...

وأما استنشاده إياه فكثير، ومن ذلك الخبر المعروف استنشاده حين استسقى فسقى قول أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وأما علمه بالشعر فكما روي أن سودة أنشدت:

عديّ وتيمّ تبتغي من تحالف

فظننت عائشة وحفصة أنها عرّضت بهما ... فأخبر النبي ﷺ فقال: " يا ويلكّن
ليس في عديكّن ولا تيمكّن قيل هذا، وإنما قيل في عديّ تميم، وتيمّ تميم" ...

وأما ارتياعه واستحسانه له، فقد جاء فيه الخبر من وجوه

من ذلك حديث النابغة الجعديّ قال: أنشدت رسول الله ﷺ قولي:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا **وإنا نلرجو فوق ذلك مظهراً**

فقال النبي ﷺ: **أين المظهر يا أبا ليلى؟**

فقلت: الجنة يا رسول الله ... [عزاه في كنز العمال لابن عساكر]

وتابع قائلاً: ومنع الرسول ﷺ من الوزن سبيله سبيل الخط (الكتابة)، حيث
جعل لا يقرأ ولا يكتب لا من أجل كراهة كانت في الخط، بل لأن تكون
الحجة أبهر وأقدر، والدلالة أقوى وأظهر... " وللكلام بقية مهمة انظرها
عنده.

زاد الخطيب من الشعر:

ليس مطلوباً من الخطيب أن يحفظ كل الشعر، و لا أي شعر، بل ما
يخدم دعوته، ويقوي فكرته، وحسبه من السوار ما أحاط بالمعصم، وليتخير
من كل موضوع أجمل ما قيل فيه، وأوضح ما فيه ممّا يسهل القأوه من
الخطيب، وفهمه من جمهوره، ولطالما أحبّ الناس الشعر وتأثروا به.

منبري والشعر:

هذا ولطالما كان للشعر حضوره على منبري، وفي المحافل التي أقدم
للکلام فيها، وهذه أمثلة على ذلك:

السِّيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ:



حَطَبْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ عَنِ الْأَبْرَاجِ وَبَيَّنْتُ مَوْقِفَ الْعَقِيدَةِ
الإِسْلَامِيَّةِ مِنْ هَذِهِ التَّفَاهَاتِ وَالسَّخَافَاتِ الَّتِي قَدْ تَصَلُّ
بِصَاحِبِهَا إِلَى حَدِّ الْكُفْرِ، إِذَا مَا اعْتَقَدَ أَنَّ الْأَبْرَاجَ تَدُلُّ
عَلَى الْعَيْبِ أَوْ تُؤَثِّرُ فِي أَقْدَارِ الْبَشَرِ، وَاسْتَشْهَدْتُ عَلَى
ذَلِكَ بِقِصَّةِ عُمُورِيَّةٍ وَسَقَتُ أَبْيَاتَ أَبِي تَمَّامِ الرَّائِعَةِ فِي
ذَلِكَ، وَإِلَيْكَ الْقِصَّةُ وَمَا قِيلَ فِيهَا:

يَقُولُ السِّيَوطِيُّ فِي كِتَابِهِ " تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ " ص / ٢٤٥ " وَفِي سَنَةِ

(٢٢٣هـ) غَزَا الْمُعْتَصِمُ الرُّومَ فَأَنكَاهُمْ نِكَايَةً عَظِيمَةً لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهَا
لِخَلِيفَةٍ فَشَنَّتْ جُمُوعَهُمْ، وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ، وَفَتَحَ عُمُورِيَّةً بِالسِّيفِ، وَقَتَلَ
مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا، وَسَبَى مِثْلَهُمْ، وَكَانَ لَمَّا تَجَهَّزَ لِغَزْوِهَا حَكَمَ
الْمُنْجِمُونَ أَنَّ ذَلِكَ طَالِعُ نَحْسٍ وَأَنَّهُ يُكْسِرُ، فَكَانَ مِنْ نَصْرِهِ وَظَفَرِهِ
مَا لَمْ يَخْفَ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو تَمَّامٍ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ وَهِيَ هَذِهِ:



السِّيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لِامِعَةِ
أَيْنَ الرِّوَايَةِ؟ أَمْ أَيْنَ النُّجُومِ؟ وَمَا
تَخْرُصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً
وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ
وَصَيَّرُوا الْأَبْرَجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً
يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ
لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ
فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعْبِ
بَيْنَ الْخَمِيسِينَ، لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ
صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا عَرَبِ
إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الدَّنْبِ
مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ
مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطْبِ
لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ

الشعرُ المعاصر:

كنتُ سيِّءَ الظَّنِّ بالشَّعرِ الحَدِيثِ المُعاصِرِ تَعصُّباً للشَّعرِ القَدِيمِ ، و لكنِّي
عِنْدما اطَّلَعْتُ على الشَّعرِ الحَدِيثِ الاتِّباعِيِّ مِنْهُ كأشعارِ أَحْمَدَ شَوْقِي وحافظِ
إبراهيمِ والجواهري ... ، والإبداعِيِّ مِنْهُ كأشعارِ نِزارِ وأحمدِ مطرِ ...



محمد مهدي الجواهري



نزار قباني



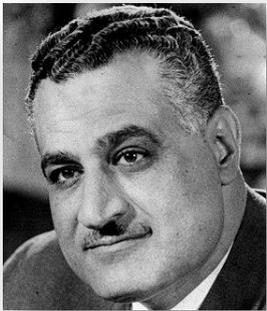
حافظ ابراهيم



أحمد شوقي

غَيَّرْتُ وَجْهَةَ نَظْرِي وَعَلَى مَا قَالَ عُمَرُ: الرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي
فِي الْبَاطِلِ، وَالَّذِي أَثَارَ انْتِبَاهِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءَ عَاصَرُوا الْأَحْدَاثَ وَعَلَّقُوا
عَلَيْهَا بِشَجَاعَةٍ وَجُرْأَةٍ وَمَوْضُوعِيَّةٍ وَدِقَّةٍ، فَيَحْسُنُ بِالْخَطِيبِ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَى
أَشْعَارِهِمْ تِلْكَ، وَيَسْتَشْهَدُ بِبَعْضِهَا مِمَّا يَسْهُلُ لَفْظُهُ وَيَتَأَلَّقُ فِي مَعْنَاهِ.

نزار و نكسة ١٩٦٧:



جمال عبد الناصر

هُزِمَ الْعَرَبُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ هَزِيمَةً نَكَرَاءَ ضَاعَتْ فِيهَا
سِينَاءُ وَالْجَوْلَانُ وَضَاعَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، الْمَسْجِدُ الَّذِي
فَتَحَهُ صَلاَحُ الدِّينِ النَّاصِرِ ضَاعَ زَمَنَ جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ.
وَهَا هُوَ ذَا الشَّاعِرُ نِزارِ قَبَّانِي يُعَلِّقُ عَلَى تِلْكَ الْهَزِيمَةِ
بِشْيءٍ مِنَ الْعُمُقِ وَهَذِهِ مُفْتَطَفَاتٌ مِمَّا قَالَهُ:



إِذَا خَسِرْنَا الْحَرْبَ لَا غَرَابَهُ

لَأَنَّا نَدْخُلُهَا

بِكُلِّ مَا يَمْلِكُهُ الشَّرْقِيُّ مِنْ مَوَاهِبِ الْخَطَابَةِ

بِالْعَنْتَرِيَّاتِ الَّتِي مَا قَتَلْتَ ذُبَابَهُ

لَأَنَّا نَدْخُلُهَا بِمَنْطِقِ الطَّبَلَةِ وَالرَّبَابَةِ

بِالنَّايِ وَالْمِزْمَارِ

لَا يَحْدُثُ انْتِصَارٌ

كَلَّفْنَا ارْتِجَانَنَا

خَمْسِينَ أَلْفَ خِيْمَةٍ جَدِيدَةٍ

مَا دَخَلَ الْيَهُودُ مِنْ حُدُودِنَا

وَإِنَّمَا

تَسْرَبُوا كَالنَّمْلِ مِنْ عَيْوَبِنَا

جُلُودِنَا مَيْتَةٌ الْإِحْسَاسُ

أَرْوَاحُنَا تَشْكُوا مِنَ الْإِفْلَاسِ

أَيَّامُنَا تَدُورُ بَيْنَ الزَّرَارِ، وَالشَّطْرَنْجِ، وَالنُّعَاسِ

هَلْ (نَحْنُ خَيْرُ أُمَّةٍ قَدْ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) ؟

كَانَ بُوْسَعٍ نَفِطْنَا الدَّافِقِ فِي الصَّحَارِي

أَنْ يَسْتَحِيلَ خِنْجَرًا مِنْ لَهَبٍ وَنَارِ

لَكِنَّهُ

يُرَاقُ تَحْتَ أَرْجُلِ الْجَوَارِي

لو أهدُ يمنحني الأمان
لو كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقَابِلَ السُّلْطَانَ
يا سيِّدي السُّلْطَانَ
لقد خَسِرْتَ الحَرْبَ مرَّتَيْنِ
لأنَّ نِصْفَ شَعْبِنَا
ليسَ له لِسَان
ما قِيمَةُ الشَّعْبِ الَّذِي لَيْسَ له لِسَان
يا سيِّدي السُّلْطَانَ
لقد خَسِرْتَ الحَرْبَ مرَّتَيْنِ
لأنَّكَ انْفَصَلْتَ عَنِ قَضِيَّةِ الْإِنْسَانِ



أحمد شوقي يرثي الخلافة عام ١٩٢٤:

و بَكَتْ عَلَيْكَ مَمَالِكُ وَ نَوَاحٍ
أَمَحَا مِنَ الْأَرْضِ الْخِلاَفَةَ مَاحٍ
وَنَضُّوا عَنِ الْأَعْطَافِ خَيْرَ وَشَاحٍ
كَيْفَ احْتِيَائِكَ فِي صَرِيحِ الرَّاحِ
وَالنَّاسَ نَقَلَ كِتَابِي فِي السَّاحِ
لَمْ تَسَلْ بَعْدُ عِبَادَةَ الْأَشْبَاحِ
حَتَّى تَتَاوَلَ كُلَّ غَيْرِ مُبَاحِ
وَجَدَ السَّوَادَ لَهَا هَوَى الْمُرْتَاحِ

ضَجَّتْ عَلَيْكَ مَآذِنٌ وَمَنَابِرٌ
وَالشَّمَامُ تَسَالُ وَالْعِرَاقُ وَفَارِسٌ
نَزَعُوا عَنِ الْأَعْنَاقِ خَيْرَ قِلَادَةٍ
إِنَّ الْغُرُورَ سَقَى الرَّئِيسَ بِرَاحِهِ
نَقَلَ الشَّرَائِعَ وَالْعَقَائِدَ وَالْقُرَى
تَرَكَتْهُ كَالشَّبَحِ الْمُؤَلَّهِ أُمَّةً
هَمْ أَطْلَقُوا يَدَهُ كَقَيْصَرَ فِيهِمْ
غَرَّتْهُ طَاعَتُ الْجُمُوعِ وَ دَوْلَةٌ

عبد الرحيم محمود واستشراف ضياع الأقصى:

أثناء زيارة الملك سعود (ولي العهد وقتها) إلى فلسطين والقدس عام ١٣٢٤هـ ١٩٣٥م زار قرية "عنتبا" التابعة لطول كرم بلدة الشاعر عبد الرحيم محمود فألقى هذه القصيدة التي حذّر فيها من سقوط القدس وهذا ما حصل بعد حين:



أنى توجه ركبُ

نجم السعود وفي جبينك مطلعُه
عزك يتبعُه

أم جنت من قبل الضياع تُودعه

المسجد الأقصى أجنت تزوره

ولكلّ أفاقٍ شريدٍ أربعه

حُرْمُ ثباعٍ لكلّ أوْكَعِ أبقي

دمعٌ لنا يهمي و سنُّ نقرعه

وغداً وما أدناه لا يبقى سوى



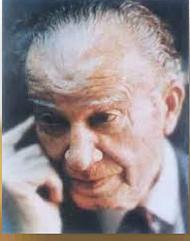
أحمد مطر واتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل:

النورُ فرَّ من حظيرة البقر، النورُ فرَّ
فثارتِ العجولُ في الحظيرة
تبكي فرارَ قائدِ المسيرة
وشكَّلت على الأثر
محكمةً ومؤتمراً
فقائلٌ قال: قضاءٌ وقدر
وقائلٌ: لقد كفر
وقائلٌ: إلى سقر
وبعضهم قال: امنحوه فرصةً أخيرة
لعله يعودُ للحظيرة
وفي ختامِ المؤتمر
تقاسموا مربطه، وقسموا شعيره
وبعدَ عامٍ وقعتْ حادثةٌ مثيرة
لم يرجعِ النورُ، ولكن....
ذهبت وراءه الحظيرة!

نزار قباني و اتفاقية أوسلو بين السلطة وإسرائيل ١٩٩٣ :



لم يعدُ ثَمَّةَ أَطْلَالٍ نَبكي عَلَيْها
كَيْفَ تَبكي أُمَّةٌ
أخذُوا مِنْها المَدَامِعَ؟؟
بعدَ هذا الغَزَلِ السَّرِيِّ في أوسلو
خَرَجنا عاقِرِينَ..
وَهَبونا وَطْناً أصغرَ مِنْ حَبَّةِ قَمْحٍ...
وَطْناً نَبْلُغُه من غيرِ ماءٍ
كحُبوبِ الأَسْبِرِينَ...!
بعدَ خَمسينَ سَنَةً
نَجِلسُ الآنَ.. على أرضِ الخرابِ...
مألنا مأوىً
كآلافِ الكِلابِ
ما وَجَدنا وَطْناً نَسْكُنُه إِلاَّ السَّرابِ
ليسَ صَلْحاً
ذلكَ الصُّلْحُ الذي أُدخِلَ كالخنجِرِ فينا
إنَّه فِعْلٌ اغْتِصابِ



أبو ريشة يُناجي الأمة:

أُمَّتِي هَلْ لِكَ بَيْنَ الْأُمَمِ
أَتَلَقَّاكَ وَطَرْفِي مُطْرِقٌ
وَ يَكَادُ الدَّمْعُ يَهْمِي عَابِثًا
الْإِسْرَائِيلَ تَعَلُّو رَايَةً
كَيْفَ أَغْضَيْتِ عَلَى الذُّلِّ وَلَمْ
أَوْ مَا كُنْتِ إِذَا الْبَغْيُ اعْتَدَى
وَ دَعَى الْقَادَةَ فِي أَهْوَائِهَا
رُبَّ وَامْتَعَصِمَاهُ انْطَلَقَتْ
لَامَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ لَكِنَّهَا
أُمَّتِي كَمْ صَنِمٌ مَجْدَتِهِ
لَا يُلَامُ الذَّنْبُ فِي عُدْوَانِهِ
مِنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ
خَجَلًا مِنْ أَمْسِكَ الْمُنْصَرِمِ
بِبَقَايَا كِبْرِيَاءِ الْأَلَمِ
فِي حِمَى الْمَهْدِ وَظِلِّ الْحَرَمِ؟
تَنْفُضِي عَنْكَ غُبَارَ التُّهْمِ؟
مَوْجَةً مِنْ لَهَبٍ أَوْ مِنْ دَمٍ؟
تَتَفَانِي فِي خَسِيسِ الْمَغْنَمِ
مِلءَ أَفْوَاهِ الْبَنَاتِ الْيَتِيمِ
لَمْ تُلَامِسِ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ
لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طُهْرَ الصَّنَمِ
إِنْ يَكُ الرَّاعِي عَدُوَّ الْغَنَمِ

١٦- الخُطيبُ والعُلومُ المُعاصرة



لَقَدْ تَقَدَّمتِ العُلومُ في القَرْنِ الأخيرِ تَقَدُّماً مُذهِلاً
وَ لَئِنْ كَانَتِ البَشَرِيَّةُ فِيمَا مَضَى تَحْبُو حَبِواً فَإِنَّهَا وَمُنْذُ
قَرْنٍ مِنَ الزمانِ تُحَلِّقُ بِجَنَاحَيْنِ، حَيْثُ اسْتَطَاعَ
الإنسانُ أَنْ يَخْتَرِقَ طَبَقَاتِ الجَوِّ، وَيُغَادِرَ الأَرْضَ
ووصلَ إلى القَمَرِ وَحَطَّ رِحالَهُ عَلَيهِ، بَلْ وَتَجَاوَزَهُ
إلى غيرِهِ، كَمَا واسْتَطَاعَ أَنْ يَصَلَ إلى أعمقِ
الأعماقِ في المُحيطاتِ.



وَإِذا يَمَمْنَا وَجَهْنَا شَطَرَ الطِّبِّ رَأينا العَجَبِ
العُجابِ حَيْثُ اسْتَطَاعَ الإنسانُ أَنْ يَسْتَبْدِلَ الأَعْضاءَ
التَّالِفةَ كَالقَلْبِ وَالكُلَيْتَيْنِ وَالأَمْعاءِ بِغيرِها مِنْ جَسَدِ
فارِقَتُهُ الحِياةَ.

كَمَا وَتَقَدَّمتِ وَسائِلُ الاتِّصالاتِ وَالمُواصلاتِ حَتَّى باتَ العالَمُ كُلُّهُ كِبَلَدَةً
صَغِيرَةً لا يَخْفَى على أَحَدٍ مِنْ أَهلِها ما يَجْرِي في أَطرافِها.



وَصارَ طُلابُ المَدارسِ الابْتدائيَّةِ وَ الإِعداديَّةِ
وَالثَّانَوِيَّةِ يَقْرؤُونَ في مَدارسِهِم مُخْتلَفَ العُلومِ وَأَصنافِ
الفُنونِ مِنَ العُلومِ وَالرِّياضيَّاتِ وَالفِيزياءِ وَالكِيمياءِ...
الخ

وَلا يَنْبَغِي لِلخُطيبِ أبدأً وَهُوَ لِسانِ الإِسلامِ وَالنَّاطِقِ الرَّسْمِيِّ بِاسمِهِ أَنْ
يَقِفَ مَكْتوفَ اليَدَيْنِ أَمامَ هَذا التَّقَدُّمِ الهائلِ في العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ بَلْ عَلَيهِ أَنْ يَنالَ
نَصيِبَهُ مِنْهُ حَتَّى تَتَّسِعَ مَدارُكُهُ، وَتَقوى حُجَّتُهُ، وَتُسمَعُ كَلِمَتُهُ، وَيُخاطَبَ النَّاسَ
على قَدْرِ عُلومِهِم وَعُقولِهِم.

وَإِذا كانَ كَثيْرٌ مِنَ الدُّعاةِ وَالخُطباءِ لَمْ يَنْلُقُوا هَذهَ العُلومَ وَهُم على مَقاعدِ
الدِّراسَةِ لانشِغالِهِم بِالعُلومِ الشَّرعيَّةِ وَالعَرَبِيَّةِ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُعَوِّضُوا عَن ذلكِ
بِمُطالَعَةِ الكُتُبِ، وَمُجالَسَةِ المُخْتَصِّينَ، وَمُتابَعَةِ البَرامِجِ العِلْمِيَّةِ المُعتمَدَةِ،
وَالمَواقِعِ المُتَخَصِّصَةِ، وَما أَكثَرُها وَأغزَرَ ما فِيها.

ولعلَّ خَيْرَ طَرِيقَةٍ لَتَنَاوُلِ هَذِهِ الْعُلُومَ وَعَرَضِهَا هُوَ رِبْطُهَا بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
وَطَرِحِهَا تَحْتَ مَا بَاتَ يُعْرَفُ بِالْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَيَزِدَادُ
الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا إِلَى إِيْمَانِهِمْ.



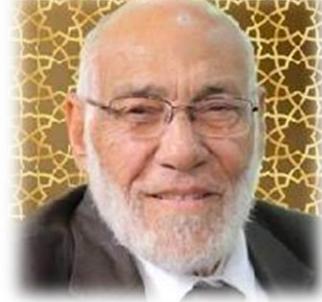
ولقد تناوَلتُ الكَثِيرَ من هَذِهِ الْقَضَايَا وَفِي مُنَاسَبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فَتَحَدَّثْتُ عَنِ
إِعْجَازِ الْقُرْآنِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ مُعْتَمِدًا عَلَى مَا أَلْفَهُ الْمُتَخَصِّصُونَ مِنْ
أَمْثَالِ الدُّكْتُورِ "زَغُولِ النَّجَّارِ" وَ"الزَّنْدَانِيِّ" وَ"الْكَحِيلِ" وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ.



الكحيل



الزنداني



النجار

١٧- علمانيون ولكن لا يشعرون

تنبهوا أيها الخطباء!



- رَوَى البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ ، بَاب : هَدَايَا الْعَمَالِ عَنْ أَبِي حُمَيْدِ السَّاعِدِيِّ (٧١٧٤) أَنَّهُ قَالَ:

اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأُتْبِيَّةِ عَلَى صَدَقَةٍ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ:

هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أَهْدَى لِي، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: " مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ: هَذَا لَكَ، وَهَذَا لِي، فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ" إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَعِيرُ

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ إِلَّا هَلْ بَلَغَتْ ثَلَاثًا.



- وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَمَّاسَةَ (١٤١٤) أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

" الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، فَلَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ ...
الحديث "



- وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (١٩١٧) أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:

" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ " أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ ...
الحديث "

- وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (٢٢٩٦) أَنَّهُ قَالَ :
صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ عَلَى قَتْلِي أُحُدٍ ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ ... فَقَالَ:
" وَلَكِنِّي أَخَشَى عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا
كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ "
قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ.

وروى النسائي عن عرفجة بن شريح الأشجعي (٤٠٢٠) أنه قال رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ على المِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ فَقَالَ: " إِنِّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارِقَ الْجَمَاعَةِ، أَوْ يُرِيدُ تَفْرِيقَ أَمْرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ كَائِنًا مِنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارِقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ".



• وروى النسائي في سننه عن عائشة (٤٦٦٥) أنها قالت: " لَمَّا نَزَلَتْ آيَاتُ الرَّبِّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَتَلَاهُنَّ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ حَرَّمَ التِّجَارَةَ فِي الْخَمْرِ".

• وروى النسائي في سننه عن ثابت (٢٣٠٤) أنه قال سمعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ وهو على المِنْبَرِ يَخْطُبُ ويقولُ: **قال محمد ﷺ: " مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا، فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَةِ "**.

العِلْمَانِيَّةُ:

هي تَرْجُمَةٌ غَيْرُ دَقِيقَةٍ وَغَيْرُ صَاحِحَةٍ وَغَيْرُ أَمِينَةٍ لِمُصْطَلَحٍ غَرْبِيٍّ يَعْنِي " اللّادِينِيَّةَ " أَوْ " الدُّنْيَوِيَّةَ " وَلَيْسَ الْمَعْنَى مَا يُقَابَلُ الْآخِرَوِيَّةَ فَحَسْبُ، بَلْ بِمَعْنَى مَا لَا صِلَةَ لَهُ بِالدِّينِ.

يقول الدكتور القرضاوي في كتابه الإسلام والعلمانية " ص / ٤٨ " وإِنَّمَا تُرْجِمَتِ الْكَلِمَةُ الْأَجْنِبِيَّةُ بِهَذَا اللَّفْظِ " الْعِلْمَانِيَّةَ " لِأَنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا التَّرْجُمَةَ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ كَلِمَتِي " الدِّينِ " وَ " الْعِلْمِ " إِلَّا مَا يَفْهَمُهُ الْغَرْبِيُّ الْمَسِيحِيُّ مِنْهَا.



وَالدِّينُ وَالْعِلْمُ فِي مَفْهُومِ الْإِنْسَانِ الْغَرْبِيِّ مُتضَادَّانِ مُتَعَارِضَانِ، فَمَا يَكُونُ دِينِيًّا لَا يَكُونُ عِلْمِيًّا، وَ مَا يَكُونُ عِلْمِيًّا لَا يَكُونُ دِينِيًّا، فَالْعِلْمُ وَالْعَقْلُ، يَقَعَانِ فِي مُقَابِلِ الدِّينِ، وَالْعِلْمَانِيَّةُ وَالْعَقْلَانِيَّةُ فِي الصَّفِّ الْمُضَادِّ لِلدِّينِ.



وجاء في كتاب "العلمانية وموقف الإسلام منها" ص/ ٣٣٥ " من هذا يتضح لنا أنه لا علاقة لكلمة العلمانية بالعلم وإنما علاقتها قائمة بالدين على أساس سلبي وهي نفي الدين عن مجالات الحياة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ...

حقيقة العلمانية (اللا دينية):

جاء في المعجم الدولي الثالث الجديد العلمانية " اتجاؤه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب ألا تتدخل في الحكومة "

وباختصار: هي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم فهي إذن اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي اهـ.

العلمانية ضد الدين:

يقول القرضاوي في كتابه "الإسلام والعلمانية" ص/ ٢٣ " إن العلمانية بمعيار الدين دعوة مرفوضة لأنها دعوة إلى حكم الجاهلية أي: إلى الحكم بما وضع الناس لا بما أنزل الله.

إنها دعوة تتعالم على الله، وتستدرك على شرعه وحكمه، كأنها تقول لله رب العالمين نحن أعلم بما يصلح لنا منك، والقوانين – التي أدخلها الغرب إلى ديارنا في عهد استعمارهم – أهدى سبيلاً من أحكام شريعتك!

فماذا عسى أن يوصف من يقف هذا الموقف من ربه وشرعه؟

ويقول صاحب كتاب " العلمانية وموقف الإسلام منها " ص/ ٢٩٤ " الإسلام يرفض العلمانية رفضاً قاطعاً سواءً أكانت العلمانية بمعنى فصل الدين عن الحياة، أم بمعنى اللادينية لأنها دعوة ضد الإسلام.

- ١- فالعلمانيَّة من الجَانِبِ العَقْدِيِّ تَعْنِي التَّنَكُّرَ لِلدِّينِ وِعدمَ الإِيْمَانِ بِهِ، وَتَرْكَ العَمَلِ بِأَحْكَامِهِ وَحُدُودِهِ، وَهَذَا كُفْرٌ صَرِيحٌ.
- ٢- والعلمانيَّة من الجَانِبِ التَّشْرِيْعِيِّ تَعْنِي فَصْلَ الدِّينِ عَنِ الدَّوْلَةِ، أَوْ فَصْلَ الدِّينِ عَنِ الحَيَاةِ كُلِّهَا وَهَذَا يَعْنِي الحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.
- ٣- والعلمانيَّة من الجَانِبِ الأَخْلَاقِيِّ تَعْنِي الانْفِلَاتَ وَالْفَوْضَى فِي إِشَاعَةِ الفَاحِشَةِ وَالرَّذِيْلَةِ وَالشُّذُوذِ وَالاسْتِهَانَةِ بِالدِّينِ وَالفَضِيْلَةِ وَسُنَنِ الهُدَى، وَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ وَفَسَادٌ فِي الأَرْضِ.

ولكن لا يشعرون:



إِنَّ العِلْمَانِيَّةَ - كَمَا أَسْلَفْنَا هِيَ دَعْوَةٌ لِتَنْحِيَةِ الدِّينِ وَفَصْلِهِ عَنِ الحَيَاةِ، وَفِي تَقْدِيرِنَا أَنَّ الخُطَبَاءَ الَّذِينَ يَقْصُرُونَ خُطْبَهُمْ عَلَى جَوَانِبٍ مُحَدَّدَةٍ مِنَ الدِّينِ كَبَعْضِ أَبْوَابِ العِبَادَاتِ وَالتَّزْكِيَةِ وَالسِّيْرَةِ ... تَارِكِينَ الحَدِيثَ - تَمَاماً - عَنِ فِقْهِ الدَّوْلَةِ - يُمَارِسُونَ العِلْمَانِيَّةَ عَلَى مَنَابِرِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

فَعَلَى الخُطَبَاءِ- خُطَبَاءِ المَنَابِرِ وَالمَحَافِلِ - أَنْ يَبَيِّنُوا لِجُمْهُورِهِمْ أَنَّ السُّلْطَةَ التَّشْرِيْعِيَّةَ وَ سَنَّ القَوَانِينِ وَالتَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ لَيْسَتْ لِلشَّعْبِ بَلْ لَ اللهُ وَرَسُولِهِ، وَمَا عَلَى الشَّعْبِ إِلا السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لَ اللهُ وَلرَسُولِهِ ﷺ.

وَعلَى الخُطَبَاءِ أَنْ يُبَيِّنُوا لِجُمْهُورِهِمْ أَنَّ السُّلْطَةَ التَّنْفِيْذِيَّةَ إِنَّمَا يَسْتَمْدُهَا الحَاكِمُ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ خِلالِ اخْتِيَارِهِمُ الحُرَّ لَهُ، وَالحَاكِمُ إِنَّمَا يَعْمَلُ لِخِدْمَةِ شَعْبِهِ لَا لِجِلْدِ ظُهُورِهِمْ وَيَسْطَوْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَيَتَأَلَّهَ عَلَيْهِمْ، وَلَهُمْ ... بَلْ عَلَيْهِمْ حَقُّ مُسَاءَلَتِهِ وَمُحَاسَبَتِهِ بَلْ وَعِزُّهُ إِنْ اقْتَضَى الأَمْرُ ذَلِكَ.



وَعلَى الخُطَبَاءِ -خُطَبَاءِ المَنَابِرِ وَالمَحَافِلِ- أَنْ يَبَيِّنُوا لِجُمْهُورِهِمْ أَنَّ السُّلْطَةَ القَضَائِيَّةَ يَنْبَغِي أَنْ تَفْصِلَ الخُصُومَاتِ بَيْنَ النَّاسِ وَتُحَقِّقَ العَدْلَ عَلَى ضَوْءِ الأحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لَا القَوَانِينِ الوَضْعِيَّةِ.

وَعَلَى الْخُطْبَاءِ أَنْ يَبَيِّنُوا أَنَّ الْجُيُوشَ هَدَفُهَا الدِّفَاعُ عَنِ الشَّعْبِ وَدِينِهِ أَمَامَ
عُدْوَانِ الْمُعْتَدِينَ وَنَشْرِهِ خَارِجَ أَرْضِهِ.

وَعَلَى الْخُطْبَاءِ أَنْ يَبَيِّنُوا لِجُمْهُورِهِمْ أَنَّ السِّيَاسَةَ الْخَارِجِيَّةَ يَنْبَغِي أَنْ تَقُومَ
عَلَى مُوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَصْرِهِمْ، وَمُعَادَاةِ الْكَافِرِينَ وَمُنَابَذَتِهِمْ ...

وَلَئِنْ لَمْ يَتَطَرَّقِ الْخُطْبَاءُ لِهَذِهِ الْقَضَايَا الْكُبْرَى فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ لِمَاذَا يَخْطُبُونَ
وَ فِيمَ يَتَحَدَّثُونَ؟

إِنَّ الْجَمَاهِيرَ الَّتِي لَمْ تَسْمَعْ يَوْمًا خَطِيبًا يَتَطَرَّقُ إِلَى تِلْكَ الْمَوَاضِعِ حَتَّى
بَانَتْ غَرِيبَةً عَنِ مَسْمَعِهِ - صَارَ عِنْدَهَا قَابِلِيَةٌ لِفِكْرَةِ الْعِلْمَانِيَّةِ فَالْخَطِيبُ الَّذِي
فَصَلَ الدِّينَ عَنِ الدَّوْلَةِ عَلَى مَنْبَرِهِ، كَيْفَ يُنْكَرُ مَنْ يَدْعُو إِلَى فَصْلِ الدِّينِ عَنِ
الدَّوْلَةِ فِي الْحَيَاةِ؟!

صِفَاتُ الْخَطِيبِ الْجَسَدِيَّةِ الْوَسَامَةُ – الْأَنَاقَةُ الْفَصَاحَةُ



١٨- الخَطِيبُ بَيْنَ الوَسَامَةِ وَ الأَنَاقَةِ

الْوَسَامَةُ وَ الأَنَاقَةُ:



إِنَّ الْجَمَاهِيرَ لَتَقَعُ عَلَى الْخَطِيبِ
عَيُونُهَا، وَتَرْمِفُهُ وَتُقَلَّبُهُ بِأَبْصَارِهَا، قَبْلَ أَنْ
يَقْرَعَ هُوَ بِخَطَابِهِ وَكَلَامِهِ أَسْمَاعَهَا.

وَلرُبَّمَا حَكَمَتْ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِ صُورَتِهِ
وَمَلَابِسِهِ قَبْلَ أَنْ تَحْكُمَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ مِنْ خِلَالِ
خَطَابِهِ وَكَلَامِهِ.

فَإِنْ كَانَ الْخَطِيبُ وَسِيمَ الصُّورَةِ، مُتَأَنِّقًا
فِي مَلَابِسِهِ، خَالَتْ الْجَمَاهِيرُ أَنَّ خَطَابَهُ
كصُورَتِهِ وَأَنَّ عِلْمَهُ كِلَابِسِهِ فَحَكَمَتْ لَهُ وَلَمَّا
يُنْبِسُ بِنِتِّ شَفَّةٍ.

وَإِنْ كَانَ دَمِيمَ الْمَنْظَرِ، أَوْ مُتَهَاوِنًا فِي مَلَابِسِهِ خَالَتْ أَيْضًا أَنَّ أَفْكَارَهُ
وَخَطَابَهُ كصُورَتِهِ الْبَشِيعَةِ أَوْ مَلَابِسِهِ الشَّعْتَةِ فَحَكَمَتْ عَلَيْهِ، وَلرُبَّمَا انصَرَفَتْ
عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ!

مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ صَوَرَ اللَّهُ أَنْبِيََاءَهُ وَرُسُلِيهِ عَلَى أَجْمَلِ صُورَةٍ، وَأَحْلَى شَكْلِ،
وَمَا جَمَالَ يَوْسُفَ بَسْرٍ.

• رَوَى الْخَرَائِطِيُّ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ:

" مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا صَبِيحَ الْوَجْهِ، كَرِيمَ الْحَسَبِ، حَسَنَ الصَّوْتِ "

هَذَا وَقَدْ أَتَحَفَّنَا الْجَاحِظُ فِي بَيَانِهِ بِمَا يُؤَكِّدُ هَذَا، قَالَ: وَمِنْ هَذَا:

١- أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ نَظَرَ إِلَى ضَمْرَةَ بْنِ ضَمْرَةَ، فَلَمَّا رَأَى
دِمَامَتَهُ وَقَلَّتَهُ قَالَ: تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِيِّ لَا أَنْ تَرَاهُ.

فَقَالَ ضَمْرَةُ: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، إِنَّ الرِّجَالَ لَا تُكَالُ بِالْفُفْزَانِ، وَإِنَّمَا
الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ: قَلْبِهِ وَلسَانِهِ.

قَالَ الْجَاحِظُ: وَكَانَ ضَمْرَةُ خَطِيبًا وَشَاعِرًا.



٢- أن الرَّمقَ بنَ زيدٍ كانَ قد مدحَ أبا جُبيلةَ العَسائِي، وكانَ الرَّمقُ دَمِيمًا
قَصِيرًا، فلَمَّا أنشدَه وحاورَه قالَ في حقِّه: عَسَلُ طيبٍ في ظَرْفِ
(وعاء) سُوءٍ.

لا غِنَى عن الأناقةِ لكلِّ خَطيْبٍ:



إذا كانَ الخَطيْبُ- خَطيْبُ المنابرِ والمُحافلِ -مِمَّنْ قد
أوتِيَ نَصيبًا من حُسنِ الشَّكْلِ، وحلاوَةِ المنظرِ، بأن أُوتِيَ
وَجهاً صَبِيحًا، ووجسماً صَحيحاً، طَألت قامتُه وامتدَّت،
وكانَ مُتناسِبَ الأَعْضاءِ ومُتَسِقَها ...

إذا كانَ كذلكَ فلا يَنبَغِي له أبداً أن يَتهاوَنَ في أمرِ
مَلايِسِه وأناقَتِه مُتَكِلًا على وَسامَتِه وصباحَتِه فإنَّ للمَلايِسِ
سِرًّا وسِحرَها.

وأما إذا لم يَكُن الخَطيْبُ مِمَّنْ قد أُوتِيَ الوَسامةَ والصِّباحَةَ فَعليه أن يَكُونَ
أكثرَ عنايةً واهتماماً بِمَلايِسِه وأناقَتِه، ففي الأناقةِ ما يُعوِّضُ عَمَّا فاتَ من
الوَسامةِ، ورُبَّ خَطيْبٍ أنيقٍ مُتأنِّقٍ غَلَبَ خَطيْباً وَسيمًا صَبِيحاً غيرَ مُتأنِّقٍ!

سِحْرُ المَلايِسِ وسِرُّها:

يقولُ كارنجي في كتابِه " فنُّ الخَطابةِ " ص / ٩٦:

أرسلَ سؤالٌ إلى مَجموعَةٍ كُبرى من النَّاسِ من قَبْلِ عالِمِ نَفسيِّ
ورئيسِ جامعَةٍ يتساءلُ عن التَّأثيرِ الَّذِي تتركُه المَلايِسُ في
أنفُسِهِم فأجمَعَ كُلُّ الأَفرادِ أَنَّهُم عندما يَكُونُونَ بِمَظهِرِ لائقٍ
وأنيقٍ، يَشعُرونَ بتأثيرِ ذلكَ، ومن الصَّعبِ شَرْحُ ذلكَ
الشُّعورِ لأنَّه غيرُ مُحدَّدٍ رَغمَ كونه حَقِيقِيًّا، فَقدَ مَنَحَهُم النِّقَّةَ
بالنَّفْسِ، و رَفَعَ من تَقديرِهِم الدَّاتِي، هذا هوَ تَأثيرُ المَلايِسِ
على من يَرْتديها.



ولكن ما هو تأثيرها على المُستمع؟

يقول الرَّجُلُ: لاحظتُ مراراً أنَّ الخَطيبَ إذا كان رَجُلًا ذا
سِرْوَالٍ فَضْفَاضٍ، وَمِعْطَفٍ تَعَوَّزُهُ الأَنَاقَةُ، وحذاءٍ مُهْتَرِيٍّ ...
لاحظتُ أنَّ الجُمهورَ يَكُنُّ احْتِرَامًا ضَئِيلًا لهذا الإنسان ...
أليسَ مِنَ المُحتمَلِ الافتِراضُ أنَّ الدِّهْنَ مُتَارِجِحٌ كالشَّعْرِ المُشعَثِ
والحِذاءِ المُتَسَخِّ؟

ويَضْرِبُ الكَاتِبُ الأَمْرِيكِيُّ على ذلكِ مِثَالَيْنِ:



١- عِنْدَمَا وَصَلَ الجِنْرالُ (لي) إلى ساحةِ
(أبوماتوكس) لِتَسْلِيمِ جَيْشِهِ، كان يَرْتَدِي
مَلابِسَ فَاخِرَةً أُنَيْقَةً، وَيَتَدَلَّى مِنْ جَانِبِهِ سَيْفٌ
ضَخْمٌ ثَمِينٌ إِلَّا أَنَّ (غرانت) لم يَكُنْ يَرْتَدِي
مِعْطَفًا وَلَا يَحْمِلُ سَيْفًا بَلْ كان يَرْتَدِي
قَمِيصًا وَسِرْوَالًا عَادِيًّا، فَكَتَبَ في مُذَكَّرَاتِهِ
يقولُ:

" لا بدَّ أَنِّي كُنْتُ مُعاكِسًا تامامًا أمامَ رَجُلٍ أُنَيْقٍ في تِلْكَ المُناسِبَةِ

التَّارِيخِيَّةِ جَعَلَنِي أُنْدَمُ أَكْثَرَ مِمَّا نَدِمْتُ على أَيِّ شَيْءٍ في حَيَاتِي ".



٢- إنَّ لَدَى دائِرَةِ الزِّراعةِ في واشِنْطُن مِئاتِ
مِن قُفْرانِ النِّحْلِ مُوزَّعةً في مزارعِ
التَّجَارِبِ، وقد رُكِّزَ على كُلِّ قَفِيرٍ رُجاجُ
مُكَبِّرٍ، بِالإِضافةِ إلى تَزويدِهِ بالضَّوءِ
الكَهْرَبائيِّ حَيْثُ يَتِمَكَّنُ المَرءُ من أن يراقِبَ
النِّحْلَ عن كُنْبٍ في أَيَّةِ لَحْظَةٍ، وَالخَطيبُ
يُشَبَّهُ ذلكَ القَفِيرِ، فَهو تَحْتَ رُجاجِ مُكَبِّرٍ،

والأضواءُ مُسلِّطَةٌ عَلَيهِ، وَكُلُّ خَطِّا يَبْدُو في مَظهِرِهِ الخَارِجِيِّ يَبْرُزُ
بوضوحٍ مِثْلما تَبْرُزُ قِمَّةُ جَبَلٍ شامخٍ مِنَ السُّهُولِ.

من تراثنا:

ذَٰك من تراثهم ومن تراثنا نذكر ما ذكره الجاحظ في بيانه
(٦٧ / ١) يقول:

إنَّ إياسَ بنَ معاويةَ أتى حُلقةً من حلقِ قُريشٍ في مسجدِ دمشقَ
فاستولى على المجلسِ، فلما رأوه أحمرَ دميماً بادَّ الهيئةَ قشيفاً
استهانوا به، فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا: " الذَّنْبُ مَقْسُومٌ
بيننا وبينك، أتيتنا في زيِّ المساكينِ تكلمنا بكلامِ الملوكِ ".

حَذَارٌ مِنَ السُّمْنَةِ وَالْبَدَانَةِ!



زارني يوماً أحدُ الخطباءِ المعروفينَ وهو
أستاذٌ لي أحبُّه وأجلُّه، وكنا قد التقينا بعدَ طولِ
فراقٍ، فرأيتُه وملابسُه تكادُ تتمرَّقُ من فرطِ بدانتهِ
وسمينه، وكان إذا ما قعدَ لا يقومُ! إلاَّ بمن يُعينُه
على القيامِ، وإذا مشى قليلاً تتابعَ نفسُه وأصابه
الإعياءُ وهو بعدُ لم يبلغِ الخمسينَ من عُمره؟

إنَّ على الدُّعاةِ عموماً والخطباءِ منهم خصوصاً أن يهتمُّوا – بعدَ أناقتهم
ونظافتهم – برشاقةِ أبدانهم، وأن يحذروا من السُّمنةِ والبدانةِ التي صارت
مع الأسفِ السِّمةَ الغالبةَ لأهلِ العِلْمِ، وموضعَ تنذُرِ النَّاسِ عليهم، وسبيلُ ذلك
– كما فعلتهُ كلما ازدادَ وزني بسببِ الدِّراسةِ لا الجلوسِ على موائدِ النَّاسِ
– أن يُمارسُوا الرِّياضةَ، ولا أقلَّ من المشيِّ في الثِّتاءِ، ومن السِّباحةِ في
الصَّيفِ، ولا يُخدعوا عن الرِّمايةِ فنحنُ أمَّةٌ كتبَ اللهُ عليها الجهادَ إلى يومِ
القيامةِ.



نقلَ صاحبُ مُحاضراتِ الأُدباءِ (٢ / ٣١٢) عن عُمرَ أَنَّهُ نظرَ إلى
رَجُلٍ بادنٍ فَقَالَ: ما هذا؟

فَقَالَ الرَّجُلُ البَادِنُ: بَرَكَةٌ من اللّهِ!

فَقَالَ عُمرُ: بَلْ سَخَطُهُ

ثُمَّ قَالَ: إِيَّاكُمْ والبِطْنَةَ فَإِنَّهَا ثِقَلٌ في الحِياةِ، وَتَنُنُّ في المَمَاتِ.



١٩- هو أفصح مني لساناً

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:



لقد اختار الله كليمه موسى - عليه السلام - ليواجه
الطَّاغِيَةَ الجَبَّارَ، والمُتَأَلِّهِ المَكَّارَ، فرعون.

ولقد عَلِمَ موسى - لسابق معرفته به إذ قد نشأ في قصره -
أنه أَمَامَ مُهَمَّةٍ صَعْبَةٍ، تَتَطَلَّبُ مُوهَلَاتٍ خَاصَّةً مِنْهَا فَصَاحَةُ
اللِّسَانِ فَلِذَا تَوَجَّهَ إِلَى خَالِقِهِ بِهَذَا الدُّعَاءِ الحَارِّ الَّذِي أَظْهَرَ فِيهِ
ضَعْفَهُ وَمَا يُعَانِيهِ لِسَانَهُ

**﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي *
يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي
* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذُكِّرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا
بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ [طه: ٢٥ - ٣٦]**

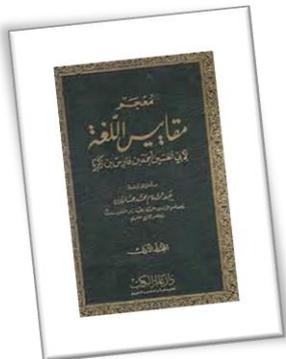


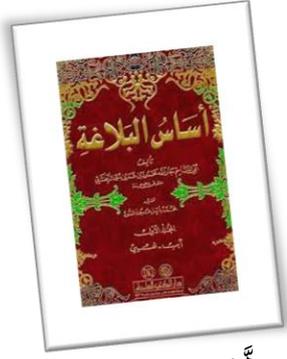
وقد عُلِقَ الجَاحِظُ فِي بَيَانِهِ (١٩ / ١) عَلَى دُعَاءِ مُوسَى فَقَالَ
" وَسَأَلَ اللهُ مُوسَى حِينَ بَعَثَهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِإِبْلَاحِ رِسَالَتِهِ،
وَالِإِبَانَةِ عَنْ حُجَّتِهِ، وَالِإِفْصَاحِ عَنْ أَدَلَّتِهِ فَقَالَ حِينَ ذَكَرَ العُقْدَةَ
الَّتِي كَانَتْ فِي لِسَانِهِ، وَالْحُبْسَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي بَيَانِهِ ﴿ وَاحْلُلْ
عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ ... رَغْبَةً مِنْهُ فِي غَايَةِ الإِفْصَاحِ بِالحُجَّةِ،
والمُبَالِغَةِ فِي وَضُوحِ الدَّلَالَةِ لِتَكُونَ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ أُسْرَعُ.

ما هي الفصاحة؟

تعودُ هذه الكلمةُ إلى الجذرِ الثُّلاثِيِّ (فَصَحَ)

يقولُ صَاحِبُ المَقَائِيْسِ (م/ فَصَحَ) هُوَ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى
خُلُوصِ شَيْءٍ، وَنَقَائِهِ مِنَ الشُّوبِ





قال: ومن ذلك اللسان الفصيح: الطليق

ويقول الزمخشري في أساس البلاغة: وفتح: انطلق لسانه،
وخلصت لغته من الكنة

وقال صاحب الصحاح (م/ لکن) الکنة: عجمة في اللسان
وعی.

أقول: فالذي يفهم من كلام أهل اللغة أن الفصاحة مرتبطة باللسان الذي هو
جزء أساسي من الجهاز النطقي عند الإنسان، فالفصاحة إذن صفة أو ملكة
في المتكلم يتمكن من خلالها من الكلام بوضوح، ويقال عن كلامه إنه ظاهر
وبين.

ويحقق له ذلك أمران:

١- الأول: ويعود إلى المتكلم نفسه، وهو سلامة جهازه النطقي من العيوب
النطقية.

٢- الثاني: ويعود إلى الكلام نفسه وهو سلامته من التناثر على مستوى:

أ: الكلمات مثل: مستشزرات

ب: والتراكيب: كالبيت المشهور

وقبر حرب بمكانٍ قفرٍ وليس قُرب قُبرٍ حربٍ قبرٍ

حتى إن بعضهم نسبته إلى الجان.

العيوب النطقية وأثرها على فصاحة الخطيب:

إن العيوب النطقية التي قد يبتلى بها الخطيب - وغيره - متعددة
ومتنوعة، وذات منشأ مختلف... وأبرزها ما يلي:

الكنة

الحذف

التكرار

اللثغة

١- **اللُّثْغَةُ**: وتعني باختصارٍ إحلالَ أو إبدالَ حرفٍ مكانَ حرفٍ آخرَ.

قالَ صاحبُ الصِّحاحِ (م/ لثغ) اللُّثْغَةُ في اللِّسانِ هو أن يُصَيِّرَ الرَّاءَ غِيناً، أو لَاماً، والسِّينَ ثاءً، وقد لثغ - بالكسر - يَلْثَغُ - بالفتح، فهو لثغٌ، وامرأةٌ لثغاءٌ.

هذا ويُقسَّمُ الجاحظُ اللُّثْغَةَ إلى نوعينِ اثنين:

الأوَّلُ: إحلالُ حرفٍ مكانَ حرفٍ من حروفِ اللُّغَةِ نفسها مثل: النُّطْقُ بالثَّاءِ بدلاً من السِّينِ.

الثَّاني: إحلالُ حرفٍ مكانَ حرفٍ ليس من حُرُوفِ اللُّغَةِ، وهذا يُدْرِكُ بالسَّماعِ ولا حَصَرَ له.

• النوعُ الأوَّلُ من أنواعِ اللُّثْغَةِ:

يقولُ الجاحظُ في بَيانِهِ (٣٢ / ١) الحروفُ الَّتِي تدخلُها اللُّثْغَةُ (الإبدالُ) أربعةٌ: السِّينُ، والقافُ، واللامُ، والراءُ.

فَاللُّثْغَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي السِّينِ تكونُ بتحويلِها إلى ثاءٍ كقولِ الأَلْثَغِ (بائِثِ اللهِ) بدلاً من (باسِمِ اللهِ)، وكقولِهِ (أبو يَكْثومِ) بدلاً من (أبو يَكْسومِ).

وَاللُّثْغَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي القافِ تكونُ بتحويلِها إلى طاءٍ كقولِ الأَلْثَغِ: (طَلْتُ له) بدلاً من (قَلْتُ له).

وَاللُّثْغَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي اللامِ تكونُ بجعلِها ياءً مثلَ (اعتَبَيْتُ) بدلاً من (اعتَلْتُ)

وَاللُّثْغَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي الرَّاءِ تكونُ بجعلِها غِيناً مثلَ (عَمَغ) بدلاً من (عَمَرُو)

أو بجعلِها ياءً مثلَ (عَمِي) بدلاً من (عَمَرُو)

أو بجعلِها ظاءً مثلَ (عَمِظ) بدلاً من (عَمَرُو)

أو بجعلِها ذالاً مثلَ (عَمِذ) بدلاً من (عَمَرُو)

وتابعَ الجاحظُ مُوازناً فقال: و اللُّثْغَةُ الَّتِي تُصِيبُ الرَّاءَ إذا كانتَ بالياءِ فهي أَحقرُهنَّ وأوضَعُهنَّ لِذِي المُرُوءَةِ ثُمَّ الَّتِي على الظَّاءِ ثُمَّ الَّتِي على الذَّالِ.



فَأَمَّا الَّتِي عَلَى الْعَيْنِ فَهِيَ أَيْسَرُ هُنَّ وَأَقْلَهُنَّ فُبْحاً وَتَجْدُهَا فِي ذِي الشَّرْفِ وَكِبَارِ
النَّاسِ وَبُلْعَائِهِمْ وَأَشْرَافِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ.

وَلِلَّهِ دَرُّ الْجَاحِظِ فَقَدْ صَنَّفَ اللَّتْغَةَ حَسَبَ مِقْيَاسِ اجْتِمَاعِيٍّ أَيَّ حَسَبِ مَدَارِجِ
الْوَجَاهَةِ (الْخَاصَّةِ) وَالْوَضَاعَةِ (الْعَامَّةِ).

• النَّوعُ الثَّانِي مِنْ أَنْوَاعِ اللَّتْغَةِ:

وهي إبدالُ حَرَفٍ مِنَ الْكَلِمَةِ بِصَوْتٍ لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ اللَّغَةِ أَصْلًا، وَيُسَمِّيهِ
المُعَاصِرُونَ " التَّشْوِيهِ "

وَمَثَلٌ لَهُ الْجَاحِظُ بِحَرْفِ الشَّيْنِ فَقَالَ (٣٢ / ١) فَأَمَّا اللَّتْغَةُ الَّتِي
هِيَ عَلَى الشَّيْنِ الْمُعْجَمِيَّةِ فَذَلِكَ شَيْءٌ لَا يُصَوِّرُهُ الْخَطُّ لِأَنَّهُ لَيْسَ
مِنَ الْحُرُوفِ الْمَعْرُوفَةِ وَإِنَّمَا هُوَ مَخْرُجٌ مِنَ الْمَخَارِجِ، وَالْمَخَارِجُ
لَا تُحْصَى وَلَا يُوقَفُ عَلَيْهَا.

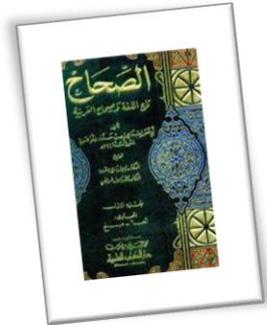


٢- التَّكْرَارُ: وَنَقَلَ الْجَاحِظُ (٣٥ / ١) عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَوْلَهُ: إِذَا تَتَعَتَعَ اللِّسَانُ
فِي النَّاءِ فَهُوَ تَمْتَامٌ، وَإِذَا تَتَعَتَعَ فِي الْفَاءِ فَهُوَ فَأْفَاءٌ.

وَقَالَ صَاحِبُ اللِّسَانِ (م/ تَمْتَمَ) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: التَّمْتَمَةُ هِيَ التَّرِيدُ
فِي النَّاءِ، وَالْفَأْفَاءُ: التَّرِيدُ فِي الْفَاءِ.



وَقَالَ صَاحِبُ الصَّحَاحِ (م/ فَأْفَاءٌ) رَجُلٌ فَأْفَاءٌ وَفِيهِ فَأْفَاءَةٌ وَهُوَ الَّذِي
يَتَرَدَّدُ فِي الْفَاءِ إِذَا تَكَلَّمَ.



٣- الحذف: ونعني به الإطاحة ببعض حروف الكلمة إما بعدم ذكرها وإما بإدخال بعضها ببعض.



قال الجاحظ (٣٥ / ١) وقال أبو عبيدة: إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألف، وقيل بلسانه لف.

وغالباً ما يحدث هذا عند السرعة في الكلام كما كان عليه أحد المشايخ المشهورين في أرض الحجاز، أو عندما يكون على غضب كما حدث مع نبي الله موسى وقد عافاه الله منه، وكثيراً ما يقع هذا الأمر من الخطباء عند الصلاة على رسول الله ﷺ حيث يلفظونها بسرعة تطيح ببعض حروفها، أو تدخل بعض حروفها في بعض.

وأذكر أن أحدهم كان يُلقب على جمهوره مُحاضرة عن فضل الصلاة على رسول الله ﷺ، وكان كلما ذكره صلى عليه، صلى عليه على تلك الطريقة!

وحضرت - ذات مرة - حفلاً قُدم فيه شابٌ للكلام فكان إذا ما صلى على الرسول الأعظم ﷺ صلى عليه بتلك الطريقة المنكرة فلفت انتباهه إلى هذا الأمر، والله من قبل ومن بعد الأمر.



٤- اللكنة: قال الجاحظ (٣٢ / ١) ويقال في لسانه لكنة إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول.

ويُفهم من الجاحظ أن اللكنة تُصيب الخطباء من غير العرب إذا خطبوا باللُغة العربية.

موقف الخطيب تجاه أزمة العيوب النطقية:

إذا كان الخطيب مُبتلىً بعيبٍ من العيوب النطقية فهو أمام الاحتمالات التالية:

١- إذا أمكن أن يُعالج الخطيب عيبه فعليه أن يُعالجه ويتخلص منه بالدربة ولا بأس بالاستعانة بأهل الاختصاص.



يقول الجاحظ في بيانه (٣٤ / ١) ويُقال إن صاحبها (يعني الأثع بقلب الراء غيناً) لو جهد نفسه جهده، وأخذ لسانه، وتكلف مخرج الراء على حقها والإفصاح بها، لم يكن بعيداً أن تُجيبه الطبيعة، ويُؤثر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً.

وقد كانت أنثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين، وكان إذا شاء أن يقول: عمرٌ و لعمرى وما أشبه ذلك على الصحة قاله، ولكنه كان يستنقل التكلف والتَّهْيُؤُ لذلك قال الجاحظ فقلت له: إذا لم يكن المانع إلا هذا القدر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهراً واحداً أن لسانك كان يستقيم.

٢- إذا لم يمكن للخطيب أن يُعالج نفسه من عيبه النطقي فعليه بالحيلة في ذلك، وأعني بذلك أن يتجنب الكلمات التي فيها حروف من الحروف التي يُلثغ بها وليس هذا الأمر هيناً.

نموذج لا يكاد يتكرر:



يقول الجاحظ في بيانه (٢٣ / ١) ولما علم واصل بن عطاء^١ أنه ألثغ فاحش اللثغ، وأن مخرج ذلك منه شنيع وأنه إذ كان داعيةً مقالةً، ورئيس نحلةً، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل، وزعماء الملل، وأنه لا بُدَّ من مقارعة الأبطال، ومن الخطب الطوال، وأنَّ البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب

^١ - هو واصل بن عطاء الغزال (٨٠ - ١٣١ هـ) أبو حذيفة من موالى ضبة أو بني مخزوم رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين ... ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً فتجنب الراء في خطابه، وضرب به المثل في ذلك ... انظر "الأعلام" ٨ / ١٠٧ - ١٠٩.

ورياضية، وإلى تمام الأدلة، وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج، وجهارة المنطق، وتكميل الحروف، وإقامة الوزن

وأن حاجة المنطق إلى الطلاوة والحلاوة كحاجته إلى الجلالة والفخامة، وأن ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب، وتتنني إليه الأعناق، وتزین به المعاني ...

رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطق فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، ويأضله ويُساجله، ويتأني لستره والراحة من هجنته، حتى انتظم له ما حاول، واتسق له ما أمل.

ونقل الجاحظ ما قاله الشاعر في واصل:

ويجعل البر قمحاً في تصرفه وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً والقول يعجله فعاد بالغيث إشفافاً من المطر

٣- إذا لم يمكن للخطيب أن يعالج نفسه، ولم يحتل لها فإن كانت أنغته مُحتملة فلا بأس، وإن كانت فاحشة فلا يصلح أن يكون خطيباً كما ضعيف البصر لا يصلح أن يقود سيارة.

فعلية أن يعتزل المنبر.

العيوب النطقية عند كبار السن لا دواء لها:

يقول الجاحظ (١ / ٥٢) والذي يعتري اللسان مما يمنع من البيان أمور منها اللثغة التي تعتري الصبيان إلى أن ينشؤوا، وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم المسترخي الحنك المرتفع اللثة ...



صِفَاتُ الْخَطِيبِ النَّفْسِيَّةِ

الإِخْلَاصُ – النُّقَّةُ بِالنَّفْسِ – الاعْتِرَافُ بِالخَطَأِ
الخَوْفُ مِنَ اللَّهِ – الاحْتِرَامُ – سُرْعَةُ البَدِيهَةِ
الصِّدْقُ



٢٠- إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ

إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ:

- رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَالنُّذُورِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (٦٦٨٩) أَنَّهُ قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى

فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى
مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " .

- وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (٢٨١٠) أَنَّهُ قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَعْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ
لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانَهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟
قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

يَقُولُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِهِ لِلْحَدِيثِ الْأَوَّلِ (٣٨٧ / ٦)
أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عِظَمِ مَوْقِعِ هَذَا الْحَدِيثِ
وَكَثْرَةِ فَوَائِدِهِ وَصِحَّتِهِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ وَآخَرُونَ: هُوَ ثُلُثُ الْإِسْلَامِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ رُبُعُ الْإِسْلَامِ.

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ وَغَيْرُهُ: يَنْبَغِي لِمَنْ صَنَّفَ كِتَابًا أَنْ يَبْدَأَ
فِيهِ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَنْبِيهًا لِلطَّالِبِ (وَأَقُولُ: كَذَلِكَ الْخَطِيبُ) عَلَى تَصْحِيحِ
النِّيَّةِ ...

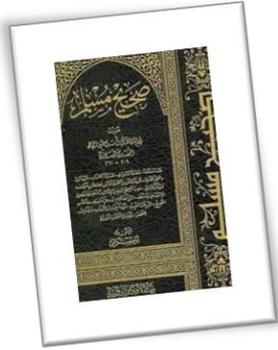


لماذا؟ 🤔

يتحتمُّ على الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- أن يطرح على نفسه قبل أن يعلو درجات منبره محلِّقاً فوق رؤوس الناس، وقبل أن يتصدَّر المحافل مُتكلِّماً بين جموع الناس، عليه أن يُكاشِف نفسه بهذه الأسئلة:

- ١- هل وقف لنصرة الحق أم لنصرة الباطل؟
 - ٢- هل لنفسه الأمانة بالسوء نصيب في مقامه هذا أم لا؟
- فإن قام لنصرة الحق، ابتغاء وجه الله فليتكلم متوكِّلاً على الله واثقاً بمدده، وبأن الله سينفع به وإلا:

- ١- فإن قام لنصرة الباطل فليعلم أن قطع رقبتيه أهون من ذلك.
- ٢- وإن قام لنصرة الحق ولكن كان لنفسه نصيب في موقفه ذلك فليحرر النيَّة، وليجعل هذا الحديث نصب عينيه.



- روى مُسلمٌ في كتاب الإِمارة عن أبي هُريرة (١٩٠٥) أنه قال:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

" إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا "

فقال: فما عملت فيها؟

قال: قاتلتُ فيكَ حتَّى اسْتَشْهَدْتُ

قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال: جريءٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتَّى أُلقيَ في النار.

ورجلٌ تعلَّم العِلْمَ وعَلَّمَهُ وقرأ القرآنَ فَأَتَى بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا

فقال: فما عملت فيها؟

قال: تعلَّمتُ العِلْمَ وعَلَّمْتُهُ وقرأتُ فيكَ القرآنَ.

قال: كذبت، ولكنك تعلَّمت العِلْمَ ليُقال: عالمٌ، وقرأت القرآنَ ليُقال هو قارئٌ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتَّى أُلقيَ في النار ... الحديث



• وفي رواية الترمذي (٢٣٨٢) أن الرسول ﷺ قال لأبي هريرة

"يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعّر بهم النار يوم القيامة"

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

الدفع والتدافع:

قلّ حفلٌ إلا و فيه أفيفٌ من الخطباءِ كُلّهم يرجون أن يُقدّمَ للكلامِ دون غيره، ومن قُدّمَ يرجو ألا يُقدّمَ سِواه، أو يكون هو المُتقدّمَ على من سِواه! ولو علّموا ما وراء الكلامِ لدفعه كلُّ واحدٍ إلى غيره ولمّا تدافَعوا عليه. وإنّ الأولى بالكلامِ من إذا تكلمَ نفعَ أكثرَ من غيره فليُقدّمَ وإن اتّسعَ الوقتُ قُدّمَ غيره على الوصفِ الذي ذكرنا.

٢١- الثِّقَةُ بِالنَّفْسِ

الإِخْلَاصُ وَالثِّقَةُ جَنَاحَا الخَطِيبِ:



إِنَّ الإِخْلَاصَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالثِّقَةَ بِالنَّفْسِ هُمَا الجَنَاحَانِ اللَّذَانِ يُحَلِّقُ بِهِمَا الخَطِيبُ فِي عَالَمِ الخَطَابَةِ فيغْدُو رَجُلًا مِنْ رَجَالِهَا، وَنَجْمًا مِنْ نُجُومِهَا، وَعَلَمًا مِنْ أَعْلَامِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيَنَالُ أَجْرَهَا فِي الآخِرَةِ.

صِنَاعَةُ الثِّقَةِ!



إِنَّ الثِّقَةَ لَيْسَتْ كَشَعْرِ الرَّأْسِ يَنْبُتُ لِوَحْدِهِ، بَلْ هِيَ صِنَاعَةٌ يُمْكِنُ اكْتِسَابُهَا، وَمَهَارَةٌ يُمْكِنُ الحِصُولُ عَلَيْهَا وَكَأَنِّي بِالقَارِي يَقُولُ: بِاللَّهِ عَلَيْكَ وَكَيْفَ لِي إِذَا مَا عَلَوْتُ مِنْبَرًا، أَوْ قُدِّمْتُ لِلكَلَامِ فِي مَحْفَلٍ أَلَّا يَتَسَارَعَ نَبْضُ قَلْبِي، وَ أَلَّا تَصْنُتْكَ رُكْبَتَايَ، وَأَلَّا أَنْسَى مَا أَعَدَدْتُهُ مِنْ قَوْلٍ، وَأَلَّا تَتَبَدَّدَ أَفْكَارِي ... كَيْفَ؟

وَصْفَةُ سِحْرِيَّةٌ لِصِنَاعَةِ الثِّقَةِ:

قد ذكرَ أهلُ التَّجْرِبَةِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءٍ ضَرُورِيَّةٍ لِصِنَاعَةِ الثِّقَةِ:

أَوَّلًا - اعْرِفْ تَمَامًا مَا الَّذِي سَتَتَحَدَّثُ عَنْهُ.

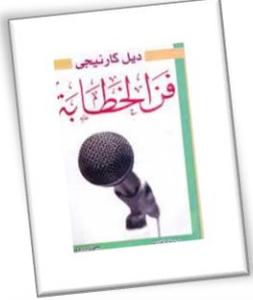
ثَانِيًا - تَصَرَّفْ بِثِقَةٍ.

ثَالِثًا - تَدَرَّبْ تَدَرَّبْ تَدَرَّبْ.

اعرف تماماً ما الذي ستحدثُ عنه:



إنَّ الخُطوةَ الأولى في طَريقِ صِناعةِ الثِّقةِ هو أن تُقبَلَ على الكلامِ من فوقِ منبرِكَ، أو في صدرِ محفَلِكَ وأنتِ تَعِي تماماً ما الذي تُريدُ أن تُخاطِبَ به جُمهورَكَ.



يقولُ ديل كارنيجي في كتابه الفذُّ " فنُّ الخُطابةِ " ص / ١٩ " لا يَسْتَطيعُ الإنسانُ أن يَشعرَ بالارتِياحِ حينَ يواجِههُ مُستمِعيهِ إلا بعدَ أن يَفيكِرَ مَلِيّاً، ويُخَطِّطُ حَدِيثَهُ ويعرفُ ما الذي سَيَقولُهُ لأنَّهُ إن لم يَفعَلْ ذلكَ فإنَّهُ سَيكونُ كالأعمى الذي يَقودُ أعمى.



وينقلُ كارنيجي عن روزفِلتِ قولَهُ في مُذكِّراتِهِ " انخُبْتُ إلى المَجْلِسِ التَّشريعيِّ في خَريفِ (١٨٨١) م، وقد وَجَدْتُ نَفسي أصغرَ رَجُلٍ في المَجْلِسِ، ومِثْلَ سائِرِ الشُّبَّانِ والأَعْضاءِ غيرِ المُتمرِّسينَ، وَجَدْتُ صُعبَةً بالِغَةً في تَعَلُّمِ الخُطابةِ، وقد اسْتَفدْتُ كَثِيراً من نَصيحةِ رَجُلٍ ريفيِّ عَجوزٍ وكانتِ تلكَ النَصيحةُ " لا تَتكَلَّمُ حَتَّى تَتأكَّدَ أن لَدَيْكَ ما تَقولُهُ، واعرفُ عَمَّا سَتتحدثُ ثمَّ قُلْه واجلسْ".

تَصَرَّف بِثِقة:



بعدَ أن تَتأكَّدَ من أن لَدَيْكَ ما تَقولُهُ اعلُ دَرَجاتِ منبرِكَ، وقِفْ في محفَلِكَ بكلِّ شِجاعةٍ.

كتبَ أحدُ أشهرِ عُلَماءِ النَّفسِ الَّذِينَ أنجبتَهُم أمريكا وليم جايِمِس " لِي تَشعرَ بِالشِّجاعةِ تَصَرَّفْ وكأنَّكَ شِجاعٌ واستخدِمِ إرادَتَكَ كُلَّها في سَبيلِ ذلكَ، ومن المُحتمَلِ أن تَحلَّ الشِّجاعةُ كُلَّ الخوفِ".

يقولُ كارنيجي: طَبِقْ نَصيحةَ جيمس وليم تُنمِّي الشِّجاعةَ حينَ تُواجهُ جُمهوراً تَصَرَّفْ وكأنَّ لَدَيْكَ الشِّجاعةُ ... قِفْ مُستقيماً وتَطَلَّعْ في عُيونِ النَّاسِ الَّذِينَ أمامَكَ، ابدأُ بالكلامِ بثِقةٍ وكانَ الجَميعُ يَدِينونَ لَكَ بالمالِ.



لا تَعَبْتُ بأزْرارِ مِعْطَفِكَ بِعَصِيَّةٍ، أو تَلَعَبْتُ بِمَسْبَحَتِكَ،
أو تَفَرُّكُ يَدَيْكَ، وإذا اضْطَرَّرْتَ لِلْقِيَامِ بِحَرَكَاتِ عَصِيَّةٍ،
فَضَعْ يَدَيْكَ خَلْفَ ظَهْرِكَ وَاغْرُكْ أَصَابِعَكَ هُنَاكَ حَيْثُ لَا
يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرَاكَ وَكَقَاعِدَةٍ عَامَّةٍ: مِنَ السَّيِّئِ أَنْ يَخْتَبِيَّ
الْحَطِيبُ وَرَاءَ الْأَثَاثِ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ يَمْنَحُكَ الْقَلِيلَ مِنَ
الشَّجَاعَةِ فِي المَرَّاتِ الْأُولَى مِنْ وُقُوفِكَ وَرَاءَ طَاوِلَةٍ أَوْ
كُرْسِيِّ حَيْثُ تُمَسِّكُ بِهَا بِشِدَّةٍ أَوْ تُمَسِّكُ بِمَسْبَحَةٍ بِشِدَّةٍ فِي يَدِكَ.

تَجْرِبَةُ قَائِدِ جَيْشٍ بَرِيطَانِيٍّ:

وَيَسُوقُ كَارْنِيجِي عَنْ قَائِدِ جَيْشٍ بَرِيطَانِيٍّ قَوْلَهُ، إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ تَقْرِيْباً
يُصَابُ بِالْخَوْفِ لَدَى إِقْدَامِهِ عَلَى أَيِّ عَمَلٍ لَكِنَّ الْأَمْرَ التَّالِيَّ يَبْقَى عَلَى الْإِنْسَانِ
أَنْ يَحْتَفِظَ بِرِبَاطَةِ جَأَشِهِ، وَيَتَصَرَّفَ كَأَنَّهُ غَيْرُ خَائِفٍ وَبَعْدَ مُضِيِّ بَعْضِ
الْوَقْتِ يَتَحَوَّلُ الْأَمْرُ مِنَ التَّظَاهِرِ الَّذِي أُتْبِعُهُ إِزَاءَ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
كُنْتُ أَخْشَاهَا فِي الْبِدَايَةِ ... تَظَاهَرَتْ بِأَنَّيَ غَيْرُ خَائِفٍ وَتَدْرِيجِيًّا زَالَ الْخَوْفُ
عَنِّي.

وَيَسْتَطِيعُ مُعْظَمُ النَّاسِ الْقِيَامَ بِهَذِهِ التَّجْرِبَةِ إِنْ أَرَادَ ...

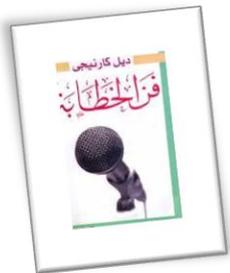
تَدَرَّبْ! تَدَرَّبْ! تَدَرَّبْ!:



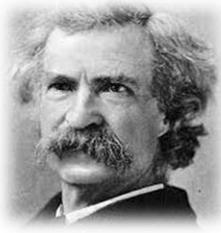
إِنَّ أَوَّلَ وَآخِرَ طَرِيقَةٍ فَعَّالَةٍ لِتَوْلِيدِ الثَّقَّةِ بِالنَّفْسِ فِي فَنِّ
الْخَطَابَةِ هِيَ أَنْ تَقِفَ وَتَخْطُبَ، وَيُخْتَصَرُ الْأَمْرُ كُلُّهُ بِكَلِمَةٍ
أَسَاسِيَّةٍ هِيَ: تَدَرَّبْ، الَّتِي مِنْ دُونِهَا لَنْ تَتَوَصَّلَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ.

اعْتِرَافَاتٌ لِخُطَبَاءِ عُظَمَاءِ:

يَذْكُرُ صَاحِبُ كِتَابِ " فَنُّ الْخَطَابَةِ " بَعْضاً مِنَ الْاعْتِرَافَاتِ
الَّتِي أَدَلَى بِهَا بَعْضُ نُجُومِ وَمَشَاهِيرِ الْخَطَابَةِ وَهَمَّ فِي مُحَاوَلَاتِهِمْ
الْأُولَى فَيَقُولُ:



لا تتصوّر أنّ حالتك صعبةٌ بشكلٍ غيرِ عاديٍّ، فمُعظّمُ الَّذِينَ أصبَحوا فيما بعدُ مُمثّلينَ عن أجيالهم أُصيبوا في بادئِ الأمرِ بالخوفِ وضعفِ الثّقةِ بالنّفسِ.



- **مارك توين:** حينَ وقفَ يخطُبُ لأوّلِ مرّةٍ شعرَ وكأنّ فَمه مليءٌ بالقطنِ بينما تضاغت سرّعةُ نبضه، وتصبّبَ عرقُه بغزارةٍ.



- **جان جوريه** (أشهرُ الخُطباءِ السّياسيينَ الَّذِينَ أنجبتهم فرّنسا في عَصْرِهِ) بقيَ سنّةً كاملةً مُنعقدَ اللّسانِ في قاعةِ الاجتماعاتِ قبلَ أن يتمكّنَ من استجماعِ شجاعته كي يُلقيَ الخِطابَ الافتتاحيَّ.



- **تشارلز دارنيل** (الرّعيمُ الإيرلنديّ المَعروف) كانَ في أوّلِ عهدِهِ كخطيبٍ وطبقاً لِشهادةِ أخيه كانَ عصبياً جدّاً حتّى إنّه كانَ حينَ يُمسكُ بِقبضته بِشدّةٍ بحيثُ تنغرسُ أظافِرُهُ بلحمِهِ ويتدفّقُ الدّمُ من راحةِ يده.

ويتابعُ قائلاً: وللحَقِيقَةِ أقولُ: إنّ أشهرَ الخُطباءِ في إنكلترا بدّوا مُتعيّرينَ أوّلَ مرّةٍ حتّى إنّه سادَ اعتقادُ في البرلمانِ أنّ هُناك لعنةٌ! تحلُّ بالشُّبانِ حينَ يُلقونَ أوّلَ خِطابٍ لهم.

اتركها إلى غيرها:

جاءَ في التّذكرةِ الحمدونيّةِ لابنِ حَمدونِ البَغداديّ (١٨/ ٣١٢) هذه القِصّة " كان يونسُ يَخْتَلِفُ (يذهبُ مراراً) إلى الخَليْلِ يتعلّمُ منه العَروضَ، فَصَعُبَ عليه تعلّمُهُ فقالَ له الخَليْلِ يَوماً: من أيِّ بحرٍ قولُ الشّاعر:

إذا لم تَسْتَطِعْ شَيْئاً فدَعُهُ **وجاوزهُ إلى ما تَسْتَطِيعُ**

ففظنَ يونسُ إلى ما عناه الخَليْلِ وتركَ العَروضَ اهـ



أقول: وهذا البيت لعمر بن معدى كرب (الأصمعيّات ص/ ١٧٥) وبعده ما يُنمّم معناه:

وصِله بالزّماعِ فكلُّ أمرٍ سَمَا لَكَ أو سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْعُ

قال الأخفش: الزّماعُ: الجِدُّ والعِزُّ.

وبالخلاصة: فالفنونُ الدّعويّةُ كثيرةٌ ومَن عجزَ عن فنٍّ فقد يكونُ إماماً مُبرّزاً في فنٍّ آخر.



٢٢- العِزَّةُ بِالْإِثْمِ

عُمْرُ وَالْمَرَأَةِ:



رَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سُنَنِهِ عَنِ الشَّعْبِيِّ (٥٩٨) أَنَّهُ قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِالنَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: أَلَا لَا تُغَالُوا فِي صُدُقِ (مَهْر) النِّسَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُنِي عَنْ أَحَدٍ سَاقَ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ سَاقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ سَبَقَ إِلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتُ فَضْلَ ذَلِكَ فِي بَيْتِ الْمَالِ، ثُمَّ نَزَلَ.

فَعَرَضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كِتَابُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَوْ قَوْلُكَ؟

قَالَ: بَلْ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا ذَلِكَ؟

قَالَتْ: نَهَيْتَ النَّاسَ أَنْ يُغَالُوا فِي صُدُقِ النِّسَاءِ وَاللَّهُ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ:

﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [النِّسَاءِ: ٢٠].

فَقَالَ عُمَرُ: كُلُّ أَحَدٍ أَفْقَهُ مِنْ عُمَرَ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَنْبَرِ فَقَالَ لِلنَّاسِ: " إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ تُغَالُوا فِي صُدُقِ النِّسَاءِ، أَلَا فَلْيَفْعَلْ رَجُلٌ فِي مَالِهِ مَا بَدَأَ لَهُ ".

مُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ:

كَانَ عَالِمًا عَظِيمًا، وَكَانَتْ وَمَا أَزَالَ مُجَلًّا لَهُ، وَقَدْ رَاجَعْتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خَطَأٍ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ قَالَ لِي: رَاجِعْ مَعْلُومَاتِكَ، وَكَأَنَّهُ الصَّوَابُ وَكَأَنَّ غَيْرَهُ الْخَطَأُ.

إِنَّ الْخَطِيبَ أَيَّ خَطِيبٍ كَانَ مَهْمَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ وَسَمَا فِي الْمَعْرِفَةِ عُرْضَةً لِأَنْ يُخْطِئَ فِي خُطْبَتِهِ بِفِكْرَةٍ يَطْرُقُهَا، أَوْ بِرَأْيٍ يَتَبَنَّاهُ، أَوْ بِتَحْلِيلٍ يُحْلِلُهُ، أَوْ بِمَوْقِفٍ يَتَّخِذُهُ، أَوْ بِمَسْأَلَةٍ فِقْهِيَّةٍ يَقْدِمُهَا ... فَإِذَا مَا رُوجِعَ فِي ذَلِكَ - وَبَانَ لَهُ خَطُؤُهُ - فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِخَطِيئِهِ أَمَامَ مَنْ نَصَحَهُ، ثُمَّ يُسَارِعَ إِلَى جُمْهُورِهِ الَّذِي أَخْطَأَ أَمَامَهُ فَيُصَحِّحَهُ.



روى الدارقطني في سننه عن أبي المليح الهذلي (٤٤٧١)
أنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ " أَمَا بَعْدُ
فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ ... وَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ:
وَمُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ ... الْحَدِيثُ.

٢٣ - بَيْنَ خَوْفَيْنِ

الخوف من الله والخوف من السلطان

هكذا كانوا!



روى التلمساني في كتابه "نفح الطيب" ٥٧ / ١ أن الناصر - حاكم الأندلس - كان كلفاً بعمارة الأرض ... فأفضى به الإغراق في ذلك إلى أن ابنتى مدينة الزهراء ... واستفرغ وسعته في تنميقها، وإتقان قصورها ... وانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاث جمع متواليات فأراد القاضي منذر بن سعيد أن يغض منه بما يتناوله من الوعظ ... فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءَ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٨ - ١٣٦]

ثم وصله بقوله: فمتاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى، وهي دار القرار، ومكان الجزاء، ومضى في ذم تشييد البنيان، والاستغراق في زخرفته، والإسراف في الإنفاق عليه بكلام جزل، وقول فصل ... حتى أذكر من حضره من الناس، وخشعوا ورقفوا، واعترفوا وبكوا، وضجوا ودعوا، وأعلنوا التضرع إلى الله في التوبة، والابتهاال في المغفرة.



وأخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ وقد علم أنه المقصود به، فبكى وندم على ما سلف له من فرطه، واستعاد بالله من سخطه، إلا أنه وجد على منذر لغلظ ما قرعه به، فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر وقال: والله لقد تعمّدي منذر بخطبته، وما عنى بها

غَيْرِي، فَأَسْرَفَ عَلَيَّ، وَأَفْرَطُ فِي تَقْرِيْعِي، وَلَمْ يُحْسِنِ السِّيَاسَةَ فِي وَعْظِي،
فَزَعَزَعَ قَلْبِي، وَكَادَ بَعْصَاهُ يَقْرَعُنِي، وَاسْتَشَاطَ غَيْظًا عَلَيْهِ فَأَقْسَمَ أَلَّا يُصَلِّيَ
خَلْفَهُ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ خَاصَّةً ...

فَقَالَ لَهُ الْحَكَمُ ابْنُهُ: فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ عَزْلِ مُنْذِرٍ عَنِ الصَّلَاةِ بِكَ وَالِاسْتِبْدَالِ
بِغَيْرِهِ مِنْهُ؟

فَزَجَرَهُ وَانْتَهَرَهُ، وَقَالَ: أَمِثْلُ مُنْذِرٍ بَيْنَ سَعِيدٍ فِي فَضْلِهِ وَخَيْرِهِ وَعِلْمِهِ - لَا أُمَّ
لَكَ - يُعَزَلُ لِإِرْضَاءِ نَفْسٍ نَاكِبَةٍ عَنِ الرُّشْدِ سَالِكَةٍ غَيْرِ الْقَصْدِ؟ هَذَا مَا لَا يَكُونُ
... بَلْ يُصَلِّي حَيَاتِهِ وَحَيَاتِنَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَمَا أَظُنُّنَا نَعْتَاضُ مِنْهُ أَبَدًا أَهـ.

دُونِ ذَلِكَ:

قَدْ لَا يَرْتَقِي الْخَطِيبُ - خَطِيبُ الْمَنَابِرِ وَالْمَحَافِلِ - إِلَى مُسْتَوَى الْمُنْذِرِ
فِي شَجَاعَتِهِ وَجُرْأَتِهِ، وَمُجَاهَرَتِهِ بِالْحَقِّ وَعَدَمِ خَوْفِهِ مِنَ السُّلْطَانِ وَبَأْسِهِ، وَمَا
يُمْكِنُ أَنْ يُوقِعَهُ بِهِ، وَيُذَيِّقَهُ إِيَّاهُ ...

نَعَمْ قَدْ لَا يَرْتَقِي إِلَى هَذَا الْمُسْتَوَى فَلَا أَقَلَّ مِنْ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى التَّلْمِيحِ وَالتَّوْرِيَةِ
وَالتَّعْرِيزِ، وَلِيَتَأَكَّدَ تَمَامًا بِأَنَّ جُمْهُورَهُ سَيَفْهَمُ عَنْهُ فَيُوصِلَ رِسَالَتَهُ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَخْشَى مُسَاءَلَةً أَوْ حِسَابًا.

وهذه بعض النماذج:



فِرْعَوْن:



إِنَّ فِرْعَوْنَ نَمُوذَجٌ وَقِحٌ لِلْحَاكِمِ الْمُسْتَبِدِّ، الَّذِي عَلَا
فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ شَعْبَهُ شَيْعًا وَطَوَائِفَ يَضْرِبُ
بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ، وَيَسْتَعْلِي بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَبَلَغَ
بِهِ اسْتِبْدَادُهُ وَقَسْوَتُهُ إِلَى أَنْ يَفْجَعَ الْأُمَّ بِابْنِهَا الَّذِي حَمَلَتْهُ
جَنِينًا وَتَعَبَّتْ فِي حَمْلِهِ، وَعَدَّتْ الْأَيَّامَ لِتَرَاهُ فِي حَجْرِهَا
يَرْضَعُ مِنْ ثَدْيِهَا وَعَلَّقَتْ أَمَالَهَا عَلَيْهِ ... بَلَغَ بِهِ الْأَمْرُ

أن يذبحه على مَرَأى مِنْهَا وَمِنْ أَبِيهِ وَمِنْ قَوْمِهِ ... وَفَوْقَ هَذَا وَذَلِكَ ادَّعى
لِنَفْسِهِ زُوراً وَبُهْتَاناً مَنْصِبَ الأُلُوْهِيَّةِ مُنْفَرِداً بِهِ.

وَعِنْدَمَا بَعَثَ اللهُ مُوسَى لِيُنْقِذَ تِلْكَ الشُّعُوبَ البَائِسَةَ مِنْ بَرَاثِنِهِ، وَأَيِّدَهُ بِالأَدِلَّةِ
القَاطِعَةِ، وَالبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ اتَّهَمَهُ بِأَنَّهُ رَجُلٌ مَطَامِحٌ وَمَطَامِعٌ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِ
سَحَرَتَهُ لِيَهْزِمَهُ فَهَزَمَهُمُ بِالحَقِّ الَّذِي مَعَهُ فَأَمَّنُوا بِمُوسَى وَانْشَقُّوا عَنِ فِرْعَوْنَ
فَاتَّهَمَهُمُ بِالعَمَالَةِ وَقَتَلَهُمْ شَرّاً قَتَلَةً.



وَلَمَّا خَرَجَ مُوسَى بِقَوْمِهِ تَحْتَ جُنْحِ الظُّلَامِ؛
لِيُنْجِيَهُمْ مِنْ سَيَاطِطِ الظُّلَامِ لَحِقَ بِهِ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ
فَانْتَهَى بِهِ الأَمْرُ غَرِيقاً هُوَ وَجُنُودُهُ، وَمَاتَ
فِرْعَوْنُ وَهَا هُوَ جُثْمَانُهُ - حَتَّى اليَوْمِ - يُحَدِّثُ
الطُّغَاةَ وَالظَّالِمِينَ مِنْ مَصِيرِ كَمَصِيرِهِ وَلَكِنَّهُمْ لَا
يَفْعَلُونَ.

وَفي تَقْدِيرِنَا أَنَّ الخَطِيبَ إِذَا مَا اسْتَعْرَضَ قِصَّةَ فِرْعَوْنَ عَلَى جُمهُورِهِ
فأَحْسَنَ سَرْدَهَا وَاسْتِخْلَاصَ العِبَرِ مِنْهَا فَإِنَّهُ بِذَلِكَ سَيُعَرِّي جَمِيعَ الطُّغَاةِ
والمُسْتَبْدِينَ، المُتَحَكِّمِينَ بِعِبَادِ اللهِ، الحَاكِمِينَ بِغَيْرِ مَا أَمَرَ اللهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ
يُصْرِّحَ بِاسْمِ أَحَدٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَقَعَ تَحْتَ مُسَاءَلَةِ أَحَدٍ.

هامان:

وَهَذَا نَمُودِجُ آخَرَ لوزِيرِ السُّوءِ الَّذِي سَحَرَ مَوَاهِبَهُ لِخِدْمَةِ الطُّغَاةِ، وَتَثْبِيتِ
عُرُوشِهِمْ، وَتَلْبِيَةِ رَغْبَاتِهِمْ، وَتَصْفِيَةِ خُصُومِهِمْ، وَفِي سَرْدِ قِصَّتِهِ تَعْرِيةٌ
لأَمْثَالِهِ وَمَا أَكْثَرَهُمْ فِي أَرْضِنَا !!

قارون!



وهذا أيضاً نموذجٌ صارخٌ للكانزِ الجادِ الذي أفضلَ اللهُ عليه، فنسيَ فضلَ اللهِ عليه، ونسبَ الفضلَ إليه، وتحالَفَ مع المُستبِدِّ ضدَّ شعبه - وهو في أصله واحدٌ من شعبه - وها هو ذا يخرُجُ على الناسِ في زينته ليُفِطِرَ قُلُوبَ المَساكينِ، ويفتِنَ إيمانَ الضُّعفاءِ، فسخطَ اللهُ عليه وأمرَ أرضه أن تَنشقَ وتبتلعَه هو وما يَمَلِكُ .. وفي سردِ قصته رسالةٌ لكلِّ كانزٍ جادٍ على طرازه.

لا أقلّ من ذلك:

و لئن لم يكن الخطيبُ المُنذِرُ بقوةٍ وصراحةٍ وجُرأةٍ الخطيبِ القاضي مُنذِر

ولم يكن أيضاً - دونَ ذلك - مِمَّن يُلجأُ إلى التلميح والتعريض.

فحسبُه أن يعرضَ حقائقَ الإسلامِ بعيداً عمّا يستشعرُ أنه قد يُدخلُه في صراعٍ مع السُلطانِ ومُساءلته ومُحاسبته وهذا ما أدركتُ عليه حُطباءنا مع الأسفِ.

٢٤ - الرَّأْيُ وَالرَّأْيُ الْآخَرُ

الْخِلَافُ وَالْإِخْتِلَافُ

الْإِخْتِلَافُ:



حَضَرْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ احْتِفَالاً دِينِيّاً بِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ مِيلَادِ سَيِّدِ الْوُجُودِ الَّذِي يُعَدُّ مِيلَادَهُ مِيلَاداً لِلأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي أَعَادَتِ لِلإِنْسَانِ مَعْنَى الْإِنْسَانِيَّةِ، وَقُدِّمَ أَحَدُ الْمُحَاضِرِينَ - وَهُوَ مِنَ الْخُطَبَاءِ الْمَعْرُوفِينَ - لِلْكَلامِ، وَمَا إِنْ اسْتَقَرَّ خَلْفَ مُكَبَّرِ الصَّوْتِ حَتَّى بَدَأَ هُجُوماً لِإِذْعَاءٍ - لَا عَلَى الطُّغَاةِ وَالْمُسْتَبِدِّينَ، وَلَا عَلَى الْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ - بَلْ عَلَى أَوْلِيكَ

الَّذِينَ يُنْكِرُونَ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْإِحْتِفَالَاتِ وَيَرُونَ فِيهَا بِدْعَةً وَضَلالاً وَكَانَ فِيمَا قَالَ: إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَقِفُونَ هَذَا الْمَوْقِفَ الْمُعَادِيَّ مِنْ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِحْتِفَالَاتِ لِأَنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ!

وَلَمَّا أَنْ قُمْتُ خَطِيباً مِنْ بَعْدِهِ أَسْرَعْتُ لِلْقَوْلِ: إِنِّي مِنَ الَّذِينَ يَرُونَ مَشْرُوعِيَّةَ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِحْتِفَالَاتِ لِإِدْلَالِ قَامَتِ عِنْدِي، وَلَكِنِّي لَا أَتَّفِقُ مَعَ الْأَخِ الْكَرِيمِ الَّذِي تَكَلَّمَ مِنْ قَبْلِي، وَلَا أُوَافِقُهُ الرَّأْيَ فِي أَنَّ الَّذِينَ لَا يَحْتَفِلُونَ بِمِيلَادِ الرَّسُولِ ﷺ إِنَّمَا صَدَّهَمَ عَنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَهُ، لَا، بَلْ لَعَلَّ فِيهِمْ مَنْ يُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنَّا جَمِيعاً، غَايَةُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنْ اجْتِهَادَهُ أَوْ اجْتِهَادَ مَنْ يَتَّقُ هُوَ بِهِ أَسْلَمَهُ إِلَى عَدَمِ مَشْرُوعِيَّةِ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِحْتِفَالَاتِ.

وَأَضَفْتُ قَائِلاً: لَا شَكَّ عِنْدِي لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْآنَ بَيْنَنَا لَسَاءَهُ مَا يَرَاهُ مِنْ أُمَّتِهِ وَمِنْ إِخْتِلَافِهَا حَتَّى فِي يَوْمِ ذِكْرِ مِيلَادِهِ وَمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنْ تَرَامِي التُّهْمِ بِالْبِدْعِ وَالْفِسْقِ وَالْمُرُوقِ مِنَ الدِّينِ.



وبالمقابل وقف أحدهم في أول ليلة من أيالي رمضان ليعلنها مُدويةً أن التراويح (٨) ركعاتٍ وحسب، و ما زاد فهو بدعة! ثم تابع قائلاً وكذلك زيارة الرسول ﷺ في مسجده بدعة، ولا أعلم ما علاقة الثاني بالأول؟

إن كلا الخطيبين - إن صحَّ اعتبارُهُما خطيبين - مخطئٌ كلَّ الخطأ في أمرين:

١- في طرح القضايا الخلافية على الجمهور.

٢- في التعصُّب لرأيه، ورفض الرأي الآخر تماماً.



يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه "خطب الشيخ محمد الغزالي" ٢٠ / ١ " لا يجوز أن تتعرض الخطبة للأمور الخلافية، ولا أن تكون تعصباً لوجهة نظرٍ مُحددة.

فإن المسجد يجمع ولا يفرق، ويلم شمل الأمة بشعب الإيمان التي يلتقي عندها الكلُّ دون خوضٍ في المسائل التي يتفاوت تقديرها

وقد شقَّى المسلمون بالفرقة أياماً طويلةً، و جديرٌ بهم أن يجدوا في المساجد ما يوجد الصُوفى، ويطفئ الخصومات.

الخلاف:

ما قرَّناه - قبل قليلٍ - إنما يصدِّق على القضايا والمسائل الخلافية - في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق، وأسلفنا أنه لايجوز طرحها على المنابر وفي المحافل، وإن دعت ضرورة ما ل طرحها فينبغي أن تُقدَّم بغير تعصُّب لها، بل مع احترام الرأي الآخر - الذي قد يكون الصواب حليفاً له وأما إذا ما كانت المسألة التي يُريدُ الخطيبُ طرحها مخالفةً ومُجانبَةً للحقائق المُسلم بها في الإسلام، فعليه أن يطرَحها بقوةٍ ويدحضها بعزيمةٍ ويؤيِّد ذلك بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، ولا يجوز له أبداً أن يتعامل معها بليونةٍ وميوعةٍ.

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١]

مَسَلُّكَ مُرِيبٌ:

لبعض الخطباء والدعاة مسلك أقل ما يُقال فيه إنه مسلك مُريب فتراه إذا ما طرح القضايا الخلافية طرحها بقوة، فأظهر رأيه كأنه الحق لا حق سواه ، و دحض رأي غيره كأنه الباطل لا باطل سواه !
وأما المسائل المتفق على مخالفتها لحقائق الإسلام فتراه وكأن خصومةً بينه وبينها.

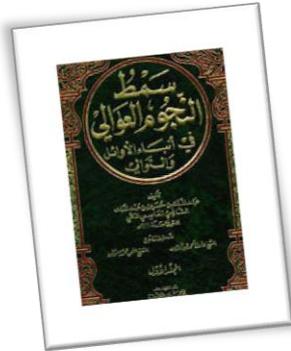
أوليس - مُريباً - أن نُشعل حرباً ونكتب كتباً ونُلقي محاضراتٍ ... من أجل نصرة أو إبطال الاحتفال بذكرى ميلاد الرسول ﷺ ثم يسكت أولئك عن البنوك الربوية، والتطبيع مع اليهود، والاستبداد السياسي والفساد المالي ...



لصالح من هذه الحماسة في الخلافات، والصمت أمام ما اتفقت عليه الأمة من المحرمات؟

٢٥ - سُرْعَةُ الْبَدِيهَةِ وَإِنْقَاذُ الْمَوْقِفِ

إِنَّهُ أَبُو الْحَسَنِ!



يروى العِصَامِيُّ صاحبُ كتابِ " سِمَطِ النُّجُومِ الْعَوَالِي " ٧١/٣ أَنْ عَلِيًّا بَيْنَمَا كَانَ يَخْطُبُ عَلَى الْمَنْبِرِ وَقَدْ ابْتَدَأَ كَلِمَتَهُ بِقَوْلِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بِالْحَقِّ قَطْعًا، وَيَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ،وَإِلَيْهِ الْمَأْبُ وَالرُّجْعَى، فَإِذَا بِرَجُلٍ يُقَاطِعُهُ وَيَسْأَلُهُ عَنِ نَصِيبِ زَوْجَةٍ مَاتَ زَوْجُهَا عَنْهَا وَعَنْ أَبِي بَيْنٍ وَبَيْنَيْنِ فَقَالَ عَلَى الْبَدِيهَةِ صَارَ ثَمْنُهَا تُسْعًا ثُمَّ اسْتَمَرَ عَلَى أُسْلُوبِ خُطْبَتِهِ.

قِصَّةُ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ:



رَوَى الْمُؤَرِّخُ ابْنُ خَلْدُونَ فِي تَارِيخِهِ (١٨٣ /٤) أَنَّهُ فِي سَنَةِ (٤٣٦) هـ وَفَدَّ عَلَى النَّاصِرِ - أمير الأندلس - رُسُلٌ صَاحِبِ الْقِسْطِ نِظِيئَةٍ وَهَدِيَّتِهِ ... وَاحْتَفَلَ النَّاصِرُ لِلِقَائِهِمْ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ ،وَكَتَبَ فِيهِ الْعَسَاكِرَ بِالسِّلَاحِ فِي أَكْمَلِ هَيْئَةٍ وَزِيٍّ ،وَزَيَّنَ الْقَصْرَ ... وَرَتَّبَ الْوُزَرَءَ وَالْخَدَمَةَ فِي مَوَاقِفِهِمْ ... وَأَمَرَ يَوْمَئِذٍ الْأَعْلَامَ أَنْ يَخْطُبُوا فِي ذَلِكَ الْمَحْفَلِ، وَيُعْظِمُوا أَمْرَ الْإِسْلَامِ وَالْخِلَافَةِ، وَيَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى ظُهُورِ دِينِهِ وَإِعْزَازِهِ، وَذَلَّةِ عَدُوِّهِ فَاسْتَعْدُوا لِذَلِكَ، ثُمَّ بَهَرَهُمْ هَوْلُ الْمَجْلِسِ فَرَجَعُوا وَشَرَعُوا فِي الْعَزْلِ (الْمَدِيحِ) فَأَرْتَجَّ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ فِيهِمْ أَبُو عَلِيٍّ الْقَالِي وَافْدُ الْعِرَاقِ ... فَلَمَّا وَجَمُوا كُلَّهُمْ قَامَ مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُوطِيِّ مِنْ غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَلَا تَقَدَّمَ لَهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ بِشَيْءٍ فَخَطَبَ وَاسْتَحْفَزَ، وَجَلَا فِي ذَلِكَ الْقَصْدِ، وَأَنْشَدَ فِي آخِرِهِ شِعْرًا طَوِيلًا ارْتَجَلَهُ فِي ذَلِكَ الْعَرَضِ ،فَفَازَ بِفَخْرِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، وَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ شَأْنِهِ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ مَا وَقَعَ، وَأَعْجَبَ بِهِ النَّاصِرُ وَوَلَّاهُ الْقَضَاءَ بَعْدَهَا، وَصَارَ مِنْ رِجَالِ الْعَالَمِ ...

خُذُوا حِذْرَكُمْ:

إِنَّ الْخَطِيبَ -خطيب المنابر والمحافل- عُرْضَةٌ لَأَنْ يَحْدُثَ مَعَهُ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْمُحْرَجَةِ وَالْمَوَاقِفِ غَيْرِ الْمُتَوَقَّعَةِ مَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْطُرَ لَهُ عَلَى بَالٍ، كَأَنْ يُقَاطِعَهُ أَحَدٌ بِسُؤَالٍ مُحْرَجٍ، أَوْ يَرِدَ عَلَيْهِ بَعْضَ مَا يَقُولُ، أَوْ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ كَأَنْ يَسْبَهُ أَوْ يَشْتَمَهُ أَوْ حَتَّى يَهَمَّ بِضَرْبِهِ أَوْ يَضْرِبَهُ بِالْفِعْلِ ... فعلى الْخَطِيبِ أَوَّلًا أَنْ يَتَمَاسَكَ ثُمَّ يَتَصَرَّفَ بِمَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا كَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سَمِعَ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ، أَوْ الْإِجَابَةِ ... على أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ حَصْرُ الْمَوَاقِفِ وَلَا يُمْكِنُ حَصْرُ رُودِ الْأَفْعَالِ، وَاللَّهُ الْمُوقِّقُ وَالْمُنْجِي.

مَوَاقِفٌ مَعِي:

رَجُلٌ يُقَاطِعُ الْخَطِيبَ:

بَيْنَمَا كُنْتُ وَاقِفًا أَخْطُبُ الْجُمُعَةَ وَأَتَحَدَّثُ عَنْ بَعْضِ مِنْ أَحْكَامِ الطَّلَاقِ إِذَا بِرَجُلٍ (وَهُوَ شَيْخٌ بَلَدِهِ) يُقَاطِعُنِي وَيُخْطِئُنِي، فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا أَنْ أَعَدْتُ كَلَامِي الْأَوَّلَ مُؤَكِّدًا أَنَّهُ هُوَ الصَّوَابُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى تَخْطِئَتِي وَعَدْتُ إِلَى تَأْكِيدِ كَلَامِي فَسَكَتَ هُوَ وَأَكْمَلْتُ أَنَا، وَلَقَدْ سَاعَدَنِي فِي مَوْقِفِي هَذَا أَنِّي كُنْتُ قَدْ حَضَرْتُ مَوْضِعَ الْخُطْبَةِ تَحْضِيرًا مُمْتَازًا وَتَوَثَّقْتُ مِنْ كُلِّ مَعْلُومَةٍ أَلْقَيْتُهَا عَلَى الْجَمَاهِيرِ، وَأَحْسَبُنِي لَوْلَا ذَلِكَ لَسَكَتُ وَأُحْرَجْتُ.

رَجُلٌ يَهْتَفُ وَيُكَبِّرُ!



كُنْتُ أَخْطُبُ أَيَّامَ غَزَا الْأَمْرِيكَانِ وَخُلَفَاؤُهُمِ الْعِرَاقَ وَأَسْقَطُوا نِظَامَ صَدَّامِ حُسَيْنٍ، فَإِذَا بِرَجُلٍ يَقُومُ وَيُكَبِّرُ وَيُهَاجِمُ الرُّعَمَاءَ الْعَرَبَ أَوْلِيكَ الَّذِينَ شَارَكُوا أَمْرِيكََا يَوْمَ غَزَتِ الْكُوَيْتَ، وَسَكَنُوا تَمَامًا يَوْمَ غَزَيْتِ الْعِرَاقَ ... فَتَرَكْتُهُ حَتَّى أَتَمَّ هُتَافَهُ وَتَكْبِيرَهُ وَمُدَاخَلَتَهُ ثُمَّ قُلْتُ: إِنَّ هَذَا الْأَخَ نَمُودِجٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا، وَقَدْ صَرَخَ بِمَا يَجِيشُ فِي صُدُورِنَا

وأكملتُ كَلِمَتِي كَأَنَّ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ ، بَلْ إِنَّ النَّاسَ نَسُوا فِي آخِرِ الْخُطْبَةِ مَا كَانَ فِي أَثْنَائِهَا.

نصيحة غير شكل!

خَطَبْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي إِحْدَى الْقُرَى وَلَمَّا أَنْ انْتَهَيْتُ مِنَ الصَّلَاةِ إِذَا بِرَجُلٍ يَقُومُ وَيَقُولُ عَلَى الْمَلَأِ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَنْصَحَ هَذَا الْخَطِيبَ، وَشَنَّنَ عَلَيَّ هُجُوماً شَرِساً وَتَرَكْتُهُ حَتَّى قَالَ كُلَّ مَا يُرِيدُ قَوْلَهُ، وَلَمَّا أَنْ سَكَتَ قُلْتُ لَهُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً وَلَكِنْ حَبِّذاً لَوْ كَانَتِ النَّصِيحَةُ فِيمَا بَيْنَنَا فَقَدِيماً قَالُوا: النَّصِيحَةُ بَيْنَ النَّاسِ فَضِيحَةٌ.

الخطبة لمن سبق:

وهذا موقفٌ من أطرفٍ ما جرى معي، كُفِّتُ بِالْخَطَابَةِ فِي إِحْدَى الْقُرَى فِي مَسْجِدٍ شَبِهَ خَالٍ، وَمَعَ مَرُورِ الْأَيَّامِ امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ بِالْمُصَلِّينَ فَإِذَا شَيْخٌ مِنْ تِلْكَ الْقَرْيَةِ - وَكَانَ الْمَسْجِدُ قَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ - يَطْمَعُ بِهِ - وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنِّي مَا طَمَعْتُ بِشَيْءٍ فِي حَيَاتِي سِوَى بِالْأَزْدِيَادِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ - وَلَكِنَّهُ لَمْ يُكَاشِفْنِي بِذَلِكَ بَلْ سَلَكَ طَرِيقَةً غَرِيبَةً فَقَدْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَصَعَدَ الْمِنْبَرَ مُبَاشِرَةً وَخَطَبَ بِالنَّاسِ، وَالنَّاسُ فِي دَهْشَةٍ وَأَنَا مِثْلُهُمْ، وَكَانَتْ خُطْبَتُهُ بِالْعَامِيَّةِ وَخَالِيَّةٍ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ ... وَانْتَهَتْ الْخُطْبَةُ، وَانْتَظَرَ النَّاسُ مَا سَيَكُونُ بَيْنَ الْخَطِيبَيْنِ فَمَا كَانَ مِنِّي إِلَّا أَنْ قُلْتُ لَهُ وَالنَّاسِ: قَدِيماً قَالُوا: أَهْلُ مَكَّةَ أَدْرَى بِشِعَابِهَا، وَهَذِهِ مَكَّةُ وَهَذِهِ شِعَابُهَا وَتَرَكْتُ الْمَسْجِدَ، وَأَبْدَلَنِي اللَّهُ مَسْجِداً أَقْرَبَ مِنْهُ، وَجُمْهوراً أَكْثَرَ لِبَاقَةِ مَنْ أَوْلَيْكَ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ.

٢٦ - الحيرة بين القول والفعل

لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة: ٤٤]



يقول صاحب الظلال (١ / ٦٨) مع أن هذا النص القرآني كان يواجه ابتداءً حالة واقعة من بني إسرائيل، فإنه في إيحائه للنفس البشرية، ولرجال الدين بصفة خاصة، دائم لا يخص قوماً دون قوم، ولا يعني جيلاً دون جيل.

إن أفة رجال الدين - حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارة دافعة أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم!

يأمرُونَ بِالْخَيْرِ وَلَا يَفْعَلُونَهُ!

وَيَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ وَيُهْمِلُونَهُ!



والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه هي الآفة التي تُصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم، ولكن في الدعوات ذاتها، وهي التي تُبلي قلوب الناس وأفكارهم لأنهم

يسمعون قولاً جميلاً، ويشهدون فعلاً قبيحاً، فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدتها العقيدة، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان ولا يعودون يتقون في الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين.

إن الكلمة لتنبعث مينة، وتصل هامةً مهما تكن طنانة رنانة متحمسة، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول وتجسيماً واقعياً لما ينطق ...



عندئذٍ يُؤْمِنُ النَّاسُ وَيَتُفَوِّنَ، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنينٌ أو بريقٌ ... إنّها حينئذٍ تستمدُّ قوتها من واقعها لا من رنينها، وتستمدُّ جمالها من صدقها لا من بريقها، إنّها تستحيلُ يوماً دفعةً حياةً لأنها مُنبثقةٌ من حياة.

خُطْبُ فِي النَّارِ!

رَوَى الشَّيْخَانِ - وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ - عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (٣٢٦٧) أَنَّهُ قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

" يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَتَلَقُّ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرِحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ:

أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟

قَالَ: كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ."

أَقُولُ: وَكَمْ سَمِعْتُ خُطْبَاءَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الْغَيْبَةِ ثُمَّ لَا يَتَحَاشَوْنَ عَنْهَا.

وَكََمْ سَمِعْتُ خُطْبَاءَ يَدْعُونَ لِلْإِنْفَاقِ ثُمَّ لَا تَخْرُجُ مِنْ جَيْبِهِمْ خَمْسُونَ لِيرَةً. وَكََمْ سَمِعْتُ عَنِ خُطْبَاءَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الظُّلْمِ ثُمَّ تَرَاهُمْ يَأْكُلُونَ عَلَى مَوَادِّ الظَّالِمِينَ وَيَسِيرُونَ فِي رِكَابِ الظَّالِمِينَ ... وَحَسْبُهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ.

وَصِفَةُ مُجْرَبَةٍ:

يَقُولُ صَاحِبُ الظَّلَالِ (٦٨/١) وَالْمُطَابَقَةُ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَبَيْنَ الْعَقِيدَةِ وَالسُّلُوكِ لَيْسَتْ أَمْرًا هَيِّئًا، وَلَا طَرِيقًا مُعَبَّدًا، إِنَّهَا بِحَاجَةٍ إِلَى رِيَاضَةٍ وَجُهْدٍ وَمَحَاوَلَةٍ وَإِلَى صَلَاةٍ بِاللَّهِ وَاسْتِمْدَادٍ مِنْهُ وَاسْتِعَانَةٍ بِهِدْيِهِ، فَمُلَابَسَاتُ الْحَيَاةِ وَضُرُورَاتُهَا وَاضْطِرَارَاتُهَا كَثِيرًا مَا تَنَاقَى بِالْفَرْدِ فِي وَاقِعِهِ عَمَّا يَفْتَقِدُهُ فِي ضَمِيرِهِ، أَوْ عَمَّا يَدْعُو إِلَيْهِ غَيْرَهُ.



والفردُ النَّائِي ما لم يتَّصل بالله ضعيفٌ مهما كانت قوّته، لأنَّ قوى الشرِّ والطُّغيان والإغواء أكبرُ منه، وقد يُغالبها مرّةً ومرّةً ومرّةً، ولكنَّ لحظةً ضعفٍ تنتابه فيتخاذلُ ويتهاوى، ويخسرُ ماضيه و حاضره ومُستقبله.

فأمّا وهو يركنُ إلى الله فهو قويُّ قويُّ قويُّ، أقوى من كلِّ قويٍّ، قويٌّ على شهوته وضعفه، قويٌّ على ضروراته واضطراراته، قويٌّ على ذوي القوّة الذين يواجهونه.

الناسُ والخطيبُ:

ليكنُ في معلوم الخطيبِ خصوصاً والدُّعاةِ عموماً أنَّ العيونَ ترمقُهم أكثرَ من الأذانِ التي تُصغي إليهم وتترقبُ منهم عثرةً أو كبوةً أو غلطةً.

- فيا أيُّها الخطيبُ إن أردتَ أن تأمرَ بمعروفٍ فكنُ أسبقَ النَّاسِ إليه.
- ويا أيُّها الخطيبُ إن أردتَ أن تنهى عن مُنكرٍ فكنُ أبعدَ النَّاسِ عنه أنتَ ومن لك سلطنةٌ عليه من أهلكَ.
- ويا أيُّها الخطيبُ تعهّد زوجتكَ وأولادكَ وأصدقائكَ وأقربائكَ أيضاً لأنَّ الناسَ يرونك في سلوكهم.
- واعلم أنَّ النَّاسَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ إن رأوا خيراً سكتوا عنه، وإن رأوا شراً أذاعوه وأعلنوه، وما شيءٌ أحبُّ إلى بعضِ النَّاسِ من زلِّ الدُّعاةِ.
- وممّا زاد الطَّينَ بلةً الوسائلُ الحديثةُ التي باتت ترقبُ حركاتِ الدُّعاةِ وسكّناتهم وتذيعها وتنشرها هنا وهناك، بل وصارَ هناك من إذا سمعَ من الخطيبِ أمراً، أو رآه تصرفاً تصرّفاً عرضَه على كلامٍ له أو تصرّفٍ قيلَ في زمنٍ سابقٍ ليبينَ للناسِ مدى التّعارضِ بين ما قيلَ في الأمسِ، وما يُقالُ اليومَ.



- ٣ -



الخطبة

إعدادها - إلقاءها

ما هي الخُطبةُ؟



ما هي الخُطبةُ؟

إنَّها تلك الرِّسالةُ النَّبيلةُ الَّتِي يُريدُ الخَطيبُ -خطيبُ المَنابرِ والمَحافلِ- أن يُوصلَها إلى جُمهوره.

إنَّها للتَّعريفِ باللهِ للجَاهِلينَ به!

إنَّها لتوثيقِ الصِّلَةِ باللهِ للعارفينَ به

إنَّها لبيانِ ما أحلَّ اللهُ، ولماذا أحلَّهُ؟

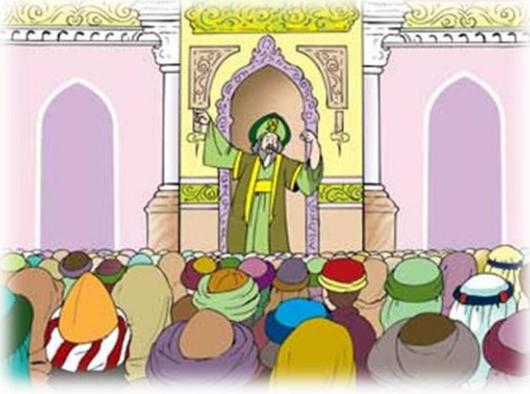
إنَّها لبيانِ ما حرَّم اللهُ، ولماذا حرَّمه؟

إنَّها لتزكيةِ الضَّميرِ والشُّعورِ والعملِ والسُّلوكِ

إنَّها امتدادُ طيبٍ لتلك الخُطبةِ الَّتِي وقفَ فيها سيِّدُ الأوَّلِينَ والآخرينَ

على الصِّفا

يَدْعُو النَّاسَ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحدهُ



– أ –

إعدادُ الخُطبةِ

اصطياؤها – تحضيرُها

مقدّماتها – أفكارُها – خاتماتها

الدُّعاء

١- ماذا سأقول؟

• اصطیادُ الموضوعِ:



ينتابُ الكثيرَ منَ الخطباءِ سؤالٌ مُلحٌ ومُتكرِّرٌ: ماذا
سأقولُ في الأسبوعِ القادمِ؟

وماذا سأقولُ فيما لو قُدِّمْتُ للكلامِ في محفلٍ خاصٍّ أو
عامٍّ؟

وهل - يا ترى - بقيَ ما يُقالُ؟

• حَدَثُ السَّاعَةِ:



مع إشراقةِ شمسِ كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٍ وَمَغِيْبِهَا تُطالِعُنَا
وسائِلُ الإعلامِ المُختلفةِ بِكُلِّ نَبَأٍ جَدِيدٍ في مَجالِ
الاكتِشافاتِ والاختِراعاتِ والابتِكراتِ في شتَّى المَجالاتِ
المَدنيَّةِ كالتَّطْبِيبِةِ والفَلَكِيةِ ... والعَسْكَريَّةِ، كما وتحدَّثنا عن الحُرُوبِ
والصِّراعاتِ في الدُّولِ وبينَ الدُّولِ، وعن الأزماتِ الاقْتِصاديَّةِ،
والكَوارِثِ الطَّبيعيَّةِ من التَّسونامي والزَّلزَلِ
والصَّواعِقِ ... والأوبئةِ العابِرةِ للقارَّاتِ وما
وباءُ (الكورونا) مِنَّا ببعيد، وما يَطْرأُ على
السَّاحةِ من مَذاهِبَ فِكْريَّةِ وتياراتِ سياسيَّةِ
... ووفاةِ مشاهيرٍ مِن نُجومِ العالَمِ و ... و ... الخ

ولا شكَّ أنَّ هذه الأحداثِ المُختلفةِ والمُتنوّعةِ تُشكِّلُ
لِلخطيبِ المَنابِرِ والمَحافلِ -بحراً واسعاً يَسْتَطِيعُ أن يَصْطادَ منه مَوْضوعَهُ
طازِجاً، ويقدِّمُهُ لِجمهوره نَضِيجاً، ولكنْ بعدَ أن يكونَ قد توثَّقَ من مَصدرِ
المَعلُوماتِ، وتوضَّحتِ الصُّورةُ عِنْدَهُ، وأحسَنَ الفَهمَ للحَدَثِ، والتَّحليلَ له
،والاستنباطَ منه، و إلا فليترَيِّثُ قليلاً فما أكثرَ المَعلُوماتِ الكاذبةِ، والتَّحليلاتِ
المُضِلَّةِ، والتَّعليقاتِ المُربِيةِ.

• المُناسَبات:

إن لم يكن ثَمَّة حَدَثٌ مُهِمٌّ، أو كانَ وَلَكِنَّ صَورَتَهُ لم تَتَّضِحْ بَعْدُ فليُنظَرِ الخَطِيبُ هَلْ ثَمَّةُ مُناسِبَةٌ قادمةٌ دِينِيَّةٌ كانت أم سِياسِيَّةً أم تاريخِيَّةً ... فليَجْعَلْها مَوْضوعاً لَخُطْبَتِهِ وكَلِمَتِهِ.



فالمُناسَباتُ الدِينِيَّةُ مِثْلُ: اقْتِرابِ دَخولِ شَهْرِ رَمَضانَ، أو عِيدِ الفِطْرِ، أو الأَضْحى، أو مُناسِبَةِ الهِجْرةِ، أو ذِكْرى مِيلادِ سَيِّدِ الوُجودِ، أو ذِكْرى الإِسرائِءِ... الخ



والمُناسَباتُ التَّاريخِيَّةُ: مِثْلُ انتِصارِ المُسلمينَ في بَدْرٍ، وفتحِ مَكَّةَ، وبيتِ المَقْدِسِ، ثمَّ تَحْريْرِهِ على يَدِ صِلاحِ الدِّينِ النَّاصِرِ، وضياعِهِ زَمَنَ جَمالِ عبدِ النَّاصِرِ، وسُقوطِ الأندلسِ، وفتحِ القِسطَنْبِيَّةِ ...

والمُناسَباتُ السِّياسِيَّةُ مِثْلُ: عِيدِ الجَلَاءِ ...

وألْفَتْ انتِباةَ الخَطِيبِ هُنا إلى ضَرورَةِ أن يُقَدِّمَ الخَطِيبُ في كُلِّ مَرَّةٍ جَدِيداً لِجُمهُورِهِ، ولا يُكْرِرَ ما قالَهُ في اللِّقاءِ السَّابِقِ، ولن يَسْتَطِيعَ ذلكَ حَتَّى يُكثِرَ من القِراءةِ والتَّفْكيرِ.

• حَقائِقُ الإِسلامِ الكُبْرى:

إذا لم يَكُنْ ثَمَّةُ حَدَثٌ يَسْتَدْعِي طَرَحَهُ من عَلى المِنْبَرِ، ولم تَكُنْ ثَمَّةَ مُناسِبَةٍ سَتَطُلُّ بِرأسِها، فَحَسَبُ الخَطِيبِ أن يُذَكِّرَ جُمهُورَهُ بِحَقائِقِ الإِسلامِ الكُبْرى في المَجالِ العَقْدِيِّ أو التَّشْرِيعِيِّ أو الأَخْلاقِيِّ وفي تَقْدِيرِ أنْ اقْتِصارَ الكَثْرَةِ الكائِرَةِ من الخُطباءِ على مَواضِعَ مُحدَدَةٍ في مَجالِ العَقيدَةِ أو الشَّرِيعَةِ أو الأَخْلاقِ جَعَلَ خَياراتِهِ ضَيِّقَةً، وقد أَفضنا في هَذِهِ النُّقْطةِ في مَبْحَثِ

" عِلْمانيونَ وَلَكِنْ لا يَشْعرونَ "

• الوادي الآخر:

لبعض الخطباء مسلكٌ غريبٌ في اختياره لخطبته فهو مقطوع الصلة عمّا يجري في العالم من أحداثٍ، ولعلّه لم ينتبه إلى أنّ مناسبةً مهمةً قد أطلت برأسها أو سنّطل برأسها عمّا قريبٍ فيأتي الناس بخطبة تكشف عن أنّ صاحبها في وادٍ، والجمهور في وادٍ آخر.

يقول الدكتور عماد الدين الرشيد في كتابه "ثقافة الخطيب" ص / ٣:

" فهذا خطيبٌ يعتلي المنبرَ وذهنه خالٍ من فكرةٍ يُقدّمها للناس!

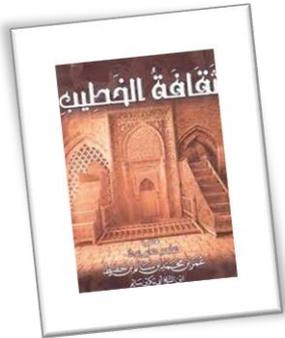
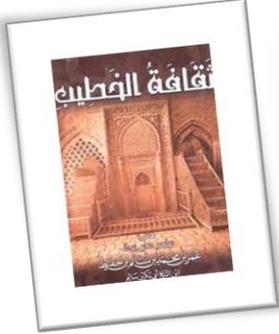
وهذا تشغله مسألةٌ شرعيةٌ تجاوزها الزمانُ فيعزمُ على أن يطرحها على الناسِ وكأنّهم يُشاركونه همّةُ المُنذر!

وهذا يعيشُ وعيه في زاويةٍ مهجورةٍ من المجتمعِ وحتى التاريخِ، فيطرخُ على الناسِ أبعادَ الموضوعاتِ عن أحداثِ الساعةِ التي تمرُّ بالأمةِ، فبينما يموتُ إخوانه في أرضِ الإسلامِ ينشغلُ هو بالحديثِ عن الزهدِ والفضيلةِ والعفو!

ويقولُ في موضعٍ آخر ص / ٢١ " إنّ الخطيبَ البائسَ الذي يخرُجُ على الناسِ، ويتكلّمُ بكلامٍ جامدٍ بينما يُقتلُ المسلمونَ في بقاعِ شتى ... هذا خطيبٌ بعيدٌ عن الواقعِ، خطيبٌ لا يعرفُ شيئاً عن الحياةِ، خطيبٌ معزولٌ في بُرجٍ عاجيِّ ."

• من الواقع:

دُعيتُ ذاتَ مرّةٍ إلى حفلٍ بمناسبةِ افتتاحِ سوقٍ تجاريٍّ جديدٍ، وبعدَ الإنشادِ، قدّمَ أحدُ الحاضرينَ ليتكلّمَ فتكلّمَ بموضوعٍ لا صلةَ له بالبتّةِ بالمناسبةِ التي دُعينا من أجلها، ولكم وددتُ أن أقدمَ للكلامِ فأتحدّثُ عن أهميّةِ السوقِ في حياةِ الناسِ، وأهميّةِ انضباطِ الأسواقِ بالضوابطِ الشرعيةِ، وأذكّرُ الأغنياءَ من الحاضرينَ



بالفقراء الغائبين وأن يكونَ في السوقِ متاجرُ خاصَّةٍ للفقراءِ ... ولكنِّي لم أقدم، ولم يُغن من قُدِّم شيئاً وهكذا ضاعت هذه الفرصة!



وقف أحدهم خطيباً على منبره يوم الجمعة وكانت الدنيا تهوِّج وتَموِّجُ بأخبار تلك الصُّورِ المُسيئةِ لحضرةِ الرَّسولِ ﷺ وللمُسلمين ولالإسلامِ كُله! غير أن فضيلته خاضَ في وادٍ آخر، فإذا بِشابٍ ينتفضُ ويثورُ في وجهه مُتَعَجِّباً من تصرُّفه وخُطْبَتِه وطالبه أن ينصُرَ الرَّسولَ ﷺ ولو بكلمة، ولكنَّ الخُطيبَ البائسَ التَّعَسَّ تابعَ مَوْضوعه الفذَّ كأنَّ شيئاً لم يَكُن!

٢- ما تُريدُ أن تقولَ



قد تتزاحمُ المَوَاضِيْعُ أمامَ الخَطيْبِ، فهذا حَدْثٌ عالميٌّ أو محليٌّ، وتلكُ مُناسِبَةٌ تُوشِكُ أن تُطلَّ بِرأسِها ... وكلُّ موضوعٍ يتطلُعُ لأن يَكونَ هو المَوضوعَ الَّذي سيُقدِّمُ للجُمهورِ.

فعلَى الخَطيْبِ - لُزومًا - أن يَختارَ موضوعًا واحدًا يَراهُ الأنسَبَ لِجُمهوره، والأبرأ لِذِمَّتِه عندَ رَبِّه الَّذي أصعدَهُ المَنابِرَ، وصدَّرَه في المَحاوِلِ.

من نِصائحِ خَطيْبِ مُجربٍ:



يقولُ مُحَمَّدُ الغَزالي في مُقدِّمةِ خُطْبِه (١٩/١): يَحسُنُ أن يَكونَ لِخُطْبَةِ الجُمعةِ مَوْضوعٌ واحدٌ غيرُ مُتَشعِّبِ الأَطرافِ، ولا مُتعدِّدِ القَضايَا.

فإنَّ الخَطيْبَ الَّذي يَخوضُ في أَحاديثٍ كَثيرةٍ يُشَتِّتُ الأذهانَ، وينتقلُ بالسَّامعينَ في أوديةٍ تتخلَّلُها فَجواتٌ نَفسيَّةٌ وفِكريَّةٌ بَعيدةٌ، ومَهما كانت عِبارَتُه بليغَةً، ومَهما كانَ مُستَرسِلاً مُتدَقِّقاً فإنَّه لن ينجَحَ في تَكوينِ صُورةٍ عَقليَّةٍ واضِحَةٍ لِتعاليمِ الإسلامِ.

أخطاء وعثرات:

حَظَبْتُ ذاتَ مرَّةٍ فلمَ أَقْتَصِرْ على مَوْضوعٍ واحدٍ، وما إنْ انتهتِ الحُطْبَةُ حتَّى جاءني مَنْ لَفَتَ نَظْرِي لذلكِ، وَ حَسَنًا ما فَعَلْ، فالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ نَصِحةٌ.

وَ حَظَبْتُ ذاتَ مرَّةٍ عن السِّحْرِ، ودَعَانِي إلى ذلكِ سَاحِرٌ دَجَّالٌ كَذَّابٌ حَلَّ في القَرْيَةِ الَّتِي كُنْتُ أَخْطُبُ فيها، ولكِنِّي أَطَلْتُ وشَعَرْتُ بِذلكِ، وبعْدَ الحُطْبَةِ دَنَا مِنِّي صَدِيقٌ أَتَقُّ بِهِ وَبِرَأْيِهِ، فَقَالَ: لا أَجْمَلُ مِمَّا قُلْتَ وَلَكِنَّكَ أَطَلْتَ وَحَبَّذا لو قَسَمْتَ مَوْضوعَكَ على حُطْبَتَيْنِ، فاستَمَعْتُ له وَصِرْتُ – إذا ما استَشَعَرْتُ أَنَّ المَوْضُوعَ أَوْسَعُ من حُطْبَةٍ – أَجْزئُهُ على حُطْبَتَيْنِ أو أَكْثَرَ.



٣- تحضير الموضوع

احذر هذا المسلك:



لبعض الخطباء مسلكٌ مُزِرٌّ، وطريقةٌ مُنكَرَةٌ في تحضيره لمواضيعه، وذلك أنه إذا ما وقع اختياره على موضوع ما، ولنَفَرِضَ - هُنَا - أنه مُنَاسِبٌ، فإنه يبدأ بالبحثِ عَمَّنْ كَتَبَ خُطْبَةً، أو خَظَبَ في هذا الموضوعِ، فيسعى للحصولِ على نسخةٍ منه، ثمَّ يُلقِيها من على مِنبره أو في مَحْفَلِهِ كما هي، أو بَعْدَ أن يُجْرِي عليها بَعْضاً من التَّعْديلاتِ كتعديل اسم السلطان!

إنَّ هذا المسلكَ مسلكٌ يدلُّ على خُمولِ صاحبه، وقَلَّةِ عَزِيمَتِهِ، ولا يُؤْمَلَنَّ من كان هذا حاله أن يُؤَثِّرَ في جُمهوره، أو أن يتأثَّرَ جُمهوره به!

ما قبل التَّحْضِير!

على الخطيب - و نَدْرَ مَنْ يَفْعَلُ هذا - قَبْلَ أن يَبْدَأَ بِتَحْضِيرِ مَوْضوعِهِ الَّذِي وَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَيْهِ، أن يَطْرَحَ على نَفْسِهِ مَجْموعَةً من الأَسْئَلَةِ:



- ١- هل لديه القُدْرَةُ على تَنَاوُلِ مِثْلِ هذا المَوْضُوعِ؟ أم أنه فَوْقَ قُدْرَتِهِ؟
- ٢- هل هو على قَنَاعَةٍ تَامَّةٍ بِكُلِّ ما سَيُقَدِّمُهُ لِجُمهوره؟
- ٣- هل لِلْجُمهورِ رَغْبَةٌ في هذا المَوْضُوعِ؟ وَحَاجَةٌ إليه؟ وَقُدْرَةُ على اسْتِيعَابِهِ؟

فإذا كانَ الجَوَابُ بالإيجابِ فليبدأ إذاً بِتَحْضِيرِ مَوْضوعِهِ تَمهيداً لِإِلْقَائِهِ، وإن كانَ بالنفي فليخترَ غَيْرَهُ.

وَمِنَ المُؤسِفِ أنَّ الكَثِيرَ من الخُطباءِ لا يَخْطُرُ لَهِم ما سَبَقَ على بالٍ، ممَّا يُؤدِّي إلى عَدَمِ الاسْتِيفَادَةِ من خُطْبِهِم ، وتَضْيِيعُ أوقاتِ الجُمهورِ بلا فائِدَةٍ .

التَّحْضِيرُ الصَّحِيحُ:

إنَّ التَّحْضِيرَ الصَّحِيحَ الْمُعْتَمَدَ عَلَى خُطُواتٍ مَدْرُوسَةٍ، وَأُسُسٍ صَاحِبَةٍ مِنْ أَسْرَارِ نَجَاحِ الخُطْبَةِ، كَيْفَ لَا وَالخُطْبَةُ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ تَحْضِيرًا مَدْرُوسًا، وَإِلْقَاءً قَوِيًّا وَقِوَامَهُ أَمْرَانِ:

١- جَمْعُ المَادَّةِ العِلْمِيَّةِ.

٢- التَّفْكِيرُ.

جَمْعُ المَادَّةِ العِلْمِيَّةِ (المَادَّةُ الخَامَّةُ):



إنَّ الخُطُوةَ الأُولَى فِي مَرَحَلَةِ التَّحْضِيرِ هِيَ جَمْعُ المَادَّةِ العِلْمِيَّةِ، وَتَعْنِي أَنْ يَقرَأَ الخَطِيبُ كُلَّ مَا يَقَعُ تَحْتَ يَدِهِ مِمَّا لَهُ صِلَةٌ بِمَوْضوعِهِ الَّذِي يَعتَزِمُ تَقْدِيمَهُ وَإِلْقَاءَهُ عَلَى جُمهورِهِ.

فَعَلَى سَبِيلِ المِثَالِ إِذَا أَرَادَ الخَطِيبُ أَنْ يَخْطُبَ عَنِ السِّحْرِ، أَوِ الأَبْرَاجِ، أَوِ الرِّبَا ... فَعَلَيْهِ أَنْ يَقرَأَ كُلَّ مَا لَهُ صِلَةٌ بِمَوْضوعِ السِّحْرِ أَوِ الأَبْرَاجِ أَوِ الرِّبَا ... مِمَّا جَاءَ فِي القُرْآنِ، وَالحَدِيثِ، وَكُتُبِ الفِقهِ، وَالكُتُبِ العِلْمِيَّةِ ... وَلَكِنْ هَلْ تُعَدُّ هَذِهِ الخُطُوةُ كَافِيَةً لِوَحْدِهَا؟



يُجِيبُ عَنِ ذَلِكَ صَاحِبُ " فَنِّ الخُطَابَةِ " قَائِلًا: إِنَّ الاكْتِفَاءَ بِالقِرَاءَةِ مَا هُوَ إِلَّا نَوْعٌ مِنَ التَّحْضِيرِ، لَكِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّوعِ الأَفْضَلِ، فَالقِرَاءَةُ رُبَّمَا تُسَاعِدُ، لَكِنْ إِذَا حَاولَ أَنْ يَأْخُذَ أَفكارَهُ مِنَ الكُتُبِ، وَيُورِدُهَا كَمَا هِيَ فَسَتَأْتِي خُطْبَتُهُ هَزِيلَةً وَنَاقِصَةً.

وَرُبَّمَا لَا يَعْرِفُ الجُمهورُ مَا الَّذِي يَنْقُصُ، إِلَّا أَنَّهُ لَنْ يَنْجَذِبَ إِلَى الخَطِيبِ.

أَقُولُ: لَقَدْ وَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى سِرِّ مِنْ أَسْرَارِ إِخْفَاقِ كَثِيرٍ مِنَ الخُطْبَاءِ حَيْثُ تَحَوَّلَتْ خُطْبُهُمْ إِلَى مَا يُسَمَّى بِ " قِصِّ وَأَصْقِ " مِثْلَ كَثِيرٍ مِنْ رَسائِلِنَا الجَامِعِيَّةِ!

لماذا كلُّ هذا الجُهدِ:



صَحيحٌ أنَّ الخَطيْبَ لَنْ يُقدِّمَ إلى جُمهوره كلَّ ولا أكثَرَ ما قرأ، بل بَعْضاً يَسيراً ممَّا قرأ، ولكن يَبقى للإحاطة بِأكبرِ قدرٍ من المَعلوماَتِ حولَ المَوضوعِ فَوائدٌ مهمَّةٌ جدًّا:



١- التأكُّدُ من صِحَّةِ المَعلوماَتِ التي سيقَدِّمُها الخَطيْبُ لجُمهوره، وذلك من خِلالِ مُقابَلَةِ المَعلوماَتِ بَعْضُها معَ بعضٍ.

يَقولُ أحدُ الخُطباءِ المشهورين: يجبُ أن يكونَ الخَطيْبُ سيِّدَ موضوعه، ويعني هذا أن تَجَمعَ الحَقائِقَ، وتُنسِقَها، وتدرُسَها، وتفهمَها وليسَ من ناحيةٍ واحدةٍ بل من جَميعِ النواحي، كما يجبُ التأكُّدُ من أنَّها حَقائِقٌ، وليستَ مُجرَّدَ افتراضاتٍ غيرِ مُبرهنٍ عليها.



٢- التَّأثيرُ الإيجابيُّ على الخَطيْبِ:

يَقولُ صاحبُ " فنِّ الخُطابةِ ": اجمعِ المَزيدَ من المَوادِّ والمَعلوماَتِ أكثرَ ممَّا يُمكنُ استِخدامُه:

١ - من أجلِ التأكُّدِ من صِحَّةِ ما لَدَيْكَ.

٢ - وفي سَبيلِ التَّأثيرِ الَّذي سَتُخلِّفه في عَقْلِكَ وقلْبِكَ وأسلوبِكَ في إلقاءِ الخُطبةِ.

فهذا عاملٌ أساسيٌّ مُهمٌّ في التَّحضيرِ.



٣- للإجابة عن التَّساؤلاتِ والاستِفساراتِ:



كثيراً ما تُثيرُ خُطبةُ الخُطباءِ المُتميزين أسئلةً واستِفساراتٍ من الجُمهور، يَطرحونها على الخَطيْبِ بعدَ الانتهاءِ من خُطبته، فيقبَلونَ نَحوه، ويتحلَّقونَ حَوالِيه، يسألونه، ويستفسرونَ عمَّا

أشكَلْ لَدَيْهِمْ، أَوْ أَثَارَهُ فِي أَذْهَانِهِمْ مَا قَالَهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ سَعَةَ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَوْضُوعِ سَتَكُونُ مَلْجَأَ الْخَطِيبِ أَمَامَ جُمْهُورِهِ.

٤- الرَّدُّ عَلَى الْمُشَكِّكِينَ:

نَحْنُ فِي عَصْرِ لَمْ يَعُدِّ الْجُمْهُورُ يُسَلِّمُونَ بِكُلِّ كَلَامِ الْخَطِيبِ، فَعَلَى الْخَطِيبِ وَهُوَ يُعَدُّ خُطْبَتَهُ أَنْ يَضَعَ هَذَا الْأَمْرَ بَعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ، وَلَقَدْ حَدَثَ هَذَا مَعِيَ كَثِيرًا جَدًّا، وَلَوْلَا أَنَّنِي كُنْتُ عِنْدَ التَّحْضِيرِ أَكْثَرَ مِنَ الْقِرَاءَةِ وَالْمُطَالَعَةِ لِأَحْرَجْتَنِي الْكَثِيرُ مِنَ الْإِعْتِرَاضَاتِ، وَسَاوَرَدُ بَعْضًا مِنْهَا فِي مَحَلِّهَا.

• التَّفْكِيرُ:

بَعْدَ أَنْ يُنْهِيَ الْخَطِيبُ جَوْلَتَهُ بَيْنَ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ - الْعَامَّةِ مِنْهَا وَالْخَاصَّةِ - بَاحِثًا وَمُنْقِبًا وَجَامِعًا لِأَكْبَرِ كَمِّيَّةٍ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ مِمَّا لَهُ صِلَةٌ بِمَوْضُوعِهِ الَّذِي يَعْتَزِمُ تَقْدِيمَهُ لِجُمْهُورِهِ ... فَعَلَيْهِ أَنْ يَخْطُو خُطْوَتَهُ الثَّانِيَةَ وَهِيَ مَرِحَةُ التَّفْكِيرِ.

وَمِنْ خِلَالِ التَّفْكِيرِ الْمُرَكَّزِ وَالْهَادِفِ يُحْصِلُ الْخَطِيبُ الثَّمَرَاتِ الْآتِيَةَ:

١- يَنْتَقِي مِنْ خِلَالِ الْكَثِيرِ الَّذِي اطَّلَعَ عَلَيْهِ أَجْوَدَ وَأَنْفَسَ مَا سَيَقْدِّمُهُ لِلْجُمْهُورِ، فِي اخْتِيَارِ الْمَرَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى عَقْلِهِ.

٢- يَقُومُ بِتَنْسِيقِ وَتَرْتِيبِ مَا وَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَيْهِ تَرْتِيبًا مَنْطِقِيًّا:

مُقَدِّمَةٌ - عَرْضٌ - خَاتِمَةٌ.

وَذَلِكَ لِإِعْلَمَ مِنْ أَيْنَ يَبْدَأُ، وَإِلَى أَيْنَ سَيَسِيرُ، وَكَيْفَ سَيَنْتَهِي، وَإِلَّا صَارَ حَالُهُ كَمَنْ يَكْتُبُ رِسَالَةً حُبِّ - كَمَا يَقُولُ رُوسُو - " بَدَأَ مِنْ دُونِ أَنْ يَعْرِفَ مَا الَّذِي سَيَقُولُهُ، وَانْتَهَى مِنْ دُونِ أَنْ يَعْرِفَ بِمَا نَطَقَ "

يَقُولُ صَاحِبُ كِتَابِ " فَنَّ الْخَطَابَةِ " إِنَّ الْخَطَابَ هُوَ رِحْلَةٌ ذَاتُ هَدَفٍ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ ذَاتَ امْتِيَازٍ، وَالْإِنْسَانُ الَّذِي يَبْدَأُ بِمَكَانٍ غَيْرِ مُحَدَّدٍ، يَنْتَهِي عَادَةً هُنَاكَ.



وَيُتَابِعُ قَائِلًا: وَوَدِدْتُ لَوْ أُسْتَطِيعُ رَسْمَ قَوْلِ نَابِلْيُونِ فَوْقَ كُلِّ بَابٍ فِي الْأَرْضِ،
حَيْثُ يَتَجَمَّعُ طُلَّابُ فَنِّ الْخُطَابَةِ " إِنَّ فَنَّ الْحَرْبِ هُوَ عِلْمٌ حَيْثُ لَا يَنْجُحُ الْأَمْرُ
الَّذِي لَمْ يُحَسَبْ لَهُ أَوْ يُفَكَّرَ بِهِ "

والأمرُ صَحِيحٌ فِي الْخُطَابَةِ تَمَامًا كَمَا فِي الْقِتَالِ، وَلَكِنْ هَلْ يُدْرِكُ الْخُطْبَاءُ
ذَلِكَ، أَوْ إِنْ هُمْ فَعَلُوا فَهَلْ يَسْتَخْدِمُونَهُ دَائِمًا؟



كَلَّا، فَمُعْظَمُهُمْ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ وَغَالِبًا مَا يَكُونُ الْخُطَابُ أَقْلًا
تَنْسِيقًا مِنْ طَبَقِ سَمَكٍ.

٣- يُضِيفُ مِنْ خِلَالِ تَفْكِيرِهِ جَدِيدًا عَلَى الْمَوْضُوعِ الَّذِي
سَيَطْرُقُهُ عَلَى

جمهوره من خلال:

١- استنتاجاته.

٢- ملاحظاته.

٣- إبداء رأيه الخاص، وموقفه من بعض نقاط موضوعه أو
منه كله.



يقولُ صاحبُ كتابِ فَنِّ الْخُطَابَةِ: إِنَّ تَحْضِيرَ الْخُطَابِ لَا
يَعْنِي جَمْعَ بَعْضِ الْعِبَارَاتِ الصَّحِيحَةِ، إِنَّهُ يَعْنِي جَمْعَ أَفْكَارِكَ
وَأَرَائِكَ.

إِنَّ التَّحْضِيرَ يَعْنِي التَّفْكِيرَ، وَالِاسْتِنْتَاجَ، وَاخْتِيَارَ مَا يُعْجِبُكَ،
وَصَقْلَهُ، وَجَمْعَهُ فِي وَحْدَةٍ فَنِيَّةٍ مِنْ صُنْعِكَ الْخَاصِّ.

إِنَّهُ يَحْتَاجُ - فَقَطْ - إِلَى الْقَلِيلِ مِنَ التَّرْكِيزِ وَالتَّفْكِيرِ الْهَادِفِ.

أقولُ: وهذا سرٌّ آخرٌ من أسرار إخفاق الغالبية العظمى من خطبائنا، وهو
غياب ذاتية الخطيب، فكثيرٌ من خطبائنا لا يعدُّون أن يكونوا ناقلين لما قرأه مع
التنسيق أو من غير تنسيق، ولعلَّه لم يتنبَّه إلى أن أكثر ما يجذب الجمهور
إلى خطيبه هو ظهور ذاتية ذلك الخطيب، وأكثر ما يتجلى ذلك في جديد ما
يقدمه الخطيب على موضوعه من استنتاجاته، أو نقده، أو إبداء رأيه،
ومشاركته للجماهير في تجربته الذاتية.

فيا أيها الخطيبُ احِرْصْ على أن تَسْكُبَ من نَفْسِكَ في مَوْضُوعِكَ، وَتَسْتَرَى
الْفَرْقَ عِنْدَ أَوَّلِ خُطْبَةٍ تُقَدِّمُهَا على هذا النُّحُو.

مِثَالُ رَائِعٍ:



يقولُ صَاحِبُ كِتَابِ " فَنِّ الْخُطَابَةِ ": مُنْذُ مُدَّةٍ قَامَ
الكَاتِبُ - يَعْنِي نَفْسَهُ - بِتَدْرِيسِ فَنِّ الْخُطَابَةِ لِمَجْمُوعَةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ
الْمَصَارِفِ فِي مَدِينَةِ " نِيُويُورِك " وَمَنْ الطَّبِيعِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَى
هَذِهِ الْمَجْمُوعَةِ الْوَقْتُ الْكَافِي لِتَحْضِيرِ الْخُطْبِ بِشَكْلِ دَائِمٍ.

كَانَتْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ تَلْتَقِي كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ مِنَ السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ
حَتَّى السَّابِعَةِ، وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْجُمُعَةِ، وَجَدَ أَحَدُ السَّادَةِ - سَنَدَعُوهُ بِالسَّيِّدِ
جَاكْسُونٍ لِأَسْبَابٍ خَاصَّةٍ - أَنَّ السَّاعَةَ أَصْبَحَتْ الرَّابِعَةَ وَالنِّصْفَ. فَمَا الَّذِي
سَيَتَحَدَّثُ بِشَأْنِهِ؟



أَخْرَجَ مِنْ مَكْتَبِهِ نُسخَةً مِنْ مَجَلَّةِ " فُوريس " وَفِي طَرِيقِهِ إِلَى
" بَنَكِ الْمَوَارِدِ الْفِيدِرَالِي " حَيْثُ تَجْتَمِعُ الْمَجْمُوعَةُ، قَرَأَ مَقَالَةً
عُنْوَانُهَا " لَدَيْكَ عَشْرُ سَنَوَاتٍ فَقط لِلنَّجَاحِ ". قَرَأَهَا، لَيْسَ لِأَنَّهُ
مُعْجَبٌ بِالمَقَالَةِ، وَلَكِنْ لِأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَخْطُبَ حَوْلَ شَيْءٍ مَا، لِيَمْلَأَ وَقْتَهُ.

وَبَعْدَ سَاعَةٍ، وَقَفَ السَّيِّدُ جَاكْسُونٌ وَحَاوَلَ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِشَكْلِ مُقْنَعٍ وَمُثِيرٍ عَنِ
مُحتَوِيَاتِ تِلْكَ المَقَالَةِ، فَمَا كَانَتْ النُّتِيجَةُ؟

لَمْ يُفْهَمَ أَوْ يُسْتَسْمَعَ مَا حَاوَلَ قَوْلَهُ.

إِنَّ مُحَاوَلَتَهُ كَانَتْ التَّعْبِيرَ الدَّقِيقَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَدَيْهِ أَيَّةُ رِسَالَةٍ حَقِيقِيَّةٍ يَسْعَى
إِلَى إِبْلَاغِهَا، وَقَدْ عَبَّرَ عَنِ ذَلِكَ أَسْلُوبُهُ وَنَبْرَتُهُ. فَكَيْفَ يَتَوَقَّعُ مِنَ الْجُمْهُورِ أَنْ
يَتَأَثَّرَ أَكْثَرَ مِمَّا فَعَلَ هُوَ؟

كَانَ جَاكْسُونٌ يَعُودُ إِلَى المَقَالَةِ قَائِلًا:

إِنَّ المَوْئِفَ قَالَ كَذَا وَكَذَا، كَانَ لَدَيْهِ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ فِي مَقَالَةِ مَجَلَّةِ " فُوريس " لِكَنَّ الْقَلِيلِ مِنَ السَّيِّدِ جَاكْسُونِ الَّذِي قَالَهُ أَيُّ أَنَّهُ لَمْ يُضِفْ شَيْئًا ذَا قِيَمَةٍ تُذَكِّرُ.

وَهَكَذَا خَاطَبَهُ الكَاتِبُ كَارِينْجِي بِمَا يُشْبِهُ التَّالِي:

" يَا سَيِّدَ جَاكْسُونِ، نَحْنُ لَا نَهْتَمُّ بِالشَّخْصِيَّةِ الْخَيَالِيَّةِ الَّتِي كَتَبْتَ المَقَالَةَ، فَهِيَ
لَيْسَتْ مَوْجُودَةً بَيْنَنَا، كَمَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَاهَا، لَكِنَّا نَهْتَمُّ بِكَ وَبَارَائِكَ. أَخْبِرْنَا

بما تُفكِّرُ به شخصياً، وليسَ بما قاله إنسانٌ آخرُ، ضعِ المَزِيدَ من أفكارِ السَّيِّدِ جاكسون، لِمَ لا تَتَنَاوَلُ المَوْضوعَ في الأُسبوعِ المُقْبِلِ؟

لِمَ لا تَقْرَأُ المَقَالَةَ ثَانِيَةً وتَتَسَاءَلُ عَمَّا إِذَا كُنْتَ تَتَفَقَّحُ معِ المُؤَلِّفِ أم لا؟
إِن كُنْتَ كَذَلِكَ، فَكِّرْ بِمُقْتَرَحَاتِهِ وَزَوِّدْهَا بِمُلاحِظَاتٍ مَأخُوذَةٍ من تَجْرِبَتِكَ الخَاصَّةِ.

وإن لم تَتَفَقَّحْ معه، أَخْبِرْنَا بِذَلِكَ و قَدِّمْنَا لَنَا الأسبابَ، دَعِ هَذِهِ المَقَالَةَ تَكُونُ مُجَرَّدَ نُقْطَةٍ انْطِلاقٍ تَبْدَأُ مِنْهَا خِطَابَكَ.

قَبْلَ السَّيِّدِ جاكسون هَذَا الاقْتِرَاحَ، وَأَعَادَ قِرَاءَةَ المَقَالَةِ فَاسْتَنْتَجَ أَنَّهُ لا يَنْتَفِقُ بَتَاتًا معِ المُؤَلِّفِ، وازدادَ مَوْضِعُ المَقَالَةِ عُمقًا لَدِيهِ عِنْدَمَا فَكَّرَ به فِي لَحْظَاتِ الفَرَاغِ خِلالَ الأيَّامِ القَادِمَةِ.

وَعِنْدَمَا تَحَدَّثَ السَّيِّدُ جاكسون حَوْلَ المَوْضوعِ، وَكَانَ لَدِيهِ شَيْءٌ خَاصٌّ بِهِ، لَدِيهِ المَوَادُّ الخَامَةُ الَّتِي اسْتَخْرَجَهَا مِنْ أَفْكَارِهِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ بِشَكْلِ أَفْضَلٍ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِقْ فِي الرَّأْيِ معِ مُؤَلِّفِ المَقَالَةِ.

فليسَ هُنَاكَ من دافعٍ لِلإِثَارَةِ كَقَلِيلٍ مِنَ المُعَارَضَةِ، وَهَكَذَا نَلْمِسُ الفَرْقَ بَيْنَ الخِطَابَيْنِ اللَّذِينَ ألقَاهُمَا شَخْصٌ وَاحِدٌ حَوْلَ مَوْضوعٍ وَاحِدٍ، وَالفَرْقُ هُوَ فِي التَّحْضِيرِ الصَّحِيحِ.

-المقدمة-

للخطباء -خطباء المنابر والمحافل- في صياغة مُقدماتهم وصناعتها مذهبان مُرضيان:

١- فبعضهم يلتزم بمُقَدِّمة واحدة يستهلُّ بها خطبته من على منبره، أو في محافله، وحتى في دروسه حتى بات يُعرفُ بها، غير أنه يُراعي في خطبة الجمعة والعِيدين ما عدّه بعضُ الفقهاء من أركان خطبة الجمعة والعِيدين وهي بالتحديد ثلاثة:

١ - حمدُ الله تعالى.

٢ - والصلاة على رسولِ الله ﷺ.

٣ - والوصية بالتقوى ... وهي واجبة في كلِّ من الخطبتين.

ويُضْمُ إلى ما ذُكِرَ الشَّهادتان، وضمُّهُما سنة.

وهذا المسلك هو مسلكُ غالبِ الخطباء، وهو مسلكُ سليمٍ ولا غبار عليه.

٢- وبعضهم - وأنا منهم - يجعلُ لكلِّ خطبةٍ مُقدِّمةً خاصَّةً بها تتناسبُ مع موضوعها، وتدلُّ عليه، أو تُشيرُ إليه من طرفٍ جليٍّ أو خفيٍّ، يُدرِّكه الجمهورُ الذكيُّ مع مُراعاةٍ ما سبقَ طبعاً.

يقولُ ابنُ المقفَّع: " وليكن في صدرِ كلامِكَ دليلٌ على حاجتِكَ، كما أنَّ خيرَ أبياتِ الشِّعرِ البيتُ الَّذي إذا سمعتَ صدره عرَفتَ قافيتَه".

و يُعلِّقُ الجاحظُ في بيانِه على هذا الكلامِ (١ / ٧٦) فيقولُ:

كأنَّه يقولُ: فرِّق بين صدرِ (مقدمة) خطبةِ النِّكاحِ، وبين صدرِ خطبةِ العِيدِ، وخطبةِ الصُّلحِ، وخطبةِ المواهبِ حتى يكونَ لكلِّ فنٍّ من ذلك صدرٌ يدلُّ على عجزه، فإنَّه لا خيرَ في كلامٍ لا يدلُّ على معنَاكَ، ولا يُشيرُ إلى مغزَاكَ، وإلى العمودِ الَّذي إليه قَصَدتَ، والغرضِ الَّذي إليه نَزَعْتَ.



نماذج رائعة :



مقدمة خطبة عن الذكر:



" الحمد لله الشاملة راقته، العامة رحمته، الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾ فأطمع المطيع والعاصي، والداني والقاصي، في الانبساط إلى حضرة جلاله، برفع الحاجات والأمانى بقوله ﴿ فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ والصلاة على محمد ﷺ سيّد أنبيائه وسلّم تسليمًا كثيرًا ...

مقدمة خطبة عن الزواج:



" الحمد لله الذي من بدائع أطافه أن خلق من الماء بشرًا، فجعله نسبًا وصهرًا، وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحرائة جبرًا، واستبقى بها نسلهم إقهارًا وقسرًا، ثم عظم أمر الأنساب، وجعل لها قدرًا فحرم بسببها السفاح، وبالغ في تقبيحه ردعًا وزجرًا، وجعل اقترامه جريمة فاحشة وأمرًا إمرًا، وندب إلى النكاح، وحث عليه استحبابًا وأمرًا، والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإنذار والبشرى.

مُقَدِّمَةٌ خُطْبَةٍ عَنِ الْمَوْتِ:



" الحمدُ لله الذي قصمَ بالموتِ رقابَ الجبابرةِ،
وكسرَ به ظهورَ الأكاسرةِ، وقصرَ به آمالَ القياصرةِ،
الَّذِينَ لَمْ تَزَلْ قُلُوبُهُمْ عَنِ ذِكْرِ الْمَوْتِ نَافِرَةً، حَتَّى جَاءَهُمُ
الْوَعْدُ الْحَقُّ فَأَرَادَهُمْ فِي الْحَافِرَةِ، فَنُقِلُوا مِنَ الْقُصُورِ
إِلَى الْقُبُورِ، وَمِنْ ضِيَاءِ الْمُهَوِّدِ إِلَى ظُلْمَةِ اللَّحُودِ، وَمِنْ
مُلَاعَبَةِ النِّسَاءِ إِلَى مُقَاسَاةِ الدِّيدَانِ، وَمِنْ التَّمَتُّعِ بِالطَّعَامِ
وَالشَّرَابِ إِلَى التَّمَرُّغِ فِي التُّرَابِ، وَمِنْ أَنْسِ الْعِشْرَةِ إِلَى وَحْشَةِ الْوَحْدَةِ، وَمِنْ
الْمَضْجَعِ الْوَثِيرِ إِلَى الْمَصْرَعِ الْوَبِيلِ، فَاَنْظُرْ هَلْ وَجَدُوا مِنَ الْمَوْتِ حِصْنًا
وَعِزًّا، وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ حِجَابًا وَجِرْزًا وَانظُرْ ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ
تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ فَسُبْحَانَ مَنْ انْفَرَدَ بِالْقَهْرِ وَالْإِسْتِيْلَاءِ، وَاسْتَأْثَرَ بِاسْتِحْقَاقِ
الْبَقَاءِ، وَأَدَلَّ أَصْنَافَ الْخَلْقِ بِمَا كَتَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْفَنَاءِ، ثُمَّ جَعَلَ الْمَوْتَ مُخْلِصًا
لِلْأَتْقِيَاءِ، وَمَوْعِدًا فِي حَقِّهِمْ لِلْقَاءِ. وَالصَّلَاةُ عَلَى مُحَمَّدٍ ذِي الْمُعْجَزَاتِ
الظَّاهِرَةِ، وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ...

٥- أَمَا بَعْدُ

أَمَا بَعْدُ:

بعدَ أن يُقَدِّمَ الخطيبُ - خطيبُ المنابرِ والمحافلِ - بينَ يَدَي خُطْبَتِهِ بِمُقَدِّمَةٍ تُوجِي بِمَوْضُوعِهِ مِنْ طَرَفٍ جَلِيٍّ أَوْ خَفِيِّ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ أَعْنِي عِبَارَةَ "أَمَا بَعْدُ" لِتَكُونَ جَسَرَ الْإِنْتِقَالِ مِنْ مُقَدِّمَتِهِ إِلَى مَوْضُوعِهِ.

قال ابن حجر (٢ / ٤٠٤) إنها اللفظ الذي وُضِعَ لِلْفَصْلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا بَعْدَهُ مِنْ مَوْعِظَةٍ وَنَحْوِهَا.

ونقلَ عن الزَّجَّاجِ قَوْلَهُ: إِذَا كَانَ الرَّجُلُ فِي حَدِيثٍ فَأَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ بِغَيْرِهِ قَالَ: أَمَا بَعْدُ.

حُكْمُهَا:

يقولُ العَلَّامَةُ ابْنُ حَجْرٍ: بَعْدَ شَرْحِهِ لِأَحَادِيثِ سَاقِهَا الْبُخَارِيُّ تَحْتَ بَابِ " مِنْ قَالَ فِي الْخُطْبَةِ بَعْدَ النَّشَاءِ أَمَا بَعْدُ " وَعَلَيْهِ فَيَنْبَغِي لِلْحُطْبَاءِ أَنْ يَسْتَعْمِلُوهَا تَأْسِيًّا وَاتِّبَاعًا.

مِنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ:

• رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ "الْحَجِّ" بَابِ مِنْ قَالَ فِي الْخُطْبَةِ بَعْدَ النَّشَاءِ أَمَا بَعْدُ ، عَنْ عَمْرٍو بْنِ تَغْلِبٍ (٩٢٣) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بِمَالٍ أَوْ سَبِيٍّ فَقَسَمَهُ فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا ، فَحَمَدَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي لَأَعْطِي الرَّجُلَ وَأَدْعُ الرَّجُلَ ... الْحَدِيثُ.

• وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي ذَاتِ الْكِتَابِ وَالْبَابِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (٩٢٧) أَنَّهُ قَالَ: " صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَنْبِرَ ، ... ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَتَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ ، فَتَابُوا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ ... الْحَدِيثُ".

٦- كيف تفتِّحُ خُطْبَتَكَ أو كَلِمَتَكَ؟؟؟

من ثقافة الشرق:



يقولُ صاحبُ " الصناعتين " (١ / ٤٣١) سئلَ بعضهم عن أحدقِ الشُّعراءِ، فقالَ: من يتفَقَّدُ الابتداءَ.

وينقلُ عن بعضِ الكُتَّابِ قولَه: أحسنوا معاشرَ الكُتَّابِ الابتداءاتِ، فإنهنَّ دلائلُ البيانِ.

وبالمقابلِ يُحدِّرُ صاحبُ الكتابِ من مَعْبَةِ مُخالفةِ ذلكِ فيقولُ: وقالوا ينبغي للشَّاعرِ أن يحترزَ في أشعاره، ومُفتتحِ أقواله ممَّا يُتطَيَّرُ منه، ويُستجفَى من الكلامِ والمُخاطبةِ والبُكاءِ ... ولا سيَّما في القصائدِ الَّتِي تتضمَّنُ المدائحَ والتَّهانيَ، ويُستعملُ في المراثي

وقد أنكرَ الفُضْلُ بنُ يحيى البرمكيُّ على أبي نُواسٍ ابتداءه بقوله:

أربعَ البلى إنَّ الخُشوعَ لبادي عليك وإني لم أخنك ودادي

من ثقافة الغرب:



يقولُ صاحبُ كتابِ "فنِ الخُطابةِ" (ص / ١٠٩) سألتُ مرَّةً الدكتورَ هافَ عن أهمِّ ما علَّمته تجربته كخطيبٍ فأجابَ " أن تفتِّحَ بمُقَدِّمةٍ مُثيرةٍ، وبشيءٍ يأسرُ الانتباهَ في الحالِ ".

ويضيفُ صاحبُ الكتابِ قائلاً: إنَّ كلَّ خطيبٍ يتمتَّعُ بالذكاءِ والتَّجربةِ يفعلُ ذلكَ، وأمَّا الخطيبُ المُبتدئُ فإنَّه نادراً ما يفعلُ ذلكَ.

التقاء الثقافات:

وهكذا نجدُ أنَّ الثقافاتِ جميعاً التفتتْ على ضرورةِ اعتناءِ الخطيبِ- خطيبِ المنابرِ والمحافلِ- وكذا كلِّ مُتكلِّمٍ بجُمليتهِ أو جُمليهِ الأولى الَّتِي يستهلُّ بها كلامه، ويفتتحُ بها خطابَه، ولا شكَّ أنَّ هذا يحتاجُ إلى تفكيرٍ عميقٍ

وتخطيطٍ مُسبقٍ ودقيقٍ، وتلعبُ الموهبةُ والخبرةُ والاطِّلاعُ على تجاربِ الآخرين دوراً مُهمّاً في هذا.



يقولُ صاحبُ فنِّ الخطابةِ "ص / ١١٥" إنّ لحظةَ بُروزك أمامَ الجمهورِ تستحوذُ على انتباهه بشكلٍ طبيعيٍّ ومُحتَمٍّ، فليس من الصَّعبِ أن تستحوذَ عليه في اللّحظاتِ الخمسةِ الأولى، لكن من الصَّعبِ أن تستحوذَ عليه في الخمسِ دقائقِ التَّاليةِ، فإن فقدته مرّةً فإنَّ صعوبةَ استرجاعه ستتضاعفُ.

فابدأ بشيءٍ مثيرٍ منذُ الجملةِ الأولى، وليسَ منذُ التَّانيةِ أو التَّالِثةِ بل الأولى. أقول: وبهذا نضعُ يدينا على سرِّ إخفاقِ الغالبيةِ العظمى من حُطباينا في منابرهم ومحافلهم، وذلكَ أنّهم يفقدونَ الاتِّصالَ مع جمهورهم منذُ الدَّقائِقِ الأولى بسببِ رداءةِ مُقدِّماتهم الافتتاحيةِ.

صفاتُ الافتتاحيةِ النَّاجحةِ:

إنَّها ثلاثُ صفاتٍ لا أكثرَ ولكن لا بُدَّ منها مُجمعةً:

الإثارةُ

الإيجازُ
والاختصارُ

المُناسبةُ

١- المُناسبةُ:

لا بدَّ في الافتتاحيةِ أن تكونَ مُناسبةً تامَّ المُناسبةِ لموضوعِ الخُطبةِ أو الكلمةِ، وهذا أمرٌ بدهيٌّ، وفي المثلِّ السائرِ " المكتوبُ يُعلمُ من عنوانه ".

٢- الإيجاز والاختصار:



فإذا أردت أيها الخطيب أن تستخدم مقديمةً، فيجب أن تكون قصيرةً، كلائحة الإعلان؛ لأن ذلك يتطابق مع مزاج المستمع المعاصر، الذي لسان حاله يقول: هل لديك ما تقوله؟ حسنًا، لنستمع إليك بسرعة، لا تتألق في الخطاب، أعطنا الحقائق بسرعة واجلس". كارنيجي

٣- الإثارة:

وهذه أبرز صفة من صفات الافتتاحية الناجحة، ونذكر ما قاله الدكتور هاف عندما سُئل عن أهم ما علّمته تجربته كخطيب، حيث أجاب بقوله " أن تفتتح بمقدمة مثيرة، وبشيء يأسر الانتباه في الحال". وإليك بعضاً من طرق الافتتاح الناجحة.

• أثر الفضول:

خطبت ذات مرّة فقلت بعد الحمد والثناء المناسبين لما أريد أن أقول هذه العبارة: "سبعون قتيلًا وسبعون أسيراً"

ثم سكّت قليلاً، فإذا بالجمهور يرمونني بأبصارهم، ويميلون نحوي بأسماعهم، وفي نفس كلّ واحدٍ منهم سبعون! قتيلًا! أسيراً! ما القصة يا ترى؟ ومن هم أولئك القتلى وأولئك الأسرى؟



لقد استطعت بهذه الافتتاحية التي لا تتجاوز خمس كلماتٍ مع حسابِ حرفِ العطفِ أن أستحوذ على انتباه جمهوري بشكلٍ كاملٍ وفوريٍّ، ولمّا أن تأكّدت من ذلك تابعت قائلاً: إنّها حصيلة غزوة

١- إنّ الفضول هو الرّغبة المفرطة في معرفة أمرٍ ما، حيث تتحرك رغبة العقل البشري بشكلٍ طبيعيٍّ لاستكشاف الأمر الذي حرّك فضوله، وتستمرّ عملية التفكير حتّى يقرّر الشخص أنّ الأمر لا يستحقّ عناء التفكير، أو حتّى يحصل على الإجابات والأدلة الكافية لفهمه اهـ.

بدر الكُبرى ، تلك الغزوةُ التي جَمَعَ اللهُ فيها بينَ الحقِّ لِنِصْرِهِ، والباطلِ لِيُزْهِقَهُ... إلخ.

وأحسبُ لو أنني استفتحتُ خطبتي قائلاً: أيها الإخوةُ حديثنا اليومَ عن غزوةِ بدرِ الكُبرى ... لَمَا رأيتُ رَأْساً سَيرتَفَعُ، ولا أُذناً سَتُصْغِي، ولَمَا حصدتُ شيئاً من اهتمامِ الجمهورِ، بل لعلَّ قائلهم يقولُ: بدر!! أنا أعرفُ كلَّ شيءٍ عن بدرٍ، ثمَّ يُسلمُ نفسه إلى نومٍ عميقٍ، أو تفكُّرٍ بأمرٍ ما من أمورِ حياته، لا يُخرِجُه منه إلا إقامةُ الصَّلَاةِ، ومِثْلُ هذا الافتتاحِ هو أفضلُ طريقةٍ لفقدِ الاتِّصالِ مع الجمهورِ منذ اللَّحظَاتِ الأولى.

يقولُ صاحبُ " فنَّ الخطابةِ " ص / ١١٧ " أثرُ فضولِ جمهورك منذُ أوَّلِ جُملةٍ، تحُزُّ على انتباههم واهتمامهم ".



إبدأ بقصة:

لَطالَمَا أولَعَ النَّاسُ كلُّ النَّاسِ كباراً وصِغاراً، رجالاً ونِساءً، مُتَفَقِّينَ وغيرَ مُتَفَقِّينَ ... لَطالَمَا أولَعُوا بالقِصصِ، وعلى الخَطيبِ أن يستغلَّ هذا الولعَ فيستفتحَ خِطابهَ أو كلمتهَ بقِصةٍ من قِصصِ القرآنِ أو السُّنةِ أو الصَّحابةِ أو التَّاريخِ ... أو قِصةٍ جرتْ مع الخَطيبِ شخصياً، ولهذه القِصصِ إثارةٌ فوقَ كلِّ ما سبقَ.



يقولُ صاحبُ كتابِ " فنَّ الخطابةِ " إنَّ هذا النِّوعَ من الافتتاحياتِ لا يَفشلُ أبداً، بل إنَّه يَمضي قُدماً ونحنُ نتابعُه لأنَّنا نريدُ أن نَعرفَ ما الذي سيحدثُ.

ويمكنُ أن تبدأ بسؤالٍ تطرحُه على جمهورك!

ومن الافتتاحياتِ النَّاجحةِ أن يستهلَّ الخَطيبُ خطيبُ المنابرِ والمحافلِ خُطبتهُ أو كلمتهُ بسؤالٍ يطرحُه على جمهوره، ومن شأنِ السُّؤالِ أنَّه يستدرجُ الجمهورَ إلى التَّفكيرِ، للوصولِ إلى الإجابةِ، وقد استخدمَ رسولنا ﷺ هذا السُّؤالَ في خطابٍ من أهمِّ خطاباته، وأمَامَ جمهورٍ لم يجتمعَ له مثله قطَّ.



• روى البخاري في كتاب الجمعة باب " الطيب للجمعة " عن أبي بكرة (١٧٤١) أنه قال: **خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال: أتدرون أي يوم هذا؟** **قُلنا: الله ورسوله أعلم ... الحديث.**

وأذكرُ أنني قُدمتُ لإلقاء كلمةٍ بمناسبةِ زفافِ صديقٍ لنا وكانَ طبيبياً فاستفحتُ كلمتي بهذه الجملة.

كيف الصّحة؟



وسكتُ وسطَ استغرابِ الحاضرينَ ، وهذا ما أريدُ، ثمّ قلتُ: إنّه ذاك السؤالُ الذي يتبادلُهُ النَّاسُ عندما يلتقي بعضهم ببعضٍ ممّا يدلُّ على أهميّةِ الصّحةِ والعافيةِ عندَ النَّاسِ ... الخ ما قلت.

اربط موضوعك بمصالح مستمعك الحيويّة:

هذا ويمكنُ للخطيبِ -خطيبِ المنابرِ والمُحافلِ- أن يستهلَّ خُطبتهِ أو كلمتهِ ببعضِ الكلماتِ التي تُشخِّصُ أو تُعالجُ مصالحَ جمهوره الشّخصيّةِ بشكلٍ مباشرٍ.



يقولُ صاحبُ "فنّ الخطابة" وهذه من أفضلِ الوسائلِ المُمكنةِ للبدءِ بالخطابِ، من المؤكّدِ أن تستحوذَ على الانتباهِ، فنحنُ نهتمُّ دائماً بالأشياءِ التي تمسُّنا مباشرةً ."

وقد كنتُ وما أزالُ أستخدمُ هذا النوعَ من الافتتاحياتِ و أجدُ له تأثيره الخاصَّ.

لا تُجرب هذه الافتتاحيات:

قد يستهّل الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- حُطْبَتَه أو كلمته بما لا يُثير انتباه جمهوره، وهذا خطأ، ولكن ثمة افتتاحيات تزيد الأمور سوءاً، وقد رأيت الكثير من الخطباء يتورطون بها من حيث لا يشعرون.

لا تبدأ بالاعتذار!

من الأخطاء القاتلة أن يستهّل الخطيب كلامه بالاعتذار لجمهوره، ولكن ما الخطأ في ذلك؟ يتساءل البعض.



يقول صاحب " فن الخطابة " (ص / ١١٥) إنّ من الخطأ الفادح الذي يقترفه المبتدئ في المُقَدِّمة هو الاعتذار " أنا لست بخطيب ... لست مهياً للخطابة ... ليس لدي ما أقوله ... "

وعلى أيّ حال إذا لم تكن مهياً لذلك فإنّ بعض جمهورك سيكتشف ذلك دون مساعدتك، وآخرون لن يفعلوا، فلم تُلَفِتْ انتباههم؟

لماذا تُهين جمهورك وكأنك تقول لهم: إنهم لا يستحقون أن تُحضّر من أجلهم، وإنّ أيّ شيء قديم في ذاكرتك يكفي لخدمتهم.

ولسان حال الجمهور يقول: كلاً، نحن لا نريد الاستماع إلى أعدارك، نحنُ هناك لتُخبرنا وتُثيرنا وأن نُثار فنذكر ذلك.

٧- قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ

هذه هي الخطبة:

إنَّ الخُطبةَ أَيْةٌ خُطبةٌ كانت - بقطع النَّظَرِ عن موضوعِها - إنَّما تتألَّفُ من ثلاثةِ أجزاءٍ رئيسيَّةٍ وهي:

- ١ - مقدِّمةٌ ويُفضَّلُ أن تكونَ مُناسبةً للموضوعِ.
- ٢ - وموضوعٌ ويجبُ أن يكونَ مُناسباً لِمَا يتطلَّبُه الواقعُ، ولِما تُمليه الظروفُ.
- ٣ - وخاتمةٌ تُلخِّصُ ما سبقَ وتُوجِّزه، وتُرسِّخُه في أذهانِ الجمهورِ. إذن فالخُطبةُ: مُقدِّمةٌ وقلبٌ وخاتمةٌ.

موضوعُ الخطبة:

إنَّ موضوعَ الخُطبةِ هو بيتُ القصيدِ من الخُطبةِ، وما المقدِّمةُ والخاتمةُ إلا من خَدَمِه، ذاكَ يبشِّرُ به ويُعلنُ عنه، والآخِرُ يوجِّزه ويلخِّصُه ويُرسِّخُه في أذهانِ الجمهورِ.

ولكن ما هو الموضوعُ؟

إنَّه مجموعةٌ من العناصرِ أو الأفكارِ الجُزئيَّةِ المُترابطةِ فيما بينها، والمُتسلسلةِ من أوَّلِها وحتى آخِرِها، شريطةً أن يكونَ ذاكَ التَّرابُطُ والتَّسلسلُ مدروساً ومنطقيّاً.



يقولُ الشَّيْخُ الغَزَالِيُّ في مقدِّمةِ خُطبه (١) (٢٠) "عناصرُ الخُطبةِ يجبُ أن يُسَلِّمَ أحدها إلى الآخِرِ في تسلسلٍ منطقيٍّ مقبولٍ كما تُسَلِّمُ درجةُ السُّلَّمِ إلى ما بعدها دونَ عَناءٍ بحيثُ إذا ما انتهى الخُطيبُ من إلقاءِ كلمتهِ كانَ السَّامعونَ قد وصلوا معه إلى النَّتيجةِ التي يريدُ بلوغَها، وعليه أن يبتغيَ من النُّصوصِ والآثارِ ما يُمهِّدُ طريقَهُ إلى هذه الغايةِ".

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ!

هذا ولا بدّ للخطيب -خطيب المنابر والمحافل- لا بدّ له، من أن يؤيّد كلّ فكرةٍ جزئيةٍ من أفكارِ خطبته بما يشدُّ من أزرها، ويقوّي من أمرها، ويثبتُ مصداقيّتها، ولا سيّما في الأفكارِ الحسّاسَةِ والخلافيّةِ وإلّا كان كلامه ادّعاءً لا يؤبّه به، ولا يلتفتُ إليه.

فنُّ الاستشهاد:

إنّ الجمهورَ - ولا سيّما في زماننا - كالقاضي لا يقبلون دعوى إلا إذا شُفّعت بما يشهدُ بصحّتها فللقاضي الشهودُ، وللجمهورِ الشواهدُ.
هذا ولا بدّ في شواهدِ الخطبة من مُراعاةِ بعضِ الاعتباراتِ من حيث انتقاؤها وإلقاؤها:

الضبطُ

التوثيقُ

عدمُ
الإكثارِ من
الشواهدِ

المناسبةُ

حُسْنُ
الإلقاءِ

بيانُ وجهِ
الشاهدِ

الشرحُ
والتوضيحُ

١- المناسبة:

ونعني بها أن يكون الشاهد مناسباً للفكرة المطروحة تمام المناسبة وإلا كان حال الخطيب كما قال القائل:

سارت مشرقة وسرت مغرباً شتان بين مشرق ومغرب

وإذا كان أمام الخطيب مجموعة من الشواهد، فليختَرُ أصحها وأصرحها وأوجزها:

أصحها من حيثُ الثبوتُ.

وأصرحها من حيثُ الدلالةُ.

وأوجزها وأكثرها اختصاراً.



٢- عدم الإكثار من الشواهد:

حسبُ الخطيب أن يُؤيِّدَ فكرته بشاهدٍ أو بشاهدين، وليحذر من الإكثار من الاستشهاد إلا عند الضرورة القصوى، وقديماً قالوا: حسبك من السوار ما أحاط بالمعصم.



٣- التوثيق:

وهذه نقطةٌ مهمةٌ جداً، من لم يُراعِها عرضَ نفسه للنقد، فعلى الخطيب أن يعزو شواهدَه إلى مصادرها التي استقاها منها، ويبينَ درجةَ ثبوتها.

١- فإن كانت آيةٌ من القرآن ذكرَ اسمَ السورة ورقمَ الآية.

٢- وإن كانت حديثاً نبوياً ذكرَ مصدره الحديثي ودرجته مُتَحاشياً ما لا يصحُّ الاستشهادُ به.

٣- وإن كانت قولاً لصاحبيٍّ أو تابعيٍّ أو غيرهما من سلفِ الأمةِ أو خلفها ذكرَ اسمه وعزاهُ إليه.

٤- وإن كانت مسألةً فقهيةً عزاهُ إلى مذهبها.

٥- وإن كانت حادثةً تاريخيةً عزاهُ إلى مصدرها وبيّنَ درجةَ ثبوتها ... وهكذا.

٤- الضبط:



على الخطيب وهو ينقل الشاهد من مصدره أن يراعي ضبطه، وإن كان غير مضبوط في مصدره، وهذا يحدث كثيراً في النسخ غير المحققة أو المحققة تحقيقاً تجارياً، فعليه أن يضبط النص من المصادر والمراجع، مثل شروح الحديث التي تكفلت بضبط كلمات الحديث، وكُتب التراجم التي ضبطت لنا أسماء الأعلام والمشاهير، وكُتب اللغة التي ضبطت الكلمات ... وإن التهاون في هذا - وهذا ما نراه عند ٩٠٪ من الخطباء - يُخلّ بمكانة الخطيب ويُعرضه للنقد.

٥- الشرح والتوضيح:

ومحلّ هذا إذا كان الشاهد غامضاً ويجب ألا يكون الشاهد كذلك ، وليحذر الخطيب من الإسهاب في الشرح والتوضيح والتعليق على الشاهد، لأنّ هذا من شأنه أن يُخرج الخطيب عن موضوعه الذي عقد الخطبة من أجله، وكم يحدث هذا!؟



كان الشيخ عليّ الطنطاوي يتكلّم في محفلٍ فأتى بفكرةٍ وجعل يعلّق عليها، فأطاب ولكنه أطلّ حتى نسي الفكرة التي بدأ منها، وجاء كلامه تعليقاً عليها، وحاول أن يتذكرها ولكنه لم يستطع حتى كاد أن يُغادر المكان لولا أنّ أحدهم أخبره عن الفكرة التي كادت تسبّب أزمةً بين الطنطاوي وجمهوره، فأكمل الشيخ كلمته!

٦- بيان وجه الشاهد:

وذلك إذا ما كان الشاهد خفيّ الدلالة على الفكرة التي سبق لتأييدها ونصرها، على أنه يحسن بالخطيب ألا يتعامل مع هذا النوع من الشواهد إلا أن يضطرّ لذلك.

وعلى الخطيب ألا يعوّل في فهم الشاهد وشرحه وبيان ارتباطه بفكرته على فهم الجمهور، فأكثر الجمهور اليوم لا يعلمون!

٧- حسن الإلقاء:



ولم أر من يُراعي هذه النقطة فيسوق الشاهد كما يسوق سائر عبارات خطبته، والأفضل تخصيص الشاهد بأداء خاص كرفع الصوت مثلاً أو تغيير سرعة الخطبة ... وللحديث بقية.

لا بأس بهذا:

قد يلجأ بعض الخطباء إلى كتابة الشواهد على ورقة صغيرة يجعلها أو يخفيها في يده، ولا حرج في هذا فلطالما خان الحفظ صاحبه أحوج ما يكون إليه، ممّا قد يؤدي إلى ارتباك الخطيب كلّ الارتباك.

٨- كيف تختتم خطابك؟

الجزء الأصعب:

لقد وجدت من خلال تجربتي الخطابية أن الخاتمة هي الجزء الأصعب والأهم من أجزاء الخطبة أو الكلمة، ولكن لماذا؟



أما الصعوبة فإن الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- يستطيع أن يستهل خطبته أو كلمته بعد الحمد والثناء بآية أو حديث ... ولكن الخاتمة ليست بهذه السهولة أبداً، وكم من خطيب أو متكلم قال ما عليه أن يقوله، ولكنه لم يدر كيف يختتم خطابه، ويصبح كما قال أحدهم: كمن أمسك بالثور من قرنيه فهو يريد التخلص منه، ولكنه برغم كل محاولاته لن يستطيع الإفلات منه والتعلق بسياج أو شجرة، وهكذا يبقى ضمن الدائرة يكرّر نفسه ويخلق انطباعاً سيئاً.

وأما الأهمية فلأن آخر جملة أو آخر جمل الخطبة أو الكلمة هي وحدها ما تبقى عالقة في أذهان الجمهور، وترن في أذهانهم، ولقد كان بعض الخطباء العالميين يكتبون ويحفظون خاتمة خطابهم!



يقول صاحب "فن الخطابة"، ص/ ١٢٧ " هل تؤد أن تعلم في أي جزء من خطابك يظهر عدم تجربتك ومهارتك وبراعتك؟ ويجب قائلًا: في الافتتاحية وفي الخاتمة.

قال: وهناك قول قديم عن ممثلي المسرح يقول " تعرفهم من خلال دخولهم وخروجهم "

أقول: وبهذا نضع أيدينا على سر جديد من أسرار إخفاق كثير من الخطباء والمتكلمين، وهو عجزهم عن اختتام كلمتهم بشكل مناسب.

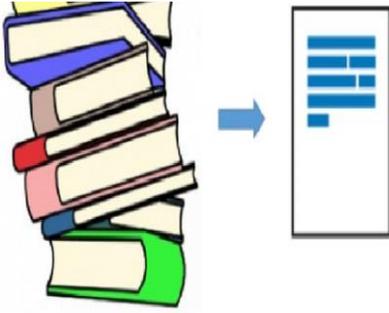
كيف أختتم خطابي؟ 🤔

لعلّ فينا من يقولُ قد لفتّ انتباهنا إلى أهميّة الخاتمة، فكيف نأتي بخاتمة ناجحة؟

وللإجابة عن هذا نقول: يجب على كلّ خطيب أن يُخَطِّطَ لخاتمة كلامه مُسبقاً، إذ ليس من الحكمة أن يحاول إنشاءها وهو يواجهُ النَّاسَ، وما أدراك ما مواجهة النَّاسِ!

وإليك أيّها الخطيبُ بعضاً من الاختتماتِ النَّاجحةِ والمُجربَةِ، والبابُ مفتوحٌ للإبداع.

لخص أفكارك:



إنّ الخطيبَ -خطيبَ المنابر والمحافل- يتناولُ الكثيرَ الكثيرَ من الأفكارِ، ولوضوحها في ذهنه كونه أَعَدَّهَا، يظنُّ أنّها بهذا الوضوح في أذهان جمهوره وليس كذلك فيأتي التلخيصُ كخاتمةٍ توجزُ ما سلفَ ويختتمُ بها الخطيبُ كلمته كأن يقول: **وختاماً الأمر...** وليحذرُ من الإطالة أو الشرح أو التعليق على الخاتمة.

اختتم بقصة:

للجمهور ولعُ باستماع القصص، ويستطيعُ الخطيبُ أن يختتمَ خُطْبَتَهُ بقصةٍ على أن تكون: مُناسبةً وقصيرةً.

فلا يحسنُ أن تكونَ القصةُ الختاميةُ غيرَ مناسبةٍ أو طويلةً.

الخاتمة المرحّة:

ويحسنُ استخدامها في ختامِ كلماتِ المحافلِ أكثرَ من ختامِ الخطبِ، كالجمعةِ والعيدين وتحتاجُ هذه الخاتمةُ إلى براعةٍ وثقةٍ بالنفسِ ومعرفةٍ بالجُمهورِ.

يقولُ أحدهمُ - كما ينقلُه عنه صاحبُ فنِّ الخطابةِ - : " اتركهم دائماً يضحكونَ عندما تقولُ وداعاً " .

الاختتامُ بمقتطفاتٍ شعريّةٍ:

وهي من صورِ الاختتامِ النّاجحةِ جدّاً.

يقولُ صاحبُ فنِّ الخطابةِ " ليسَ هناكُ خاتمةٌ أكثرَ استحساناً من تلكِ التي تأتي مَرحةً أو شعريّةً، وفي الحقيقةِ إذا استطعتِ الحصولَ على قِطعةٍ شعريّةٍ ملائمةٍ لنهايةِ كلمتكِ يكونُ الأمرُ مثاليّاً فهي تمنحكُ النّكهةَ المطلوبةَ، والوقارَ والتّفردَ والجَمالَ.

● احذر من هذين:

أيُّها الخطيبُ -خطيبُ المنابرِ والمُحافلِ- احذر من هذينِ التّوعينِ من الاختتامِ وهما:

١- التوقف فجأةً وقطع الكلام:

يتوقفُ الكثيرُ من المبتدئينِ فجأةً، وطريقَتُهُم في الاختتامِ تنقصُها السلاسةُ واللمسةُ الأخيرةُ، وبكلماتٍ أوضح " ليست لديهم أيّةُ خاتمةٍ " بل هم يتوقفون فجأةً وبسرعةٍ، فتأتي النتيجةُ غيرَ سارّةٍ وغيرَ متقنةٍ.



٢-الإطالةُ في الخاتمةِ:

إنَّ الخاتمةَ كالقطرةِ الأخيرةِ من زقِّ العسلِ وليست زقاً جديداً.
جلستُ يوماً أحضرُ خطبةَ خطيبٍ فأطالَ ثم أطالَ ثم أطالَ – وليتَّه أطابَ
– ثم قال: وأخيراً فتنفسَ القومُ الصُّعداءَ، وأحسُّوا بقربِ الفرجِ، ولكنَّه جلدنا

بخطبةٍ أخرى بعدَ " وأخيراً " ثم قال " وأخيراً " للمرَّةِ الثانيةِ وأيُّ خطبةٍ لها
أكثرُ من " أخيراً " واحدةً؟



٩-الدُّعَاءُ

موقع الدُّعَاءِ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ:

اختلفَ الفُقَهَاءُ فِي أَرْكَانِ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ:

- ١- فذهبَ أبو حنيفةَ إلى أنَّ رُكْنَ الخُطْبَةِ تحميدةٌ، أو تهليلَةٌ، أو تسبيحةٌ.
- ٢- وقالَ صاحباهُ (أبو يوسف و محمد): لا بُدَّ من ذِكْرِ طَوِيلٍ يُسَمَّى خُطْبَةً. وأما المالكيَّةُ: فيرونَ أنَّ رُكْنَها هو أقلُّ ما يُسَمَّى خُطْبَةً عندَ العَرَبِ ولو سَجَعْتَيْنِ نَحْو: اتَّقُوا اللهَ فيما أَمَرَ، وانتهوا عمَّا نهى و

زَجَرَ...

٣- و ذهبَ الشَّافِعِيَّةُ إلى أنَّ لها خَمْسَةَ أَرْكَانٍ وهي:

- ١- حمدُ اللهِ وَيتَعَيَّنُ لَفْظُ " اللهُ " وَلَفْظُ " الْحَمْدِ " .
- ٢- وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ .
- ٣- وَالْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى وَلَا يَتَعَيَّنُ لَفْظُهَا .
- ٤- وَالدُّعَاءُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الخُطْبَةِ الثَّانِيَةِ .
- ٥- وَقِرَاءَةُ آيَةٍ مُفْهِمَةٍ وَلَوْ فِي إِحْدَاهُمَا، وَيُسْنُّ جَعْلُهَا فِي الخُطْبَةِ الْأُولَى .

٢- وأما أركانها عندَ الحنابلةِ فأربعةٌ وهي:

- ١- حمدُ اللهِ بلفظِ الحمدِ .
- ٢- وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِصِيغَةِ الصَّلَاةِ .
- ٣- وَالْمَوْعِظَةُ وَهِيَ الْقَصْدُ مِنَ الخُطْبَةِ .
- ٤- وَقِرَاءَةُ آيَةٍ كَامِلَةٍ...

أقولُ: نقلتُ هذا النَّصَّ على طَوِيلِهِ من الموسوعة الكُويتِيَّةِ لِأَبِينِ مَوْقِفِ الفُقَهَاءِ مِنَ الدُّعَاءِ أَثناءَ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَأَنَّهُمَا فَرِيقَانِ:

١- الجُمُهورُ: لا يَعتَبَرُونَ الدُّعَاءَ من أَرْكَانِ الخُطْبَةِ.



٢- الشَّافِعِيَّةُ: يَرَوْنَهُ رُكْنًا، وَمَحَلُّهُ عِنْدَهُمُ الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ
جاءَ في الحَاوِي الكَبِيرِ (١٠٠٧ / ٢) " وَأَمَّا الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ
فَتَجْمَعُ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءٍ: حَمْدَ اللَّهِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ، وَالْوَصِيَّةَ
بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالدُّعَاءَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ".



الدُّعَاءُ لِلسُّلْطَانِ:

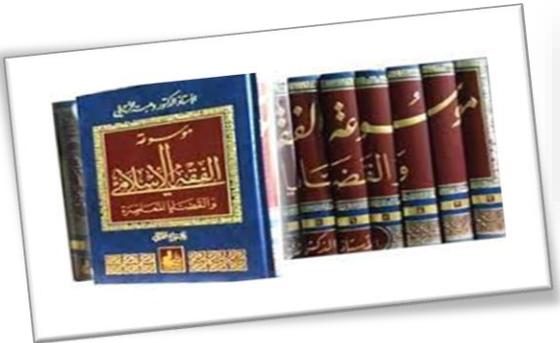
ما سبقَ هو الدُّعَاءُ لِعَمُومِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَإِذَا اكْتَفَى بِهِ
الْخَطِيبُ دَخَلَ فِيهِ السُّلْطَانُ وَأَعْوَانُهُ إِنْ كَانُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَإِلَّا
فَأَبْعَدَهُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ مَا هُوَ حُكْمُ الدُّعَاءِ لِلسُّلْطَانِ (أَمِيرًا كَانَ أَمْ مَلِكًا أَمْ رَئِيسًا)؟

جاءَ في المَجْمُوعِ شَرْحِ المَهْدَبِ لِلوَلِيِّ الصَّالِحِ
النَّوَوِيِّ (٥٢١ / ٤) مَا نَصَّهُ " وَأَمَّا الدُّعَاءُ
لِلسُّلْطَانِ فَاتَّفَقَ أَصْحَابُنَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ وَلَا
يُسْتَحَبُّ "



وظاهرُ كَلَامِ المُصَنِّفِ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ بَدِئَةٌ إِمَّا
مَكْرُوهَةٌ، وَإِمَّا خِلَافُ الأُولَى، هَذَا إِذَا دَعَا لِلسُّلْطَانِ بِعَيْنِهِ،
فَأَمَّا الدُّعَاءُ لِأَيِّمَةِ المُسْلِمِينَ وَوُلَاةِ أُمُورِهِمُ بِالصَّلَاحِ وَالإِعَانَةِ عَلَى الحَقِّ
وَالقِيَامِ بِالعَدْلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلِجِيُوشِ الإِسْلَامِ فمُسْتَحَبٌّ بِالإِتِّفَاقِ، وَالمُخْتَارُ أَنَّهُ
لَا بِأَسَ بالدُّعَاءِ لِلسُّلْطَانِ بِعَيْنِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُجَازِفَةً فِي وَصْفِهِ وَنَحْوِهَا، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ.

ويقولُ أستاذنا الرُّحَيْلِيُّ فِي
موسوعتِهِ الفَدَّةِ (٤٤٢ / ٢)
وَيُنْدَبُ ذِكْرُ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ
وَالعَمَمِيِّينَ وَلَا يُنْدَبُ الدُّعَاءُ
لِلسُّلْطَانِ، وَجَوَّزَهُ بَعْضُهُمْ، فَقَدْ
ثَبَّتَ أَنَّ أبا موسى الكُوفِيَّ دَعَا لِعُمَرَ.



وَيُكْرَهُ تَحْرِيمًا وَصْفُهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ أَهـ.

أقولُ: بَلْ يَحْرُمُ لِأَنَّهَا شَهَادَةٌ زُورٌ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ مِنَ المُحَرَّمَاتِ وَمِنَ الكَبَائِرِ
أهـ.

الدُّعَاءُ الرَّاقِي المُرْتَقِي:

ولكي يَكُونَ الدُّعَاءُ مُثْمِراً ومُؤَثِّراً فعَلَى الخَطِيبِ مُرَاعَاةُ مَا يَلِي:

- ١- عَدَمُ الإِطَالَةِ بالدُّعَاءِ لئَلَّا يُمَلَّ النَّاسُ.
- ٢- أَصَالَةُ الدُّعَاءِ ونَعْنِي بِالأَصَالَةِ أَنْ يَعْوَلَ الخَطِيبُ عَلَى الأَدْعِيَةِ الوَارِدَةِ فِي القُرْآنِ والأَدْعِيَةِ الَّتِي فَاهَ بِهَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَدْعُو بِهَا أَوْ يَسْتَوْحِي مِنْهَا، وَمَنْ خَيْرٌ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الخَطِيبُ فِي ذَلِكَ الأَنْكَارُ لِلنُّووي، وَفَنُ الذِّكْرِ والدُّعَاءِ لِمُحَمَّدٍ الغَزَالِيِّ.



- ٣- المُنَاسِبَةُ: ونَعْنِي بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ مُتَنَاسِباً مَعَ المَوْضُوعِ فَتَكُونَ الخُطْبَةُ كُلُّهَا كَأَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، اسْتِهْلَالُهَا، وَمُقَدِّمَتُهَا، وَمَوْضُوعُهَا، وَخَاتِمَتُهَا، وَدُعَاؤُهَا.
- ٤- الوَاقِعِيَّةُ: بِمَعْنَى أَنْ يَدْعُوَ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ الحَوَادِثِ وَالمَوْاقِعِ، فَيَدْعُو لِلْمُسْلِمِينَ إِنْ كَانُوا يُحَارِبُونَ هُنَا أَوْ هُنَاكَ بِالنَّصْرِ، أَوْ أَلَمَّتْ كَارِثَةٌ طَبِيعِيَّةٌ، أَوْ ظُرُوفٌ صَعْبَةٌ بِالمُفْرَجِ العَاجِلِ، أَوْ يَدْعُو لِلطُّلَابِ بِالنَّجَاحِ إِنْ كَانَ وَقْتُ امْتِحَانٍ وَهَكَذَا.
- ٥- الدُّعَاءُ الإِيجَابِيُّ كَالدُّعَاءِ بِالمُهَيِّبَةِ وَالمُزَكِّاتِ وَالمُغْفِرَةِ ... لَا المَسْخِ وَالمُحْرِقِ وَالمُغْضِبِ، وَفِي تَقْدِيرِي أَنَّ الدُّعَاءَ لِلعَرَبِ أَنْ يَهْدِيَهُ اللَّهُ لِلإِسْلَامِ، وَيُشْرَحَ صَدْرَهُ لَهُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ بِالمُهْلَاكِ، فَحُنُّ

الدُّعَاءُ هِدَاةٌ لَا جَزَارُونَ ، وَلَمَّا طُلِبَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى دَوْسٍ قَالَ: "اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأَنْتَ بِهِمْ" رواه البخاري .

يقول العلامة ابن حجر في شرحه على صحيح البخاري (١ / ٣٥٢) تعليقاً على حديث السبعة الذين ألقوا على الرسول ﷺ الأذى وهو يُصَلِّي " وفيه جواز الدعاء على الظالم، لكن قال بعضهم محلّه إذا كان كافراً، فأما المسلم فيستحب الاستغفار له، والدعاء بالتوبة ... والأولى أن يدعى لكلّ حيّ بالهداية "



١٠- البَدَائِلُ

عيدٌ بعيدٌ:

روى الإمام أبو داود في سننه في كتاب الصلاة
عن أنس (١١٣٤) أنه قال: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ
المدينةَ، ولَهُم يومانِ يلعبونَ فيهِما.

فقال: ما هذانِ اليومانِ؟

قالوا: كُنَّا نلعبُ فيهِما في الجاهليَّة!

فقال رسولُ الله ﷺ: " إنَّ اللهَ قد أبدلكم بهما خيراً مِنْهُما: يومُ الأضحى ويومُ
الفِطْرِ ".

لماذا؟ وما هو البديلُ عن هذا!

من المعلوم - لدى كلِّ دارسٍ لشريعتنا الخالدة - أن الله عزَّ وجلَّ

ما حرَّم شيئاً من الأشياءِ إلَّا و قد راعى أمرين اثنين:

- ١- أنه إنَّما حرَّمه لما يتطوي عليه من خطرٍ عظيمٍ، و ضررٍ جسيمٍ على صاحبه في جسده، أو ماله، أو دينه، أو على المجتمع ...
- ٢- أنه عَوَّضَ عَنْهُ مِنَ الْحَلَالِ ما يُغْنِي عنه، وَيَسُدُّ مَسَدَهُ ممَّا يَنْفَعُ ولا يضرُّ.

فعلى الخطيبِ وهو يُعدُّ خُطْبَتَهُ أن يُراعي هذين الجانبين، فيكشف عن الحكمة من وراء التَّحريمِ، ويذكر البديلَ عن الشَّيءِ المُحرَّمِ.

لماذا؟

ما حرَّم اللهُ من شيءٍ إلَّا وكان وراءَ هذا التَّحريمِ حكمةٌ جليَّةٌ، - خفيةٌ كانت أو جليَّةً - كانت الباعثُ على تحريمه، فعلى الخطيبِ إذا ما تناول شيئاً مُحَرَّماً أن يُبيِّنَ لجمهوره السِّرَّ والحكمةَ وراءَ هذا التَّحريمِ، فإنَّ ذلكَ أقوى لِكلامه، وأدعى لقبوله والتَّجاوبِ معه، وحسنُ أن يستعينَ الخطيبُ بما كُشفَ عنه العصرُ الحديثُ من أسرارِ تلكَ المُحرَّماتِ مثلِ الخمرِ والمُخدِّراتِ،

والزَّنا واللُّواطِ، والمَيْسرِ والقِمَارِ، والخِنْزِيرِ، والمَيْتَةِ، والدِّمِّ، والرِّبَا، والعُقُودِ
الفاَسِدَةِ ...



البَدِيلُ عن هذا:

وِثْمَةٌ أَمْرٌ آخِرٌ لَا يَقِلُّ أَهْمِيَّةً عَنِ الْأَمْرِ السَّابِقِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ أَكْثَرَ أَهْمِيَّةً
مِنْهُ أَوْ هُوَ الْبَدِيلُ وَلَا سِيَّما فِيمَا تَمَسُّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ.

فَعَلَى الْخَطِيبِ بَعْدَ أَنْ يَكْشِفَ لْجُمْهُورِهِ عَنِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَرَاءَ تَحْرِيمِ
أَمْرِ مَا، أَنْ يُبَصِّرَهُم بِالْبَدِيلِ عَنْهُ لَيْسَهُلَّ انْتِقَالُهُمْ إِلَيْهِ وَتَعَاظِيهِمْ مَعَهُ.

نماذج مما خطبت:



الزَّنا والزَّواج:

لَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ الزَّنا، بَلْ حَرَّمَ تَعَاظِي مُقَدِّمَاتِهِ الَّتِي تُغْرِي بِهِ، وَتُوصِلُ إِلَيْهِ،
مِنَ النَّظَرِ، وَالْإِنْبِساطِ فِي الْكَلَامِ، وَالْخُلُوةِ ... وَلِلْقُرْآنِ تَعْبِيرٌ فَذِّعْ عَنِ الْحِكْمَةِ
مِنْ ذَلِكَ ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاجِحَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ٣٢]



فَالْإِسْلَامُ لَمْ يَحْرَمْ الزَّنا وَيَكْتَفِي بِالْوُقُوفِ عِنْدَ هَذَا
الْحَدِّ بَلْ رَغِبَ فِي الزَّواجِ بَوَاحِدَةٍ أَوْ أَكْثَرَ كَبَدِيلِ
عَنْهُ، وَفِي هَذَا إِرْوَاءٌ لِلْغَرِيْزَةِ الْجِنْسِيَّةِ، وَتَصْرِيْفٌ
لِهَا تَحْتَ مِظَلَّةِ الشَّرْعِ.

الرِّبَا والمُضَارَبَةُ:



لقد حرّم الله الرِّبَا على لسانِ كلِّ نبيٍّ، وأنزلَ تحريمَه في كلِّ كتابٍ، لما فيه من أضرارٍ هائلةٍ على المُجتمَعِ، من حيثُ الأفرادُ والأموالُ، وصدقَ اللهُ:

﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

وفي المُضَارَبَةِ -وهي صورةٌ من صورِ الشَّرَكَاتِ يكونُ رأسُ المالِ فيها من طَرَفٍ، والعملُ من طَرَفٍ آخَرَ - ما يُغني عن إقراضِ المالِ مُقابلَ فائدةٍ!

إذن:

فليحذرِ الخَطِيبُ من الاكتفاءِ بذكرِ المُحرَّماتِ، مع إغفالِ الحِكمةِ من تحريمِها.

وليكن أشدَّ حَذراً من ذكرِ المُحرَّماتِ مع إغفالِ بدائلِها ممَّا أحلَّهُ اللهُ عزَّ وجلَّ.

١١- الماضي والحاضر والمستقبل

يقولون:

يقولون: إنَّ الحاضرَ ما هوَ إلاَّ امتدادٌ للماضي، وإنَّ المستقبلَ ما هوَ إلاَّ امتدادٌ للحاضر.

وهذا الكلامُ صحيحٌ، غيرَ أنَّ لتعاطي الخطباءِ مع هذه الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل مَذهبٌ، منها ما هو مَقبولٌ، ومنها ما هو مرفوضٌ، ومنها ما هو مشبوهٌ مُريبٌ.

أسرى الماضي:



بعضُ الخطباءِ -خطباءِ المنابر والمحافل- لا يكادُ يتحدَّثُ إلاَّ عن الماضي، ماضي الأجدادِ والأجدادِ، فتراهُ يتحدَّثُ عن زمنِ النبوةِ والخِلافةِ الرَّاشدةِ، والمعاركِ التي انتصرَ فيها المسلمونَ على الكفرةِ، ويُذكرُ النَّاسَ بأسماءِ العلماءِ المسلمينَ في مجالِ الطِّبِّ والفيزياءِ، والرياضياتِ والكيمياءِ ... وكأنَّ هذا الخطيبَ كانَ يعيشُ معهم وبيئهم، غيرَ أنَّه ركبَ عربةَ الزَّمنِ وجاءَ إلينا ليُحدِّثنا عن ذلك العَصْرِ، عَصْرِ الأجدادِ والأجدادِ.

وهذا المسلكُ مرفوضٌ إنَّ لم يكنْ مُريباً لأنَّه يوهِّمُ النَّاسَ أنَّ أُمَّةَ الإسلامِ قد قدَّمتْ كلَّ ما لديها، وليسَ عندها جديداً تقدِّمه وباللَّهجةِ العاميةِ " طلعت على المعاش " .

المُتفائلون:

وهؤلاءِ نوعٌ مختلفٌ عن النوعِ السَّابقِ تماماً فهو لا يتحدَّثُ إلاَّ عن المُستقبلِ الذي يحملُ معه انتصارَ الدِّينِ، وهزيمةَ المُشركينَ، وفتحِ روما، وتحريرِ الأقصى من جديدٍ .



وهذا المسلك مرفوض أيضاً إن لم يكن مُريباً، فكأنه يقول للناس اطمئنوا ولا تُبالوا بما ترونه الآن، فالمستقبل قادمٌ، والمستقبل أحلى.

ونحن نتفق معه على أن المستقبل لهذا الدين، ولكن لا بد من العمل الدؤوب، والجهد المتصل، والتخطيط السليم، والإعداد والتحصير لذلك المستقبل!



لقد كان نور الدين زكي واثقاً بتحرير بيت المقدس، حتى أنه صنع له منبراً، ولكنه علم أن الطريق إلى ذلك هو الجهاد، والجهاد فقط، وقد توفاه الله قبيل ذلك، وأكمل مشواره خريجه الناصر صلاح الدين حتى إنه وضع المنبر بنفسه في مكانه من المسجد الأقصى.

خير الأمور أوسطها:

والمذهب الحق أن الخطيب ابن وقتة وزمنه، فعليه أن يتعاطى مع قضايا الأمة الحاضرة، ومشاكلها الراهنة، مشاركاً الأمة في آمالها وآمالها.

وعليه أن يأخذ من الماضي، وينقل من المستقبل ما يخدم غرضه من غير أن يقع أسيراً للذكريات، أو حالماً بالمستقبل الذي قد لا يُدرُّه، لا هو ولا جمهوره من الحاضرين.

١٢- الخُطباءُ والأطباءُ

حَفْظُ الحَيَاةِ أَوَّلًا:



عندما يُنقلُ رجلٌ إلى مَشْفَى بعدَ حادثٍ
تصادمٍ مُروِّعٍ فإنَّه يُبدأُ بإسعافِهِ بما يحفظُ
عليه حياته، ثمَّ بعدَ ذلكَ تُعالجُ باقي الأضرار
كالكُسورِ، والرُّضوضِ، وذلكَ بعدَ أن
يطمئنَّ الأطباءُ إلى أن حَيَاةَ ذاكَ المريضِ لم
تعدْ بِخطرٍ.

ولكن

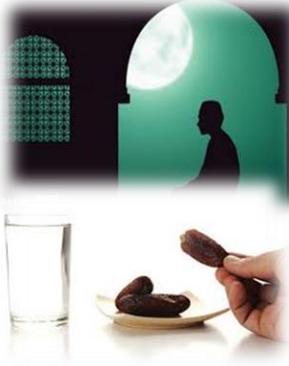
تخيّلْ معي أن مجموعةً من الأطباءِ نُقلَ إلى عُرفةٍ إنعاشِهِم مريضٌ على
ما وصفتُ لك من الحالِ، أو مُصابٌ بِرِصاصةٍ اخترقت قلبه، أو رِئتَيْهِ، أو
أصابته جُلطةٌ أو سكتةٌ، فإذا بهؤلاءِ الأطباءِ يتركون كلَّ شيءٍ من قلبه
المتقوبِ، أو عقله المجلوطِ من أجلِ استخراجِ شوكةٍ عالقةٍ بيده أو رجله، أو
لتضميدِ نزيفٍ بسيطٍ! ما تقولُ في هؤلاءِ؟؟

أنتم أطباءُ الأُمَّةِ:



إنَّ الدُّعاةَ ومنهمُ الخُطباءُ، همُ أطباءُ هذه الأُمَّةِ
يرصدونَ أمراضَها، ويصفونَ لها العلاجَ الناجحَ
و النَّاجعَ بادئينَ بالأهمِّ فالأهمِّ من أمورِها وشؤونِها.

وإنَّ صدمةً كُبرى وخيبةً أَمَلٍ عَظْمَى لَتُصيبُنِي عندما أستمعُ إلى خَطيبي
يتحدّثُ في أمورٍ ثانويّةٍ، أو خِلافاتٍ قديمةٍ، أو حديثَةٍ أمرُها يسيرٌ، وذلكَ
على حسابِ الأمورِ الأكثرِ أهميّةً وألويّةً.



- فالْحَدِيثُ عَنْ فَضَائِلِ قِيَامِ اللَّيْلِ فِي جُمْهُورٍ لَمْ يَعْذُ أَكْثَرُهُ يَصْلِي فَرَائِضَ النَّهَارِ، وَلَا فَرَائِضَ اللَّيْلِ، ضَرْبٌ مِنَ الْعَبَثِ، وَهُوَ كَشَوَكَةِ الْمَجْلُوطِ.

- وَالْحَدِيثُ عَنْ فَضَائِلِ الصِّيَامِ النَّطْوَعِيِّ فِي جُمْهُورٍ بَاتَ كَثِيرٌ مِنْ أَفْرَادِهِ يُفْطِرُونَ فِي رَمَضَانَ جَهَاراً نَهَاراً، ضَرْبٌ مِنَ الْعَبَثِ، وَهُوَ يُعَدُّ كَشَوَكَةِ الْمَجْلُوطِ.



- وَالْحَدِيثُ عَنْ فَضِيلَةِ صَدَقَةِ النَّطْوَعِ فِي جُمْهُورٍ أَمْسَكَ يَدَهُ عَنِ الزَّكَاةِ وَهِيَ فَرِيضَةٌ، وَرُكْنٌ أَسَاسِيٌّ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ضَرْبٌ مِنَ الْعَبَثِ وَهُوَ يُعَدُّ كَشَوَكَةِ الْمَجْلُوطِ



- وَالْحَدِيثُ عَنْ شُبُهَاتِ الْمَوْسَسَاتِ الْمَالِيَّةِ فِي بِلَدٍ لَمْ يَكُنْ أَفْرَادُهُ يَتَعَامَلُونَ إِلَّا بِالنِّظَامِ الرَّبَوِيِّ ضَرْبٌ مِنَ الْعَبَثِ، بَلْ وَيَثِيرُ الشُّكُوكُ حَوْلَ عَقْلِ أَوْ دَوَافِعِ هَذَا الْمُتَكَلِّمِ.

- وَالْحَدِيثُ عَنِ الْأَجْدَادِ وَالْأَمْجَادِ أَوْ عَمَّا سَيَجِدُ فِي قَوَائِمِ الْأَيَّامِ وَتَرَكَ الْحَاضِرِ ضَرْبٌ مِنَ الْعَبَثِ أَيْضاً.

إِنَّ عَلَى الْخَطِيبِ أَنْ يُمَعِّنَ النَّظَرَ فِي مُجْتَمَعِهِ الْكَبِيرِ أَوْ الصَّغِيرِ وَيَرصُدَ مَشَاكِلَهُ وَيُسَجِّلَهَا ثُمَّ يَبْدَأُ بِعِلَاجِ الْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ مِنْهَا.

على أرض الواقع:



وَأذْكَرُ أَنِّي كُفِّتُ بِالْخَطَابَةِ فِي أَحَدِ الْمَسَاجِدِ فَسَأَلْتُ بَعْضَ الْإِخْوَةِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَحَلَّةِ عَنْ أَكْثَرِ الْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ فِي هَذَا الْحَيِّ فَأَخْبَرَنِي عَنْهَا وَكَانَتْ كَثِيرَةً وَكَانَ مِنْ أَسْوئِهَا شَتْمُ اللَّهِ، وَتَضْيِيعُ الصَّلَوَاتِ، وَفَتْحُ الْمَحَالِّ التِّجَارِيَّةِ أَثْنَاءَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَالْأَعْرَاسُ الْمُخْتَلِطَةُ، وَالْمَشَاكِلُ مَعَ الْجِيرَانِ، وَإِهْمَالُ تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ، وَانْتِشَارُ الْأُمِّيَّةِ أَيْضاً.

فما كان منِّي إلا أن دَوَّنتُ كلَّ تلكِ المشاكِلِ على حَسَبِ أهَمِّيَّتها، ثمَّ بدأتُ بعِلاجِها واحِدَةً واحِدَةً وأحسِبُنِي وُقِفْتُ في ذلكَ بَعْضاً من التَّوفيقِ.

وكانَ من أوَّلِ ما بدأتُ بهِ وعالجتهِ ظاهِرةٌ شتمِ اللهِ، والحَلْفِ بالطلاقِ الَّتِي شاعتِ على السِّنةِ الصِّغارِ قَبْلَ الكِبارِ، والنِّساءِ قَبْلَ الرِّجالِ.

وحُطْبَةٌ بعدَ حُطْبَةٍ بدأتُ تلكَ الظَّاهِرةُ بالاضمِحلالِ والتَّلاشيِ شيئاً بعدَ شيءٍ.



ثم تناولتُ ظاهِرةَ تَضْييعِ الصَّلواتِ، وفتحَ المَحالِّ التِّجاريَّةِ أثناءِ أداءِ صلاةِ الجُمعةِ، ولطالماً وقفتُ على مَنبَرِي وأنا أرى المَحالَّ مُفَتَّحةً أبوابِها، والبيعُ فيها على قَدَمِ وساقٍ، وعالجتُ هذه المُشكلةَ بطريقةٍ مختلفةٍ وذلكَ أنِّي صِرْتُ آتِي إلى أولئِكَ الباعةِ واحداً بعدَ واحدٍ أسلِّمُ عليه وأقولُ له سنراكَ اليومَ في الصَّفِّ الأوَّلِ يا جارَ المسجدِ، وهكذا حتَّى صارتِ جميعُ المَحالِّ تَغلقُ أبوابِها عندما تَراني مُقبِلاً نحوَ المَسجدِ.



وما زلتُ على هذه الحالِ أطرحُ مشاكِلَ الحَيِّ واحِدَةً تلوَ الأُخرى، ولو كنتُ أملكُ سُلطةً أو مالاً لحللتُ لهم باقيَ المشاكِلِ ولكن لا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلا وُسْعَها.

١٣- الوحدة والفرقة

نصيحةٌ مُجَرَّبٌ:



يقول الشيخ الغزالي في مقدمة الكتاب الذي جمع بعضاً من خطبه (٢٠ / ١) " لا يجوز أن تتعرض الخطبة للأمور الخلافية، ولا أن تكون تعصباً لوجهة نظر إسلامية محدودة.

فإن المسجد يجمع ولا يفرق، ويلم شمل الأمة بشعب الإيمان التي يلتقي عندها الكل دون خوض في المسائل التي يتفاوت تقديرها، وما أكثر العزائم والقضايا التي تصلح موضوعاً لنصائح جديدة وخطب موفقة.

وقد شقي المسلمون بالفرقة أياماً طويلة، وجدير بهم أن يجدوا في المساجد ما يوحد الصفوف ويطفى الخصومات."

لا يستون:

من الخطباء والدعاة من هو بعيد النظر ثاقبه، سديد الرأي حكيمة، رحيمة بعباد الله ...

ومنهم من هو على العكس من ذلك قصير النظر خائبه، ضعيف الرأي سقيمه، ليس حكيماً ولا رحيماً ...

وعلامه ذلك أن الخطيب -خطيب المنابر والمحافل- إن كان ما يقوله يجمع الكلمة، ويوحد الصفوف، ويطفى الخصومات، فهو من بعيد النظر ثاقبي الرأي ...

وإن كان ما يقوله يفرق الصفوف، ويشعل الخصومات فهو من قصيري النظر، فاقد الرحمة والحكمة، وما أكثر هؤلاء في زماننا وفي ديارنا وغير ديارنا

وكم من فرق بين من يقف ليحدث الناس عن ربهم حديثاً يذكر الناس، ويرد العاصي، ويزيد إيمان المؤمن، يريك الجنة كأنك فيها، ويرغبك فيها ويشوقك إليها، ويريك النار كأنك مطلق عليها فيخوفك منها ويحذرک منها ...

وبين من يقفُ ليطرح القضايا الخلافية في العقيدة مثل التوسُّلِ والكراماتِ،
وأياتِ الصِّفاتِ ...

ويزداد الأمرُ سوءاً عندما يظنُّ البائسُ أنَّ خلافياته هي أساسُ الدينِ وأصله
ومنبعه.

ليس لهذا:

فالمَنبرُ في الإسلامِ ليسَ لبثِّ الفرقةِ، وفرضِ الرَّأيِ - في القضايا
المُختلفِ فيها - بالقوَّةِ، وتصفيَةِ الحِسَاباتِ

ومتى؟

في زمنٍ اتَّحدَ فيه أعداؤنا وأبوا إلَّا القضاءَ علينا على هؤلاءِ وهؤلاءِ
جميعاً!

فلتكنْ منايرُنا لما اتَّفقتنا عليه وما أكثره!

ولنجنبها ما اختلفنا فيه وما أقله!

ولنتعاونُ فيما اتَّفقتنا عليه.

و ليعذرُ بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

١٤- بين التَّوعِيَّةِ وَالتَّزْكِيَّةِ

لهذا ولذاك:

يقول الله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ

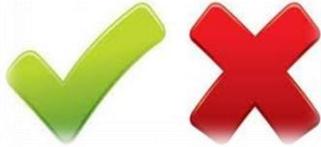
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ [الجمعة: ٢]

التَّوعِيَّةُ:



ونعني بها شرح حقائق الدِّين في مجال العقيدة والحلال والحرام بأبسط طريقة وأكثرها تشويقاً وإقناعاً.

التَّزْكِيَّةُ:

قِيلَ فِيهَا الْكَثِيرُ الْكَثِيرُ وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ: تَطْهِيرٌ لِلنَّفْسِ مِنْ أَدْرَانِهَا وَأَوْسَاخِهَا، وَزِيَادَةٌ مَا فِيهَا مِنْ مَحَاسِنِ الطَّبَعِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَهِيَ إِذَنْ تَخْلِيَةٌ وَتَحْلِيَةٌ.

تَخْلِيَةٌ لِلنَّفْسِ عَنْ ظَاهِرِ الْإِثْمِ وَبَاطِنِهِ.

وَتَحْلِيَةٌ لَهَا بِمُظَاهَرِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَبَاطِنِهِ.

بين هذا وذاك:

فعلَى الْخَطِيبِ وَهُوَ وَارِثُ نَبِيِّ أَنْ يُرَاحَ وَيَزَاجُ بَيْنَ التَّوعِيَّةِ وَالتَّزْكِيَّةِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ أَوْلَى فَيُزَكِّيهِا وَيُنْقِيهِا ، فَيَجْتَمِعُ فِيهِ الصِّدْقُ فِي الْمَقَالِ وَالْأَعْمَالِ.

- ب -

إِقَاءُ الخُطْبَةِ

" إِنَّ كَلَّ شَيْءٍ يَعْتَمِدُ عَلَى الْأُسْلُوبِ الَّذِي يَتَحَدَّثُ بِهِ
الْإِنْسَانُ وَ لَيْسَ عَلَى الْمَوْضُوعِ بَحْدِ ذَاتِهِ "
حكمة قديمة

١- ما هو الإلقاء؟

- ✓ إنه أن تقدم لجمهورك ثمرة مجهودك.
- ✓ إنه أن تفتح عقولهم بما أنت به مقتنع.
- ✓ إنه أن تعرج بأرواحهم إلى السماء.
- ✓ إنه أن تلهب حماسهم ليفعلوا ما تحثهم عليه.
- ✓ إنه أن تدخل الرعب إلى قلوبهم ليجتنبوا ما تحذرهم منه.
- ✓ إنه أن تملك شفاههم فتجعلها تبتسم.
- ✓ إنه أن تملك عيونهم فتجعل دموعها تنهمر.
- ✓ إنه أن تُنسي جمهورك الزمان، وتقلهم بحديثك من مكانٍ إلى مكانٍ.
- ✓ إنه أن تجعل الدماء تغلي في عروقهم حميةً للدين.
- ✓ إنه أن تضع قلبك في خطابك.



٢- قالوا عن الإلقاء

قال أحدهم:

إنَّ كلَّ شيءٍ يعتمدُ على الأسلوبِ الَّذي يتحدَّثُ به الإنسانُ، وليسَ على الموضوعِ بحدِّ ذاته.

وقال أحدهم:

هناك ثلاثة أشياء مُهمّةٍ في الخِطابِ:

- ١- مَنْ يُلقِيهِ؟
- ٢- وكيف يُلقِيهِ؟
- ٣- وما الَّذي يَقُولُهُ؟

والشَّيءُ الأقلُّ أهميَّةً من بين هذه الأشياءِ الثلاثة هي الأخيرةُ.

وقال أحدهم:

إنَّ الإلقاءَ الجيِّدَ يجعلُ المادَّةَ الهزيلةَ تمضي طويلاً.

قصةٌ مُعبِرةٌ:

يقولُ صاحبُ " فنِّ الخِطابةِ " بعدَ انتهاءِ الحربِ العالميَّةِ الأولى، التقيتُ بشقّيقينِ في لُنْدُن... كانا أوَّلَ من استقلَّ طائرةً من لُنْدُن إلى أسترالياِ يصحبُهُما مُصوِّرٌ مشهورٌ التقطَ صوراً حيَّةً لتساعدَهُما على تجهيزِ خطابٍ مُمتعٍ عن رحلتِهِما.

يقولُ المُؤلِّفُ: وجعلتُ أدريُّهُما على إلقاءِهِ مرَّتينِ في اليومِ وعلى مدارِ أربعةِ أشهرٍ!

لقد قاما بتجربةٍ واحدةٍ، وألقيا الخِطابَ ذاتهَ تقريباً، ومع ذلكَ لم يكونا سواءً إذ أنَّ هُنَاكَ شيئاً ما إلى جانبِ الكلماتِ المُجرّدةِ في الخِطابِ.

إنَّه النِّكهةُ الَّتِي من خلالها يتمُّ الإلقاءُ، فالأمرُ لا يعتمدُ على ما تقولُ مثلماً يعتمدُ على طريقةِ إلقاءِهِ.



٣-وصعد على الصفا

رسالة الصفا:



• روى البخاري في صحيحه في كتاب التفسير عن ابن عباس (٤٧٧٠) أنه قال **لَمَّا نَزَلَتْ " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ " صَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ ...**

فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تَغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟

قَالُوا: نَعَمْ: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا.

قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ... الْحَدِيث.

• روى البخاري في صحيحه في كتاب المناقب عن ابن عمر (٣٥٨٣) أنه قال: **كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِلَى جِدْعٍ، فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمَنِيرَ تَحَوَّلَ إِلَيْهِ، فَحَنَّ الْجِدْعُ فَاتَاهُ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ.**



• روى البخاري في صحيحه في كتاب العلم عن أبي بكرة (٦٧) أنه ذكر النبي ﷺ **قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ ... قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ الْحَدِيثُ**

قال العلامة ابن حجر تعليقاً على الحديث الأخير (١ / ١٥٩) وفيه الخطبة على موضع عالٍ ليكون أبلغ في إسماعه للناس، ورؤيتهم إيّاه .

احذر من هذا : لا تخطب ولا تتكلم – وأنت قاعدٌ – إلا من عذر.



روى البخاري في كتابه الصلاة عن ابن عباس (٤٦٧) أنه قال: **خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه، عاصباً رأسه بخرقه، فقعد على المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه. الحديث.**



وتأمل معي قول ابن حجر فقد شفى وكفى " ليكون أبلغ في إسماعه للناس، ورويتهم إياه "

وأضيف أيضاً بأنه بذلك يستحوذ على انتباههم واهتمامهم، وأما من يتكلم جالساً – مثل بعض خطباء المحافل – فإن الناس يسمعون صوته، ولا يرون شخصه، وكأنما هو هاتف من الجن، لا خطيب من الإنس.

ويحسُن أيضاً بالخطيب أن يلتفت أثناء خطبته أو كلمته يمنة ويسرة ليرى جميع الحاضرين، ويراه جميع الحاضرين فيزدادوا إقبالاً عليه، وفهماً لكلامه.

المنابر المهجورة:



قصدت يوماً أحد المساجد الذي يخطب فيه خطيب مشهور من خطباء دمشق، فوجدت باب المنبر مغلقاً، فقلت في نفسي لعله سيفتح قبيل مجيء الخطيب إليه، وصعوده عليه، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، وذلك أن الخطيب قام إلى منصة، وخطب عليها واقفاً على قدميه

، وجمهوره يحيط به، ولما لم أر استغراب الناس مما فعله ذلك الخطيب، علمت أن المنبر قد هجر منذ زمن بعيد، حتى بات هجرته أمراً اعتيادياً.

ولست أعلم تفسيراً لما فعله هذا الرجل وأمثاله، وفي تقديري أن الشيطان وسوس له ولأمثاله أن هذا أقرب للتواضع، وبئس التواضع ذلك الذي يخالف سنة الخطابة النبوية والبشرية، فالرسول ﷺ بدأ يخطب على الأرض مستنداً إلى جذع ثم هجره إلى منبره، وصاحبنا وأمثاله هجر منبره وصار يخطب على الأرض مستتراً ومستنداً إلى منصة على الأرض فأى انتكاسة هذه؟

٤- الخطباء الورقيون

مذاهب الإلقاء:

للخطباء ثلاثة مذاهب في إلقاء الخطبة بعد إعدادها:



١- فمنهم من يُلقى خطبته أو كلمته على جمهوره من ورقة أو مجموعة من الأوراق كان قد أعدّها من قبل، أو أعدت له لهذا الغرض، لا يزيد على ما كتب أو كتبت له، ولا ينقص منه، وهؤلاء هم الذين أسميهم بالخطباء الورقيين.

- ٢- ومنهم من يكتفي من ورقته أو أوراقه بقراءة الشواهد القرآنية، أو الأحاديث ... وأما ما تبقى من الخطبة، فلا يعول فيه على الورقة.
- ٣- ومنهم من يُلقى خطبته من غير اعتماد على الأوراق أصلاً، بعد أن يكون قد أحسن تحضيرها، وأتقن حفظ شواهدا.

ترجيح لا تجريح:

ولا أشك أن أفضل هذه المذاهب هو المذهب الثالث، ودونه الثاني. وأما المذهب الأول فإني - وهذا رأيي - لا أعدُّ صاحبه خطيباً أصلاً، فصاحبنا هذا و أمثاله قارئ ورقة، لا خاطب خطبة.

احذروا أيها الورقيون:



ثمّة أخطار ومصاعب ومصائب تتربص بالخطباء الورقيين

ومنها:

- ١- ماذا لو ضاعت الأوراق أو ضاع أحدّها؟ ولم ينتبه الخطيب إلا وهو على المنبر؟

ماذا لو سقطت الأوراق، أو واحدة منها من يدي الخطيب، أو ذهبت بها الريح، و ألقته في مكانٍ بعيدٍ؟ كما حدث مع بعضهم؟



٢- ماذا لو عجزَ الخطيبُ عن قراءة بعض الكلمات، أو قرأها بشكلٍ غير صحيحٍ؟ وهذا يحدث مع أكثر الذين يقرؤون من الأوراق.



يروى أحدهم قصةً طريفةً عن خطيبٍ رقيٍّ كان يخطبُ من ورقةٍ، وكان ممّا قاله (البلاطم، والزناعم، واحدٌ وخمسون، واحدٌ وخمسون)!

وقد أثارت هذه الجملُ استغرابَ الناسِ، ولمّا سألوه بعد انتهاء الخُبة عادَ إلى ورقته فإذا فيها (البلاء طم، والزنا عم، آه، آه)

٣- ماذا لو اختلّطت الأوراقُ أو تجاوزَ المتكلّمُ أحدها؟

يقولُ أحدهم: حضرتُ خُبةَ الجمعةِ عندَ خطيبٍ رقيٍّ، فإذا به بدلاً من أن يقلبَ ورقةَ قلبَ ورقتين، وأكملَ خُبتَه والناسُ – من كان صاحياً منهم – في استغرابٍ وتعجبٍ وكأنهم قد شعروا أن في الخُبة خللاً.



٤- وهذا المحذورُ مهمٌّ جداً، وهو أن نظَرَ الخطيبِ سيظلُّ مشدوداً نحوَ الورقة، ولا يكادُ ينظرُ نحوَ جمهوره الذي سيتوقّفُ بدوره عن النظرِ إلى خطيبه، وبهذا ينقطعُ التّواصلُ بينَ الخطيبِ والجمهورِ، وهل الإلقاءُ شيءٌ غيرُ التّواصلِ؟

٥- وهذا المحذورُ أخطرُ من سابقه، وهو أن الخطيبَ -خطيبَ المنابرِ

والمحافلِ- الذي اعتادَ الخُبةَ من ورقةٍ، سيعجزُ تماماً عن التّكلّمِ من غيرِ ورقةٍ، ولا سيّما في المحافلِ التي قد يُفاجأُ فيها بدعوتِهِ إليها.

درس قاس من حداد:

كان عندي صديقٌ طيبٌ، وكان يعملُ حدّاداً، وكان ممّن يُتابعُ الدُّروسَ الشرعيّةَ، ويحضرُ الدُّوراتِ الشرعيّةَ البسيطةَ، وذاتَ يومٍ أخبرني أنّه عُرضَ عليه أن يصيرَ خطيباً؟ فظننتُ أنّه يُمازِحني، ولكنّه لم يكنْ كذلك بل تابع قائلاً: وما الخطابةُ؟ إنّها أن تكتبَ مجموعةً من الآياتِ والأحاديثِ على ورقةٍ ثمّ تقرأها من على المنبر!

٥- تقوية الذاكرة

اعتراض مرفوض:

يقول الكثير من الخطباء الورقيين: إننا نلجأ إلى إلقاء خطبنا وكلماتنا من الأوراق خشية النسيان، وأول ناس أول الناس!

ولأن يُقالَ عنّا إنّنا ورقيون أهونُ عندنا من أن نخطبَ فننسى جزءاً أو أجزاءً من الخطبة.

ولأن يُقالَ عنّا إنّنا ورقيون أهونُ عندنا من أن نقطعَ عن الكلام، فنُخرجَ كلَّ الحرجِ أمامَ جمهورنا.

ولهؤلاء الورقيين أقول: بدلاً من أن تتذرعوا بضعف ذاكرتكم اعملوا بجِدِّ على تقوية ذاكرتكم، وتذكروا قول الشاعر:

ولم أرَ في عيوبِ الناسِ عيباً كنقصِ القادرينَ على التمامِ

وصفةٌ مُجربةٌ لتقوية الذاكرة:

إنَّ للتذكُّرِ قوانينَ بسيطةً وهي ثلاثة فقط:

التكرارُ

ترابطُ
الأفكارِ

الانطباعُ

١- الانطباعُ:

يقول أحدهم: أقيتُ ذاتَ مرّةٍ خطبةً عن الإدمانِ وخطورته، وأثره على المُدمِنِ وأسرتهِ ومُجتمعه، مُعَوِّلاً على قراءتي في المَصادرِ والمراجِعِ الطبيّةِ مُعتمداً على أوراقٍ أثبتتُ عليها ما أريدُ قوله، فكانتِ خطبةً بائسةً رَغَمَ أهميّةِ الموضوعِ.



ثمّ - وبعد حينٍ - أردتُ أن أخطبَ عن ذاتِ الموضوعِ للمرةِ الثانيةِ، وقد سَنَحَت لي فُرصةٌ أن أزورَ المِصْحَةَ الَّتِي يُعالجُ فيها المُدمنونَ من الخُمورِ والمُخدِّراتِ فرأيتُهم، ورأيتُ مُعاناتهم، ورأيتُ معاناةَ أُسْرِهِم، وجالستُهم، واستمعتُ إلى قِصصِهِم، ثمّ علوتُ مِنبري - بعدَ أن رتبتُ أفكارِي - وخطبتُ من غيرِ حاجةٍ إلى الورقةِ، وكانت خُطبةً رائعةً استحسنتُها جميعُ الحاضرينَ، ولكنْ لماذا؟ والخطيبُ واحدٌ والخُطبةُ واحدةٌ؟



إنَّ السِّرَّ في الانطباعِ، فالانطباعُ الَّذِي تتركُه المُشاهدةُ والمُجالسةُ ينطبعُ في الذاكرةِ، وقلّما يُنسى، وليسَ لما تقرأه مثلُ هذا الانطباعِ.

وتخيّلْ معي خَطيبياً أرادَ أن يخطبَ عن غزوةٍ أُحدٍ مثلاً، فذهبَ إلى أرضِ المَعركةِ وقرأَ أحداثها هُنَاكَ، وتخيّلها تحدثُ أمامه، هل يحتاجُ إلى أوراقٍ وهو يخطبُ؟ وهل سيكونُ أثرُه كَأَثَرِ مَنْ قرأها من المَصادرِ والمَراجِعِ فقط؟!!



يقولُ صاحبُ كتابٍ " فنّ الخطابة " : إنَّ الشَّيْءَ المثاليَّ ليسَ في أن تَرى وتسمعَ الشَّيْءَ الَّذِي تَرجِبُ في تَذكُّره، لكنْ أيضاً في لمسِهِ وتذوِّقِهِ، ولكنْ وقبلَ كلِّ شيءٍ شاهِدُهُ، فإننا نميلُ إلى المُشاهدةِ وتلتصِقُ بأذهاننا الانطباعاتُ العينيَّةُ، وغالباً ما نستطيعُ أن نتذكَّرَ وجهَ الرَّجُلِ، مع أننا لا نستطيعُ أن نتذكَّرَ اسمَه.

فالأعصابُ الَّتِي تُؤدِّي من العينِ ثمَّ إلى الدِّماغِ هي أضخَمُ ب ٢٥ ضعفاً من تلكَ الَّتِي تُؤدِّي من الأذنِ إلى الدِّماغِ.

أقولُ: وقديماً قالتِ العَرَبُ:

يا ابنَ الكِرامِ ألا تدنو فتُبصرَ ما قد حدَّثوكَ فما راءٍ كَمَن سَمِعَا

وممَّا حدثَ معي أَنِّي كُنْتُ كثيراً ما أخطبُ عن الحجِّ والعُمرةِ والزِّيارةِ للحبيبِ المُصطفى وصاحبِيهِ العَظيمينَ "أبي بكرٍ وعُمَر" ولكنْ بعدَ أن زُرتُ مَكَّةَ فطُفْتُ بكعبتها، وصَلَّيْتُ عندَ مقامِها، وسَعَيْتُ بينَ الصِّفا والمَروَةِ ... وزُرتُ الحَبيبَ والصَّاحبينَ والبقيعَ، صارَ لخطبي نكهةٌ أُخرى فهل راءٍ - برَبِّكَ - كَمَن سَمِعَا؟



٢- ترابط الأفكار:



إنَّ ترابطَ الأفكارِ هوَ عمليةٌ ترتيبِ فقراتِ الخُطبةِ أو الكَلِمةِ ترتيباً منطقيّاً، بحيثُ تدلُّ كلُّ فِقرةٍ على ما بعدها، فمن أينَ قد يأتي النّسيانُ للخطيبِ أو المُتكلِّمِ؟ وإن حدثَ هذا فلنَ يطولَ أبداً.



يقولُ الشَّيْخُ الغزاليُّ في مقدِّمةِ خُطبتهِ " من عناصر الخُطبةِ النّاجحةِ أن يُسلمَ أحدها إلى الآخرِ في تسلسلٍ منطقيٍّ مقبولٍ، كما تُسلمُ درجةُ السُّلمِ إلى ما بعدها دونَ عناءٍ".

ويقولُ خبيرٌ عالميٌّ في الخطابةِ: يجبُ أن تنتظِمَ الخُطبةُ في تسلسلٍ منطقيٍّ، بحيثُ تُؤدِّي النُّقطةُ الأولى إلى النُّقطةِ الثّانيةِ، والثّانيةُ إلى الثّالثةِ وهكذا بشكلٍ طبيعيٍّ مثلما يُؤدِّي بابُ العُرفةِ الأولى إلى الثّانيةِ.

٣- التكرار:

معنى التَّكرارِ معروفٌ، وهذه تجربةٌ تُرشدُ إلى الطَّريقةِ الأمثلِ للحفظِ. أعطى أحدُ علماءِ النِّفسِ طُلابه لائحةً من الكَلِماتِ الَّتِي لا معنى لها ليحفظوها مثل: ديوكس، كولي ...

فوجدَ أن هؤلاء الطُّلابَ يحفظونَ تلكَ الكَلِماتِ بعدَ إعادتها ٣٨ مرَّةً، وعلى مدى ثلاثةِ أيَّامٍ مثلما استطاعوا حفظها بعدَ إعادتها ٦٨ مرَّةً في جلسةٍ واحدةٍ!



قالَ صاحبُ فنِّ الخُطابةِ: إنَّ هذا اكتشافٌ مهمٌّ جداً بشأنِ عملِ ذاكرتنا، فهو يعني أن الإنسانَ الَّذِي يجلسُ ويُكرِّرُ مراراً حتَّى يُسيطرَ على ذاكرتهِ، فإنَّه يستخدمُ ضِعفَ الوقتِ والطَّاقةِ الضَّروريَّتينِ لتحقيقِ النَّتائجِ ذاتها عندما تجري عمليةُ التَّكرارِ في فتراتٍ مُنفصلةٍ.

ويتابع قائلاً: ومن المؤكّد الآن إزاء هذه الحقائق، أنّه ما من رجلٍ يتباهى
بذكائه يُؤخرُ تحضيرَ خطابه إلى ما قبلِ إلقائه بليلاً واحدةً، فإن فعلَ ذلكَ فإنَّ
ذاكرته - بسببِ الضّرورة - ستقومُ بالعملِ ضمنَ نصفِ مقدّرتها المُمكّنة!
وتأمّل معي قولَ الشّاعر:

اطلبْ ولا تضجّر من مطبٍ فأفأة الطالب أن يضجراً
أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

كيف نتذكّر التواريخ:

يُعاني الكثير من الخطباء - وأنا منهم - من صعوبة حفظ التواريخ، فإذا
ما اضطررنا أن يُحدّد في خطابه تاريخاً مُحدّداً لمناسبة ما كفتح مكة، أو تحرير
الأقصى زمن صلاح الدّين، أو ضياع الأندلس، أو احتلال الأقصى ... أو
... أو ... فإنّه يجدُ صعوبةً بالغةً في ذلك، ولسان حاله يقول: فهل إلى حفظ
تاريخ الأحداث المهمّة في سبيل؟



يُجيبنا عن ذلك صاحبُ " فنّ الخطابة " فيقول " إنّ أفضلَ طريقةٍ
لحفظِ التواريخ هو ربطها بتاريخ مهمّة سبق أن ثبتت في الذّهن " .

ومعنى كلامه أنّ في ذاكرة كلّ واحدٍ منها مجموعة من الأرقام
مثل تاريخ ميلاده وزواجه - وقلّ من يتذكّره من الرّجال - وبعض
المُناسبات فيستطيع أن يستفيد من تلك الأرقام، وهذه طريقة ذكيّة لحفظ
التواريخ.

٦- كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ

احمرّت عيناه وعلّا صوته:

• روى مُسَلَّمٌ في صحيحه عن جابرٍ (٨٦٧) أنّه قال:

" كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا خطبَ

احمرّت عيناه وعلّا صوته واشتدّ غضبه

حتى كأنه مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبِّحْكُمْ وَمَسَاءَكُمْ ... الحديث

قال النَّوَوِيُّ (١٥٥ / ٦) يُسْتَدَلُّ به على أنّه يُسْتَحَبُّ للخطيبِ أن يُفَخِّمَ أمرَ الخُطْبَةِ، ويرفعَ صوته، ويجزَلَ كلامه، ويكونَ مُطابِقاً للفصلِ الذي يتكلَّمُ فيه من ترغيبٍ أو ترهيبٍ.

ولعلَّ اشتدادَ غضبه كان عندَ إنذاره أمراً عظيماً وتحديدَه خُطْباً جَسِيماً.

وقال غيره: إنّ هذه الصِّفَاتِ الثَّلَاثَةَ مجموعةٌ تدلُّ على الحماسِ وعلى الانفعالِ مع موضوع الخُطْبَةِ، وبدونها يقلُّ الحماسُ ويقلُّ الانفعالُ، وكما قيل: كُلُّمَا كان الخُطيبُ مُتفاعِلاً مع موضوعه كان ذلك أدعى لانتباه السَّامِعِ فيتفاعلُ معه.

لا هذا ولا ذاك:

حضرتُ ذاتَ مرّةٍ - ولم أعدها - خُطبةَ الجمعةِ عندَ عالمٍ سارتَ بذكره الرُّكبانُ، وذاغَ صيئته في كلّ مكانٍ، وكانَ الموضوعُ الذي طرّحه من على منبره حديثَ السَّاعَةِ، وقد عالجه مُعالِجَةً رائِعةً، ولكنّي وأنا أستمعُ إلى خُطْبَتِهِ خُيِّلَ إليّ أنّي في مُحاضرةٍ جامعيّةٍ لا في مسجدٍ جامعٍ!

فقد كانَ صوته - رحمه الله وغفر له - يسيرٌ من أوّلِ خُطْبَتِهِ وحتى آخرها هادئاً رَقراقاً سيرَ الأنهارِ في جداولها، ولم يكنْ يُزْمَجِرُ زمجرةَ الأعاصيرِ عندَ اشتدادها.

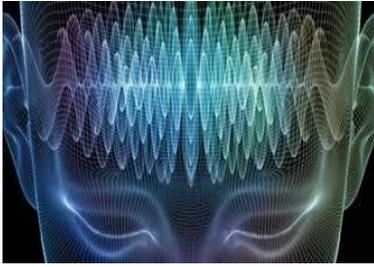




وكان عندي صديقٌ من خُطباءِ القرى وكان إذا صعدَ المنبرَ خيّلَ إليك أنه مُصارعٌ صعدَ الحلبةَ لا خطيبٌ صعدَ المنبرَ، ويظنُّ على ذلك حتى آخرِ خطبته، ولا ينتهي منها إلا قد أصابنا الصُداغُ ودُوارُ المنابرِ.

بين ذلك:

إنَّ جَهارةَ الصَّوتِ ممَّا يُميِّزُ الخطيبَ عن سائرِ الدُّعاةِ الآخرين من المُدرِّسينَ والمُحاضرينَ...



على أنَّ جَهارةَ الصَّوتِ لا تعني أن يرفعَ صوته من أوّلِ خطبته حتى آخرها فيتعبُ حنجرتَه ويثقبُ آذاننا، بل معناه أن يرفعَ صوته عندما يقتضي الأمرُ ذلك ثمَّ يخفضه وهكذا.

ومنَ المَعْلومِ أنَّ الخطبةَ الهادئةَ تدعو لنومِ الإنسانِ، والخطبةُ الصَّاخبةُ تكادُ تثقبُ الأذنانَ، وخيرُ الأمورِ أوسطُها.

خُطباءٌ وخُطباءُ:

منَ المَلاحَظِ أنَّ كَثيراً من خُطباءِ القرى ما يَزَالونَ على جَهارةِ الصَّوتِ مع إتقانِ ذلك، أو مع غيرِ إتقانِهِ في حينِ أنَّ الكثيرَ من خُطباءِ المُدنِ باتَ صوتُهُم هادئاً جداً، وقلَّما يرفعُ أحدهمُ صوته من فوقِ منبرِهِ أو في مَحْفَلِهِ، ولو فعلَ لصارَ الأمرُ مُستَغرباً، وهذا من الغرائب!

٧-كُن وَاضِحاً

لِمَاذَا نَتَكَلَّمُ؟

إِنَّ الْخِطَابَ أَيَّ خِطَابٍ كَانَ - عِلْمَ الْخَطِيبِ أَوْ الْمُتَكَلِّمِ ذَاكَ أَمْ لَمْ يَعْلَمْ - لَا بُدَّ أَنْ يُحَقِّقَ ثَلَاثَةَ أَهْدَافٍ وَإِلَّا كَانَ مُجَرَّدَ ثَرْتِرَةٍ وَمَضِيعَةٍ لِلْوَقْتِ وَهَذِهِ الْأَهْدَافُ هِيَ:



- ١- إِيضَاحُ شَيْءٍ مَا.
- ٢- وَالْإِقْنَاعُ وَالتَّأْتِيرُ بِذَلِكَ الشَّيْءِ.
- ٣- وَالْحَثُّ عَلَى التَّحْرُكِ.

فَإِذَا مَا خَطَبَ خَطِيبٌ أَوْ تَكَلَّمَ مُتَكَلِّمٌ عَنِ الرَّبِّ مِثْلًا، فَلَا بُدَّ مِنْ تَحْقِيقِ ثَلَاثَةِ أَهْدَافٍ مُجْتَمِعَةً وَهِيَ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا
أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾



- ١- تَوْضِيحُ مَعْنَى الرَّبِّ لِجُمْهُورِهِ بِشَكْلِ لَا أَلْبَسَ فِيهِ.
- ٢- إِقْنَاعُ الْجُمْهُورِ بِخَطُورَةِ الرَّبِّ، وَحُرْمَتِهِ حَتَّى تَنْفِرَ نَفُوسُهُمْ مِنْهُ.
- ٣- حَثُّ النَّاسِ عَلَى تَرْكِهِ، وَالْبَحْثُ عَنْ بَدَائِلَ شَرَعِيَّةٍ لِحِفْظِ الْمَالِ وَاسْتِثْمَارِهِ.

فَإِذَا كَانَ كَلَامُهُ غَامِضًا، أَوْ خَلَا مِنَ الْإِقْنَاعِ، وَعَرِيَ عَنِ التَّأْتِيرِ، أَوْ لَمْ يَدْعُ مِنْ خِلَالِهِ لِفِعْلِ شَيْءٍ فَأَيُّ قِيَمَةٍ لِكَلَامِهِ حِينَهَا؟

وَهَذَا سِرٌّ يُضَافُ إِلَى أَسْرَارِ إِخْفَاقِ الْغَالِبِيَّةِ الْعُظْمَى فِي خُطْبَائِنَا وَ مُتَكَلِّمِينَا فِي عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ!

ليكن خطابك واضحاً!

يقول أحد المُدَرِّبِينَ العَالَمِيِّينَ للخطابة: وبالنسبة للإيضاح فيآك أن تستخفَّ بأهميته.

استمعتُ - يقولُ - مرّةً إلى شاعرٍ أثناءِ أمسيّةٍ قرأ خلالها عدّةَ قصائدٍ فلم يفهمَ ما قاله من الحاضرينَ سوى (١٪)، وهناك الكثيرونَ من الخطباءِ هم مثله.



ويتابع قائلاً: ولأهميّة الوُضوح في الخطابِ والكلامِ كانَ أحدُ القادةِ العسكريّينَ يقولُ لجنوده " تذكّروا أيُّها السادةُ أنّ أيّ أمرٍ لا يفهمُ، فإنّه لن يُحقّقَ جيداً "

وكانَ نابليون - وقد أدركَ خطرَ الغموضِ - يقولُ لمعاونيه:
" كونوا واضحين، كونوا واضحين "

ومن طريفٍ ما قرأتُ أنّ بعضَ المُبشِّرِينَ بالنَّصرانيّةِ في إفريقيا - ودعوةَ عيسى لم تكن يوماً دعوةً عالميّةً - غيّرَ نصَّ الإنجيلِ بُغيةَ الإيضاحِ وذلكَ أنّه غيّرَ كلمةَ " الثلج " من عبارةٍ " ومع أنّ خطاياك تكونُ قُرْمُزِيّةً فإنّها ستصبحُ بيضاءً كالثلج " غيّرَها إلى عبارةٍ " لبّ جوز الهند " لأنّ الأفارقةَ لا يعرفونَ ما هو الثلج، فانظرُ كيفَ تنبّهَ هذا الدّجالُ إلى أهميّةِ الوُضوحِ حتّى وصلَ به الأمرُ إلى تحريفِ الإنجيلِ المُحرّفِ أصلاً!



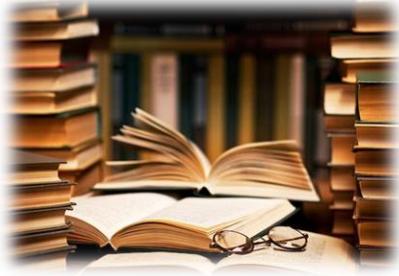
منابعُ الغموضِ:

وبعدَ استقراءٍ وتتبُّعٍ وجدتُ أنّ الغموضَ يرجعُ إلى واحدٍ من أربعةِ أسبابٍ وهي:

- ١- عدمُ وضوحِ الموضوعِ في ذهنِ الخطيبِ أو المُتكلِّمِ أصلاً.
- ٢- استخدامُ بعضِ المُفرداتِ الغامضةِ.
- ٣- استخدامُ التّعابيرِ التّقنيّةِ والمُصطلحاتِ العلميّةِ.
- ٤- سوءُ ترتيبِ الأفكارِ.

فاقد الشيء لا يعطيه:

لبعض المُبتدئين مسالكٌ غريبةٌ حيثُ يلجأ بعضهم إلى طرح مواضيعٍ من على منبره من تلك التي يطرَحُها كبارُ الخطباءِ المُتمكِنين من ناصيةِ العِلْمِ والكلامِ، فكيف سيكونُ خطابُه؟!



إنَّ الخطباءَ الكبارَ أخرجوا لجمهورهم بعضَ ما لديهم، بل عَصارةَ ما لديهم، وهذه العَصارةُ جاءتُ من قراءاتٍ ومُطالعاتٍ ومُحاوراتٍ في هذا الموضوعِ، فهل للمُبتدئِ تلكَ القِراءاتِ والمُطالعاتِ والمُحاوراتِ؟

وتخيّلْ معي مُبتدئاً يريدُ أن يحاربَ العِلْمانيَّةَ أو يُطِرقَ بعضَ المسائلِ السياسيَّةِ فكيف سيكونُ حالُه؟

لا تستخدم ألفاظاً أو عباراتٍ غامضةً:

يظنُّ بعضُ الخطباءِ أنَّه إذا ما شحَنَ حُطْبَتَه أو كَلِمَتَه بالألفاظِ الغامضةِ التي لا يعرفُ معناها إلاَّ أهلُ اللُغَةِ، أو بعضُ المُتَقَفِين ... يظنُّ أنَّ ذلكَ يدلُّ على قوَّتِه، وأنَّ ذلكَ ممَّا يُعَلِّي من شأنه، ويرفَعُ من مكانته، وهذا جهلٌ بلا ريبٍ، فالوضوحُ مطلبٌ لا يُمكنُ التنازُلُ عنه، أو التهاوُنُ فيه، وإلاَّ انقطعت الصِلَةُ والتواصلُ بينَ الخطيبِ وبينَ جمهوره!

وأذكرُ الخطيبَ والمُتكلِّمَ بما أسلفته من قبلُ أنَّه إذا ساقَ نصّاً من آيةٍ أو حديثٍ، وفيه كلماتٌ غامضةٌ على الجمهورِ، فعليه أن يفسرَها ولا يتكلَّ على فهمِ الناسِ لها فأكثرُ الناسِ لا يفهمون!

تجنّب التعبيراتِ التقنيَّةِ:

حضرتُ حُطْبَةَ الجمعةِ، وكان موضوعُها عن الرِّبَا فإذا بالخطيبِ العَبْقَرِيِّ يقولُ للنَّاسِ: إنَّ الرِّبَا نوعانِ: ربا الفضلِ و ربا النسيئةِ، ثمَّ مضى يُكْمَلُ موضوعه، فهل فهمَ النَّاسُ معنى ربا الفضلِ، و معنى ربا النسيئةِ؟

ولشدَّةِ جُبْنِه لم يستطِعْ أن يقولَ: إنَّ ما تفعلُه البُنوكُ من اقتراضِ مالِ النَّاسِ مقابلَ مبلغٍ ثابتٍ يُعطونه لهم، وإقراضِ النَّاسِ مقابلَ مبلغٍ ثابتٍ يأخذونه

منهم ،وَيُسْمَوْنَ زُوراً فائدة ... لم يستطع أن يقول إنه من الربا ،بل عين الربا الذي حرّمه الله في كلّ كتبه ،وبعث على ذلك كلُّ رسوله!

إننا في عصر المصطلحات وكثير منها غامضٌ أو يحمل عدّة معانٍ، أو يفهمه الناس على غير معناه العلميّ الصّحيح فإذا ساق الخطيبُ مُصطلحاً منها مثل (الديمقراطية، الثّوري، العلمانية، الإرهاب ...)



وجبّ عليه أن يفسّره بمعناه الصّحيح، ثمّ إذا ما اطمأنّ إلى أن جمهوره قد فهم مراده من هذا المصطلح ،أكمل خطبته وكلمته باطمئنان.

التكرار البارِع من طرق الإيضاح:

إنّ التكرار البارِع من أبرز وسائل الإيضاح، وكثيراً ما كان رسولنا ﷺ يلجأ إلى التكرار بُغية الإيضاح والتأكيد.

ولكي يكون تكرارك بارِعاً كرّر فكرتك ولكنّ بعباراتٍ جديدةٍ مُختلفةٍ إلى حدّ أن المُستمعين لن يعتبروها تكراراً أصلاً.



وهذا مثلاً من كتاب **فن الخطابة**: قال أحدهم " لن تستطيع أن تجعل الناس يفهمون موضوعاً إلا عندما تفهمه أنت، وكلّما اتّضح الموضوع في ذهنك، استطعت تقديمه بوضوح في أذهان الآخرين ".

لاحظ تجد أنّ آخر جملة هنا هي مُجرّد تكرارٍ للفكرة التي أتت في الجملة الأولى، ولكنّ عندما تذكر هاتين الجملتين فإنّه لن يُتاح للذهن أن يدرك أنّها مُجرّد تكرار، بل إنه يشعر أنّ الموضوع قد زاد وُضحاً.

اعط كل ذي حق حقه:

من يتابع بعض البرامج التلفزيونية الحوارية تلك التي يجمع فيها المذيع بين شخصين يتناقشان أو قل يتصارعان، فما الذي يحدث؟



يبدأ هذا بفكرة وقبل أن يُتمّها يقاطعه الآخر ويقطع عليه فكرته، ثم إن ذلك الآخر يطرح فكرة وقبل أن يُتمّها يحدث معه ما حدث مع خصمه وهكذا! فما الذي نحصله نحن المشاهدين من مثل هذه الحوارات سوى أفكار مبتورة وصداع في الرأس!

إن لبعض الخطباء مسلكاً كهذا المسلك حيث يبدأ بفكرة وقبل أن يُوفّيها حقها يُغادرها برشاقة إلى أخرى كأنما هو نحلة ينتقل من زهرة إلى أخرى لا خطيب ينتقل من فكرة إلى فكرة.

وفي تقديري: أن يخرج الجمهور بفكرة واحدة واضحة خيراً من أن يخرجوا بعدة أفكار خداج غير تامة.

وضرب أحدهم مثلاً لهذه الخطب فقال: إنه كالدليل الذي يُطلع السائح على باريس كلّها في يوم واحد!



٨- كُنْ مؤثراً

المهزمون لا يؤثرون:

إنَّ الكثرةَ الكاثرةَ من المسلمينَ اليومَ وفيهمَ عددٌ ليسَ بالقليلِ من الخطباءِ والعلماءِ والدعاةِ ... مهزمونَ فكرياً أمامَ أمرين:



١- أمامَ حضارةِ الغربِ من جهةٍ

٢- وأمامَ الواقعِ المُزري الذي وصلَ إليه حالُ الأمةِ المسلمةِ من تشرُّدِها، وتسلُّطِ بعضها على بعضٍ، وتسلُّطِ أعدائها عليها، وتوليِّ أراذلها إدارةَ شؤونها ... من جهةٍ أُخرى.



وبثقةٍ أقولُ: إنَّ أمثالَ هؤلاءِ عندما يقفونَ على منابرهم أو في محافلهم وهم على ما هم عليه كيف سيقتنعونَ عقولَ جماهيرهم؟ وكيف سيؤثرونَ بها؟

إنَّ شيئاً من هذا أو ذلكَ لَن يحدثَ، فعلى هؤلاءِ أن يستعيدوا ثقتهم بالإسلامِ العظيمِ أولاً ثمَّ يُقدِّموا للجُمهورِ بعدَ ذلكَ، وهذا هو سيرُ الحماسةِ التي تجعلُ الكلامَ يخرجُ من القلبِ ومن الرُّوحِ، ليقعَ في القلوبِ وتتلقَّها الأرواحُ.

وإنَّما بدأتُ بهذه النُّقطةِ لأهمِّيَّتها القصوى، وفي تقديري إنَّ الحماسةَ تكادُ تكونُ كافيةً لنجاحِ الخطابِ، إذا ما أُعطيَ حقُّه من الإعدادِ والتَّحضيرِ، ولكنَّ مع ذلكَ سنذكرُ بعضَ الملاحظاتِ المهمَّةِ في ميدانِ الإلقاءِ المؤثِّرِ.

لا تُقلِّد غيرك:



لبعض الخطباء من المبتدئين ولع في تقليد الخطباء النابهين، وهذا أكبر خطأ قد يقع فيه الخطيب أو المتكلم فأسلوب الإنسان في الكلام هو بالأساس جزء من شخصيته تماماً مثلما الحال بالنسبة للحية ورأسه الأصلع مثلاً.

ويكفي أن تعلم أيها الخطيب أن التقليد يقتل الإبداع فلا تقتل نفسك.

لا تتكلف:

ومما يقع فيه بعض الخطباء آفة التكلف والتصنع بالكلام والحركات..



يقول أحد المدربين: إن مشكلة تعليم أو تدريب الناس على الإلقاء ليست من المسائل الصعبة، بل إنها مسألة إزالة العوائق وتحريرها، واستدراجهم للتحدث بشكل طبيعي، مثلما يفعلون إذا ما صارَ عنهم أحد.

يقول: أوقفتُ الخطباءَ مئات المرات في مُنتصفِ خطابهم، ورجوئهم أن يتكلموا كبشر، ومئات الليالي عُدتُ إلى المنزل وقد أصبتُ بارهاقٍ ذهنيٍّ وعصبيٍّ من جرّاءِ محاولتي توجيه وإجبار الناس على التحدّث بشكلٍ طبيعيٍّ.

صدّقني إن الأمر ليس سهلاً كما يبدو لك، والطريقة الوحيدة لاكتساب هذه الطبيعة هي التدريب، وفيما أنت تتدرّب إذا وجدت نفسك تتحدّث بأسلوبٍ متكلفٍ، توقّف وقلّ بحدّة لنفسك " ما الأمر؟ انتبه! كُن إنسانياً ...

مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى التَّلْقَائِيَّةِ:



أثبتت التجربة أَنَّ الإخلاصَ والحماسَ والصدقَ ممَّا يُسَاعِدُ عَلَى التَّلْقَائِيَّةِ.

فالإنسانُ عندما يكونُ تحتَ تأثيرِ مشاعره فإنَّ ذاته الحقيقيةَ تبرُّزُ، وتُزالُ أمامها جميعُ العقباتِ إذ أنَّ حرارةَ عواطفه تحرقُ كلَّ الحواجزِ، فيتصرفُ تلقائياً ويتحدَّثُ بتلقائيةٍ فيكونُ طبيعياً.

لا تتكلمُ على طبقةٍ واحدةٍ:

يرتكبُ الكثيرُ من الخطباءِ خطأً جسيماً عندما تجري خُطبُهم على نسقٍ واحدٍ من حيثُ طبقةُ الصوتِ، فهذا هادئٌ يكادُ النَّاسُ ينامونَ وهو يحدثهم من على منبره أو في محفله، وذلك ما يفتأُ يصيحُ حتَّى تكادُ الأذانُ تُصابُ بالصَّممِ، فعلى الخطيبِ أن يُغيِّرَ طبقةَ صوتهِ وأن يجعلها مُتناسبةً تماماً مع المعنى، فيعلو صوتهُ ويشدُّ عندما يقتضي المقامُ العلوَّ والشِدَّةَ، ثمَّ يرقُّ ويلينُّ عندما يقتضي المقامُ ذلك
فعبارةٌ مثلُ:

يا أيُّها الشبابُ غُضُّوا أبصاركم

هل يحسنُ أن تُودَى بشكْلِ رقيقٍ رقيقٍ؟

وعبارةٌ مثلُ:

كُن مُتواضعاً مع عبادِ الله

هل يحسنُ أن تُودَى بصوتٍ مُرتفعٍ؟

شِدِّدْ عَلَى الْكَلِمَاتِ الْمُهَمَّةِ:



عندما يحضرُ النَّاسُ حَفْلاً أو مُنَاسِبَةً فَإِنَّ لِلرِّجَالِ الْمُهَمِّينَ أَمَاكِنَهُم المُتَمَيِّزَةَ ،والتي تختلفُ عن أَمَاكِنِ سَائِرِ الحُضُورِ، وكذلك الْكَلِمَاتُ فما كان منها مُهِمًّا فَشَدِّدْ عليه، وما لَيْسَ كذلكَ فلا تُعَامِلْهُ كما عَامَلْتَ المُهَمَّ من الْكَلِمَاتِ، والتَّكْرَارُ للكَلِمَةِ أو الجُمْلَةِ يَدْخُلُ في هذا البابِ ولطالما استعملَ سيِّدُ الخُطْبَاءِ هذه الطَّرِيقَةَ.

وْخُلَاصَةُ القَوْلِ: أنزلوا الْكَلِمَاتِ مَنَازِلَهَا كما تُنزلون النَّاسَ مَنَازِلَهُم.

غَيْرِ مُعَدَّلِ سُرْعَةِ صَوْتِكَ:

إِنَّ الخَطِيبَ كَرَآكِبِ السَّيَّارَةِ وَمَقْوَدُهَا في يَدِهِ ،يُسْرِعُ تَارَةً وَيُبْطِئُ تَارَةً أُخْرَى.



يقولُ أحدُ المُدْرِيبِينَ: عندما نَكَلِّمُ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ أو عندما نتحدَّثُ خِلالَ مُحَادَثَةٍ عَادِيَّةٍ فَإِنَّا نُغَيِّرُ عَادَةً مُعَدَّلَ سُرْعَةِ كَلَامِنَا لِأَنَّ ذلكَ يبعثُ على السُّرُورِ وهو أمرٌ طَبِيعِيٌّ يحدثُ من دونِ وعيٍ، وهو في الحَقِيقَةِ من أَفْضَلِ الوَسَائِلِ لإيضاحِ الفِكرَةِ.

وكانَ أحدُ الخُطْبَاءِ المَشْهُورِينَ يقولُ عِدَّةَ كَلِمَاتٍ بِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ، وعندما يَصِلُ إلى الكَلِمَةِ أو الجُمْلَةِ الَّتِي يَرِغِبُ في التَّشْديدِ عليها يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِبَطْءٍ ثم يندفعُ إلى آخِرِ جُمْلَتِهِ كالْبَرْقِ ،فكانَ بهذا يُكْرِسُ وَقْتًا لكَلِمَةٍ أو كَلِمَتَيْنِ يَرِغِبُ في التَّأْكِيدِ عليهما أَكْثَرَ ممَّا يُكْرِسُهُ لِسِتَّةِ كَلِمَاتٍ تكونُ أَقْلَ أَهْمِيَّةٍ منها.

توقّف قبل وبعد الأفكار المهمّة:



عندما يذهب الإنسان في نزهة ما فإنه يتوقّف بين الحين والحين، ولكن أين؟ عند الأماكن التي تستحق أن يتوقّف عندها، وكذلك الكلام.

كان أحد الخطباء المشهورين يتوقّف أثناء إلقاء خطبته، فعندما يمرُّ بفكرة عظيمة يرغب في ترسيخها بأذهان مستمعيه فإنه يتوقّف ثمّ ينحني إلى الأمام ويحدّق بعيون جمهوره بشكلٍ مباشرٍ للحظة، من دون أن يقول شيئاً، ثمّ يقول ما يريد أن يقوله ثمّ يتوقّف مجدداً.
إنّ هذا الصمت قبل وبعد الجمل المهمّة له نتيجة الضجّة.

يقول أحدهم: من خلال صمتك تتكلّم ... وهذا الصمت بهذه الطريقة أداة قويّة ومهمّة لا ينبغي إغفالها، ومع ذلك فهي مهملة دائماً من قبل الخطيب المبتدئ.

استفد من علم البلاغة:

عرّف علم البلاغة بأنه القدرة على الإقناع والتأثير في الآخرين من خلال سحر الكلمات، وذلك:
إما باستخدام الصور البيانيّة.
وإما بمطابقة الكلام لما يقتضيه الحال.
وإما بتزيين الكلام بالمزيّنات اللفظية تارةً، والمعنوية تارةً أخرى، وقد تحدّثنا عن علم البلاغة فيما مضى.

• روى البخاري عن ابن عمر (٥٧٦٧) أنّه قال:

قَدِمَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا.

قال ابن حجر: والبيان هنا: تحسين اللفظ حتى يستميل قلوب السامعين، وهذا هو الذي يُشبه السحر، لأنّ السحر صرف الشيء عن حقيقته.



٩- العبارة والإشارة

لغة الجسد!



إنَّ التَّوَاصُلَ بَيْنَ الْخَطِيبِ وَجُمْهُورِهِ لَا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ التَّوَاصُلِ اللَّغْوِيِّ مِنْ حَيْثُ الْفَصَاحَةُ الَّتِي تَعْنِي التَّعْبِيرَ بوضوحٍ، وَمِنْ حَيْثُ الْبَلَاغَةُ الَّتِي تَعْنِي التَّأثيرَ عَلَى السَّامِعِينَ، بَلْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنَ التَّوَاصُلِ، لَا يَقُلُّ أَهْمِيَّةً بَلْ يَزِيدُ عَنِ التَّوَاصُلِ اللَّغْوِيِّ، إِنَّهُ التَّوَاصُلُ عَن طَرِيقِ لُغَةِ الْجَسَدِ.

دراسة ذات شأن:

في دراسة قام بها علماء النفس توصلوا من خلالها إلى أن:

١- (٧٪) فقط من التأثير تتولد من خلال التواصل بالكلمات.

٢- و(٣٨٪) تتولد من خلال نبرة الصوت.

٣- و(٥٥٪) تتولد من خلال لغة الجسد!

وأثبتت الدراسة أنفة الذكر أنه إذا اختلفت الكلمات مع لغة الجسد، فإنَّ المُسْتَمِعَ يَمِيلُ إِلَى تَصْدِيقِ لُغَةِ الْجَسَدِ.

ما هي لغة الجسد؟



إنَّهَا تَلْكَ الْحَرَكَاتُ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى تَوَاصُلٍ أَفْضَلَ مَعَ جُمْهُورِهِ، وَمِنْ أَهْمِهَا وَأَبْرَزِهَا حَرَكَاتُ الْيَدِ (الإشارات)، ونظرات العيون.

العبارات والإشارات:

حضرت يوماً خطبةً خطيبٍ خيلَ لي أنه تمثالٌ قدَّ من حجرٍ، لا خطيبٌ من بني البشر، فقد تجمَّدَ في مكانه من أوَّلِ الخطبةِ حتَّى آخرها.

ثمَّ حضرتُ خطبةً خطيبٍ آخرَ - و كنتُ يومها في مصرَ - فلمَ أكذُ أفهمُ من كلامه شيئاً لانشغالِ فكري بتتبُّعِ حركاته وإشاراته والتفانيته وما كان أكثرها!

وفي تقديري أنَّ كلاً من الخطيبين مُجانبٌ للصوابِ، فالإشارةُ في الخطبةِ لها أصولها لكي تكونَ مُتعاونةً ومُتناغمةً مع الكلماتِ وإيَّها:

١- أن تكونَ الإشارةُ باليدِ مُناسبةً ومُلائمةً للعبارةِ بالقَم، حتَّى تتحقَّقَ مُؤازرتها لها في الإيضاحِ والتبيينِ.

• روى البخاريُّ عن ابنِ عباسٍ (٨١٢) أنه قال:

قالَ النبيُّ ﷺ: "أمرتُ أن أسجدَ على سبعةِ أعظمٍ على الجبهةِ وأُشارَ بيدهِ على أنفهِ ... الحديثِ."

• روى البخاريُّ عن أبي مسعودٍ (٤٣٨٧) أن النبيَّ ﷺ قال:

"الإيمانُ ههنا وأشارَ بيدهِ إلى قلبه ... الحديثِ."

• روى البخاريُّ عن سهلٍ (٥٣٠٤) أنه قال:

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنةِ كهاتينِ" وأشارَ بالسَّبابةِ والوسطى، وفرَّجَ بينهما شيئاً.

• روى البخاريُّ عن أبي موسى (٤٨١) عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

"إنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كالبُنَيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضاً، وشبَّكَ أصابعه."

فإذا لم تُوافق الإشارة العبارة، أو كانت مخالفةً لها أوقعت الجمهور في سوء الفهم، كأن يقول الخطيب مثلاً: وكان فلان رجلاً طويلاً ويُشير بيده نحو الأسفل، أو بالعكس.

٢- أن تكون الإشارة مقارنةً للعبارة لا سابقةً عليها، ولا لاحقةً بها، وذلك من أجل تحقيق التزامن بين ما ينطق به اللسان وما تنطق به اليدين.

٣- ألا تكون الإشارة مُبالغاً فيها، ومن باب أولى ألا تكون عشوائيةً لأنها ستتحول إلى حركاتٍ مُخرجةٍ للخطيب، وقد تجرُّ عليه سُخريةَ الجمهور واستهجانهم... فهذا خطيبٌ كادَ يُطيحُ بمُكبرِ الصوت، وذلك خطيبٌ ألقى كأسَ الماء الذي أمامه، فأسقطه فوق رؤوس الناس... وآخر أسقطَ عمامته حتى إنني سمعتُ عن خطيبٍ جعلَ يقفزُ فوق المنبر ويحطُّ ما وراءه!

حذار من هذا:

على الخطيب أن يحذر كلَّ الحذر من بعض الحركات الجسدية التي لا تخدم عبارته، ولا تواكبها، بل تدلُّ على توتره واضطرابه، ونلمحُ هذا على الخطباء المبتدئين، أو الذين يرتقون المنبر، أو يُقدِّمون للكلام و أذهانهم خاليةٌ تماماً ممَّا سيقولونه.

يقول المبرِّد في كامله (٣٠ / ١): ورُبَّما تشاغل العيُّ (العيُّ: خلافُ البيان) بقتل إصبعه، ومسِّ لحيته، وغير ذلك من بدنه، و رُبَّما تنحنح، وقد قال الشاعر يُعيبُ بعضَ الخطباء:

مليءٌ ببهرٍ والتفاتٍ وسَعلةٍ ومسحةٍ عُثونٍ وفتلِ أصابعٍ



لُغَةُ الْعِيُونِ:



شَرَّفَنِي أَحَدُ الْأَصْدِقَاءِ عِنْدَمَا طَلَبَ مِنِّي أَنْ
أَخْطُبَ بَدَلًا مِنْهُ فِي مَسْجِدِهِ، فَاْمْتَلَثْتُ لِرِغْبَتِهِ، وَلَمَّا
أَنْ قَعَدْتُ عَلَى الْمِنْبَرِ أَتْنَاءَ الْأَذَانِ الثَّانِي، جَعَلْتُ
أَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ الَّذِينَ أَمَامِي، وَمَنْ عَن يَمِينِي تَارَةً
و شِمَالِي، وَكَذَلِكَ فَعَلْتُ فِي أَتْنَاءِ خُطْبَتِي، وَهَذِهِ
عَادَتِي أَتْنَاءَ خُطَابَتِي عَلَى الْمَنَابِرِ وَفِي الْمَحَافِلِ.

وَلَمَّا أَنْ انْفَرَدَ بِي صَدِيقِي ذَاكَ، فَاجَأَنِي بِأَنَّهُ مَمَّا أَعْجَبَهُ فِي خُطْبَتِي أَنَّنِي
أَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ أَتْنَاءَهَا، وَلَقَدْ كَانَ إِعْجَابُهُ هُوَ الَّذِي أَثَارَ تَعْجُْبِي فَكَيْفَ يَكُونُ
خُطِيبًا مَنْ لَا يَنْظُرُ إِلَى جُمُهورِهِ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ؟

إِنْ نَظَرَ الْخُطِيبِ إِلَى جُمُهورِهِ، وَنَظَرَ هُمْ إِلَيْهِ أَتْنَاءَ إِلقَائِهِ الْخُطْبَةَ، أَوْ الْكَلِمَةَ
مَنْ أَهَمَّ جَسورِ التَّوَاصلِ بَيْنَهُمَا.

وَيَفْقَدُ التَّوَاصلَ كُلُّ خُطِيبٍ يَنْظُرُ فِي وَرَقَتِهِ، أَوْ فِي السَّقْفِ أَوْ ... دُونَ
النَّظَرِ إِلَى جُمُهورِهِ، وَيُوحِي لَهُمْ بِأَنَّهُ فَاقِدٌ لِلثِّقَةِ بِنَفْسِهِ أَيْضًا.

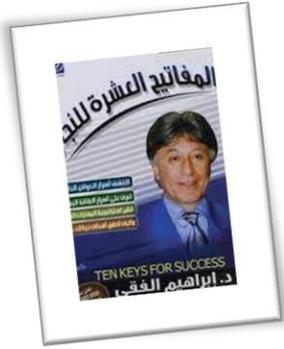
يَقُولُ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ: حَافِظٌ عَلَى الْإِتْصَالِ بِالْعَيْنِ مَعَ الْآخَرِينَ بِالْقَدْرِ الَّذِي
يَشْعُرُ الْجَمِيعَ بِالْإِرْتِيَاحِ، فَإِنَّ مَنْ يَنْظُرُونَ لِلْآخَرِينَ يَكْتَسِبُونَ مِصْدَاقِيَّةً أَكْثَرَ
مَنْ الَّذِينَ لَا يَنْظُرُونَ.

١٠- المرونة

مفاتيح النجاح العشرة:

طُلبَ إليّ ذاتَ مرّةٍ أن أُلقيَ مُحاضراتٍ أمامَ زملائي من المُدرّسينَ فاحترتُ في أمرِي، وقلتُ لِنفسي: أيّ موضوعٍ أختارُ لأُلقيهِ أمامَ زملائي من المُدرّسينَ؟

وبعدَ تفكيرٍ طويلٍ وقعَ اختياري على كتابٍ " مفاتيحُ النّجاحِ العشرة " للدُّكتورِ إبراهيمِ الفقي - رحمه الله - وكانت المُحاضرةُ مُفيدةً نافعةً جزى اللهُ صاحبَ الكتابِ خيراً. وأمّا المفاتيحُ فهي:



الفعْلُ

التَّصَوُّرُ

المَهارةُ

الطَّاقةُ

الدَّوافِعُ

الانضباطُ

الصَّبْرُ

المرونةُ

الالتزامُ

التَّوَقُّعُ

المرونة:



كانَ هناكَ ذبابةٌ تحاولُ الخروجَ من نافذةٍ مُغلقةٍ، وظلَّتْ تحومُ و تدورُ من اليمينِ إلى اليسارِ، ومن أعلى إلى أسفلَ، إلى أن نفذتْ كلُّ طاقتها وماتتْ، وكانَ بالقربِ منها بابٌ مفتوحٌ، ولكنها لم تحاولْ أن تبحثَ عن طريقةٍ أخرى للخروجِ غيرِ النافذةِ، وأصرَّتْ على

طريقة واحدة مرة وراء الأخرى إلى أن ماتت، وكان في استطاعتها أن تخرج من هذا المأزق لو أنها فقط حاولت.

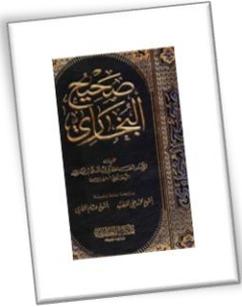


وهناك بحثٌ تمَّ إجراؤه على الفئران لمعرفة قدرتها على التصرف، فوضعوا فأراً في متاهة في آخرها قطعة من الجبن، وبدأ الفأر يبحث ويبحث، وفي كلِّ مرةٍ يُجربُ طريقاً مختلفاً إلى أن وصل أخيراً لقطعة الجبن وأكلها..

فالدُّبابة كانت تُصرُّ على الخروج من النَّافذة لكنَّ لم تكن لديها المرونة الكافية لتبحث عن مخرج آخر، والفأر كان أيضاً مُصرّاً على إيجاد قطعة الجبن، ولكنَّه كان في غاية المرونة حيثُ إنه في كلِّ مرةٍ واجه فيها أيَّ عقبةٍ أو فئيلٍ كان يقفُّ لعدة ثوانٍ ويُغيِّرُ حُطَّته ويتصرَّفُ بسرعةٍ.

العوارضُ والطَّوارئُ:

إنَّ من أسبابِ نجاحِ الخطيبِ -خطيبِ المنابرِ والمُحافلِ- أن يتمنَّعَ بالمرونة: والتي تعني - كما يقولُ الفقي - تغييرَ الخطَّةِ إذا ما اقتضتِ الظروفُ ذلك.



- روى البخاريُّ في صحيحه في كتابِ الصَّلَاةِ عن أنسِ بنِ مالكٍ (٧٠٩) أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ " إني لأدخلُ في الصَّلَاةِ وأنا أريدُ إطالتها، فأسمعُ بكاءَ الصَّبِيِّ، فأتجوِّزُ في صلاتي ممَّا أعلمُ من شدَّةِ وجدِ أمه من بكائه "

وفي روايةٍ أخرى (٧٠٨) " فيُخفِّفُ مخافةً أن تُفتنَ أمه " .

تغييرُ الموضوع:



هيأتُ في نفسي خُطبةً ثمَّ أممتُ المسجدَ حيثُ أخطبُ، وما إن علوتُ منبري ونظرتُ إلى جمهوري حتَّى رأيتُ أن كثرةً كثيرةً من الشَّبابِ بينَ الحُضورِ، فما كان منِّي إلا أن غيَّرتُ موضوعَ الخُطبةِ بموضوع يتناسبُ مع الفئةِ الغالبةِ بينَ الحُضورِ وهي فئةُ الشَّبابِ.

اختصارُ الموضوع:



علوتُ المنبرَ وبدأتُ خُطبتي، ولم أَمْضِ غيرَ قليلٍ حتَّى أحسستُ بالرُّؤوسِ قد انحنَّت وبِالهِمَمِ قد فترت، وذلك أنَّ الحرَّ شديدٌ، والعرقُ يتصبَّبُ من أجسادِ المُصلِّين، والمسجدُ مُكتظٌّ بروادِهِ، وكان حالُ الذين هم تحتَ سِيَاطِ الشَّمسِ أشدَّ.

فلَمَّا أن رأيتُ ما رأيت، اختصرتُ الخُطبةَ بحذفِ بعضِ أفكارها ثمَّ اختصرتُ الدُّعاءَ والصَّلَاةَ كذلك.

وبينما كنتُ خارجاً من المسجدِ استوقفني أحدُ الحُضورِ قائلاً: يا أستاذُ كأنَّ خللاً أو نقصاً في موضوعك اليومَ، حتَّى كأنَّ بترأ أصابه، فقلتُ له أحسنتَ الملاحظةَ، وأصبتَ فيما قلتُ، ثمَّ بيّنتُ له السَّببَ.

الأمّةُ أولى من الأمِّ لو كانوا يعقلون:



وكم يُثيرُ غضبي خُطباءُ تُعساءٍ يخطُبُ أحدُهم، والسَّماءُ فتحتْ أبوابها وبعضُ الناسِ تحتَ أمطارها، أو الشَّمسُ ترسلُ سِيَاطها وتجلدُ بها بعضَ المُصلِّين خارجَ المسجدِ، أو يكونُ الحرُّ شديداً والكهرباءُ - كما هي العادةُ - مُنقطعةٌ ... أو ثَمَّةُ جنازةٍ في المسجدِ وأهلها ينتظرونَ الصَّلَاةَ عليها ثمَّ المُسارعةَ إلى دُفنها ...

وترى ذلكَ الخطيبُ يخطُبُ ويخطُبُ على عادتهِ ورُبَّما أطالَ غيرَ عابئٍ بالظُّروفِ المُستجدةِ

إنَّ أمثالَ هؤلاءِ حقيقٌ أن يُنحوا عن المنابرِ، بل عن الدَّعوةِ كُلِّها لأنَّهم مُنفِرونَ وفتَّانون أوليسَ فتنةُ الأمّةِ بأشدَّ من فتنةِ الأمِّ؟

١١- إثارة على المناير!

يوسف وامرأة العزيز:



لقد قصَّ القرآنُ الكريمُ علينا أكثرَ قصَّةٍ تحتوي على مَشاهدَ جنسيَّةٍ مُثيرةٍ وهي قصَّةُ يوسفَ الصِّدِّيقِ مع امرأةِ العزيزِ والنِّسوةِ اللَّائِي كُنَّ مَعَهَا. غيرَ أَنَّهُ قَدَّمَهَا لَنَا بِطَرِيقَةٍ رَائِدَةٍ جَعَلَتْ مِنْ يَوْسُفَ - وَهُوَ كَذَلِكَ - قَدْوَةً لِجَمِيعِ الشَّبَابِ وَالرِّجَالِ الَّذِينَ قَدْ تَضَعُوهُمُ الْأَقْدَارُ أَمَامَ اخْتِبَارٍ كَهَذَا الْاِخْتِبَارِ، وَيَأْلَهُ مِنْ اخْتِبَارٍ!

كَمَا وَجَعَلَتْ مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ تَكَادُ تَبْصُقُ فِي وَجْهِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ وَعِصَابَتِهَا مِنَ النَّسْوَةِ الْفَاجِرَاتِ الْمَاكِرَاتِ وَتَحْتَقِرُ فِعْلَهُنَّ وَتَتَعَجَّبُ مِنْ حَالِهِنَّ، وَتَرَبُّهُنَّ بِنَفْسِهَا أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِنَّ.



كَمَا وَقَصَّ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ مِنْ نَبَأِ قَوْمِ لُوطٍ الَّذِينَ كَانَ لَهُمُ السَّبْقُ فِي اِكْتِشَافِ رَذِيلَةِ سَتَبَقِي مَا بَقِيَ الْبَشَرُ، وَعَلَيْهِمْ كِفْلٌ وَوِزْرٌ وَإِثْمٌ كَلَّمَا مُورِسَتْ تِلْكَ الرَّذِيلَةَ، وَيَشْعُرُ الْقَارِئُ لِقِصَّتِهِمْ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُ يَرَى مَشْهَدَ هَلَاكِهِمْ حَيًّا وَهَا هِيَ ذِي فُرَاهُمْ تُجْتَنُّ مِنْ جُذُورِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ ثُمَّ تُقَلَّبُ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ، وَهَا هِيَ ذِي الْحِجَارَةِ مِنْ سَجِيلٍ تَسَاقُطُ فَوْقَهُمْ فَتَجْمَعُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَشْمِئَزَّازَ سَيُصِيبُ كُلَّ قَارِئٍ لِقِصَّتِهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

القضايا الجنسية والمنبر:

قد يضطرُّ الخطيبُ إلى عرضِ قضيةٍ جنسيَّةٍ على منبره تكونُ محورَ خُطبته أو جزءاً منها، ولا بأسَ بذلك، فالمنبرُ لخدمةِ الأُمَّةِ وتوعيتها وتركيبها وعليه أن يكونَ دقيقاً جدًّا في اختيارِ مُفرداته، وتركيبِ جُمله منها، وحُسنِ عَرَضها لئلا يثيرَ الشَّهواتِ الكامنة، والرَّغباتِ الهاجعةِ الرَّاقدةِ في أظْهرِ بقاعِ الأرضِ وخَيْرها.

خطيبٌ مثيرٌ:



وأذكرُ أني سمعتُ - يوماً - خطيباً يتحدَّثُ عن ظاهرةٍ تهتِكُ النِّساءَ فكانَ ممَّا قاله: " ما بالِ النِّساءِ في زَمانِنَا النِّكِدَ هذا؟ وقد خرَجنَ إلى الطُّرُقِ كاسياتٍ عارياتٍ، مُبدياتٍ صُدورَهُنَّ، وناثيراتٍ شُعورَهُنَّ، ومُظْهَراتٍ لِسِيقانِهِنَّ، وكأنَّما هنَّ على شواطئِ البِحارِ، ومَن لِبِسَتَ مِنْهُنَّ لِبِسَتَ ضَبِّقاً يصفُ ما وراءه، ويُحجِّمُ الصِّدْرَ، والعَجْرُ، ... إلخ ما قال.

فماذا فعلَ الخطيبُ سوى أَنه جعلَ جُمهوره يتخيَّلُ تلكَ المَراةَ التي كأنَّها على شاطئِ البَحْرِ، أو تلكَ المَراةَ التي لبِسَتَ الضَّبِّقَ مِنَ المَلايسِ ... ثمَّ يَسرُخُ في خياله معها! أو ليسَ هذا ما فعله؟

١٢- الاستخفاف بالخطبة هدرٌ لأوقات الأمة

الاستخفاف بالخطبة:

عندما يتهاون الخطيبُ في تحضير خطبته و إعدادها، ويخفقُ في إلقائها، فلا هو قدّم فائدةً لجمهوره من خلال موضوعه، ولا هو أمتع جمهوره من خلال إلقائه، إنَّ هذا الخطيبُ أقلُّ ما يُقالُ في حقِّه أنه مُستخفُّ بالخطبة.

شابٌ وقحٌ ولكن!

ومما حدثَ معي أَنِّي كُفِّتُ خطيباً في أحدِ المساجدِ، وقبلَ يومِ الجمعةِ بيومٍ أو يومين زارني شابٌ من روادِ ذلكَ المسجدِ كيما يتعرَّفوا بي وحسناً فعُلُوا.

غيرَ أن أحدهم قالَ - إمَّا جاداً وإمَّا هازلاً - هلاً قُمتَ الآنَ وخطبتَ بنا يا أستاذُ، فابتسمتُ وحملتُ كلامه على محمَلِ الهزلِ مع أَنَّهُ لم يمضِ على تعرُّفي به غيرُ قليلٍ.

وبعدَ أن سكتُ قليلاً عاودني قائلاً: لو لم يُكَلِّفوكَ عندنا لَكُنْتُ أنا الخطيبُ فقلتُ له حسناً، ولكن هل تملكُ مؤهلاتِ الخطابةِ من الدِّراسةِ الشرعيَّةِ والخبرةِ الخطابيَّةِ، فالخطيبُ إنَّما يتكلَّمُ باسمِ الإسلامِ، وكيف لأحدٍ يجهلُ بشيءٍ أن يكونَ داعيةً إليه؟

وظننتُ أن هذا الكلامَ سيردِّعه، ولكنَّه أَرَدَفَ قائلاً: يا أستاذُ إنَّ الخطابةَ لا تحتاجُ إلى كُلِّ ما ذكرتَ بل ولا إلى بعضه!

إذ يكفي الخطيبُ أن يكتبَ خطبته ثمَّ يقومُ ويلقيها على رؤوسِ الناسِ، وأين الصُّعوبةُ في هذا أو ذاك؟

حاولتُ أن أُغيِّرَ مجرى الحديثِ وأفلحتُ في ذلكَ، وقد وقعَ في نفسي أنَّ الخطيبَ قبلي كان من المُستخفينَ بالخطابةِ تحضيراً و إلقاءً، وهذا بعضُ نتائجه!

مضت الأسابيع وتوالت الأشهر وأنا فيها خَطيبٌ بينهم أُعطي الخُطبةَ حَقَّها على حَسَبِ ما أُستطيعُ إعداداً وإلقاءً، وأردتُ أن أتَغَيَّبَ لأمرٍ طرأ لي فَخَطَرَ لي أن أُستعِينَ بِذاك الشَّابِّ ولَمَّا طَلَبْتُ منه أن يَحُلَّ محلي جحظت عيناه، واصفرَّ لونه وقال: لا لا أُستطيعُ!، إنَّ الخُطابةَ تحتاجُ إلى مؤهلاتٍ علميَّةٍ، ومقدرةٍ بيانيَّةٍ، ولا أرى نفسي مؤهلاً لذلك، وكانَّ صاحبنا نسي تماماً ما كان قد قاله لي في اللِّقاءِ الأوَّلِ بيننا.

إني - هنا - لا أضعُ المَلامةَ على الحاضرين، بل على بعضِ الخُطباءِ المتهاونين الذين لا يُعطونَ الخُطبةَ حَقَّها، وأقلُّ ما يُقالُ في حقِّهم إنهم خُطباءٌ مُقَصِّرون، وبسببهم علينا النَّاسُ يتجرَّؤون، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون.

هدرُ أوقاتِ الأُمَّةِ:

يقولُ الدكتورُ عمادُ الدينِ الرَّشيدِ في كتابه " ثقافة الخُطيبِ " ص / ٩ " إنَّ ممَّا ابتُلِيَتْ به هذه الأُمَّةُ العَظيمةُ هدرُ الطَّاقاتِ، ولهذا الأمرِ جملةٌ من الأسبابِ أهمُّها: إضاعةُ الهدفِ، وانعدامُ الرُّؤيةِ الشُّموليَّةِ، وغيابُ المَعرفةِ بالأولوياتِ

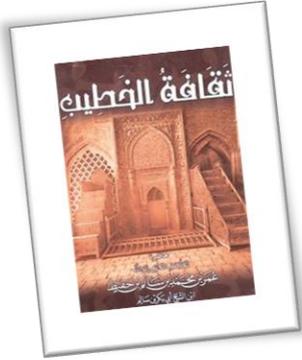
...

ولعلَّ ممَّا يزيدُ في الأثرِ السَّلبيِّ لهذه المُشكلةِ حدوثُها في المَحافلِ المَعنويَّةِ بالتَّوجيهِ والإرشادِ.

ويتابعُ قائلاً: فهذا خُطيبٌ يعتلي المَنبرَ، وذِهنُه حُلُوٌّ من فكرةٍ يقدِّمُها للنَّاسِ وهذا تشغلهُ مسألةٌ شرعيَّةٌ تجاوزَها الزَّمانُ فيعزمُ على أن يطرَحها على النَّاسِ وكانهم يُشاركونه همَّةُ المُنذرِ.

وهذا يعيشُ وعيُه في زاويةٍ مهجورةٍ من المُجتمعِ وحتى التَّاريخِ، فيطرَحُ على النَّاسِ أبعدَ المَوضوعاتِ عن أحداثِ السَّاعةِ التي تمرُّ بالأُمَّةِ، فبينما يموتُ إخوانُه في أرضِ الإسلامِ ينشغلُ هو بالحديثِ عن الزُّهدِ والفضيلةِ والعفوِ.

وقلَّةُ همُ الخُطباءِ الذين تَحرقُ قلوبهم أحاسيسُ المَسؤوليَّةِ عن النُّهوضِ بالأُمَّةِ والمُجتمعِ وحتى نتصوَّرَ مقدارَ الهدرِ الذي يُحدثُه أمثالُ هؤلاءِ الخُطباءِ



في جسد الأمة، لنتذكّر أنّ عدد المساجد في سورية يُقاربُ العشرة آلاف
مسجد ما بين المُدن والأرياف والبوادي ولو كان مُتوسّطُ عدد المُصلّين في



المسجد - يوم الجمعة - منّي مُصلّ فقط
فإنّ خُطبة الجمعة تُحاكي مليوني شخصٍ
وجهاً لوجه، وهم في إنصاتٍ تامّة،
واستحضارٍ نفسيّ للاستجابة لتوجيهات
الخطيب وهذا العدد يُشكّل ١٠٪ من مجموع
السُكّان تقريباً.

... وإذا كان حال الكثير من الخطباء ما بينتُ قبل قليل، فما أعظم الخلل!



- ٤ -

الْجُمُهورُ

من هو؟

ماله؟

ما عليه؟



١- هذا جل ما يريدون!

لا تُطيلوا علينا يرحمكم الله!

- روى مُسلمٌ عن أبي وائل (٨٦٩) أنه قال: **خطبنا عمّارٌ فأوجزَ وأبلغَ فلما نزلَ قلنا: يا أبا اليقظانِ لقد أبلغتَ وأوجزتَ، فلو كنتَ تنفستَ (أطلت).**

فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

" إنَّ طولَ صلاةِ الرّجلِ، وقصرَ خطبته، مننةٌ من فقهه، فأطيلوا

الصلاة، وأقصروا الخطبة، وإنَّ من البيانِ سحراً".

قال النووي (١٥٨ / ٦) ومعنى " مننةٌ على فقهه"، أي: علامةٌ

عليه.

- روى أبو داودَ في سننه في بابِ إقصارِ الخطبِ عن عمّار (١١٠٦) أنه قال: " **أمرنا رسولُ الله ﷺ بإقصارِ الخطبِ**".
- روى أبو داودَ في سننه في بابِ إقصارِ الخطبِ عن جابرِ بنِ سمرةَ (١١٠٧) أنه قال: " **كان رسولُ الله ﷺ لا يُطيلُ الموعظةَ يومَ الجمعةِ، إنّما هي كلماتٌ يسيراتٌ**".

مُكاشفةٌ غير شكل!

كُلفتُ ذاتَ مرّةٍ بالخطابةِ في مسجدٍ من تلكِ المساجدِ الكبيرةِ الجامعةِ – بشكلٍ مؤقتٍ – ولما أن دخلتُ المسجدَ، والمسجدُ مُزدحمٌ بأهله جعلتُ أشقُّ الصُّفوفِ باتجاهِ المنبرِ، وسمعتُ النَّاسَ يتهاَمسونَ.

فهذا يقولُ لذاك: مَنْ هذا الخطيبُ؟

وآخر يقولُ لجاره: أينَ ذاكَ الخطيبُ؟

فإذا بثالثٍ يقولُ لهم: فليكنَ مَنْ يَكُن، المُهمُّ ألا يُطوّلَ الخطبة!

سمعتُ هذه الكلماتِ فحزّتُ في نفسي، فما كان مِنِّي بعدَ أن صعدتُ المنبرَ وفرغتُ من الحمدِ والثناءِ ...، ما كان مِنِّي إلا أن قلتُ هذه الكلماتِ، هكذا وبكلِّ صراحةٍ:

إنه مما يُؤسف له اليوم أن الناس جُلَّ النَّاسِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ حُطْبَةَ الْجُمُعَةِ لَمْ يَعُدْ يَعْنِيهِمْ مَنْ هُوَ الْخَطِيبُ، وَلَمْ يَعُدْ يَعْنِيهِمْ مَا هُوَ مَوْضُوعُ الْحُطْبَةِ؟ حَيْثُ صَارَ أَكْبَرُ هَمِّهِمْ، وَمَبْلَغُ عِلْمِهِمْ، وَغَايَةُ الْأَمْرِ عِنْدَهُمْ أَلَّا يُطِيلَ الْخَطِيبُ الْحُطْبَةَ، فَإِنَّ لَمْ يُطِلْ فَلْيُكُنْ مَنْ يَكُنْ، وَلْيَقُلْ مَا يَقُلْ!

وتابعت قائلاً:



وأنا لا أقولُ هذا الكلامَ لأني من هُوَاةِ التَّطْوِيلِ، رَغَمَ أَنْفِ النَّاسِ، وَإِنَّمَا لِأَوْضَاحِ الْأَمْرِ .

إنَّ الغَايَةَ مِنْ حُضُورِ حُطْبَةِ الْجُمُعَةِ لَيْسَ هُوَ مُجَرَّدُ إِسْقَاطِ الْفَرِيضَةِ وَنَيْلِ أَجْرِهَا، بَلْ إِنَّ الْأَمْرَ لَيَتَعَدَّى ذَلِكَ بِكَثِيرٍ .

ففي الجمعة يجتمع أهلُ البلدةِ أو أكثرُهم في مسجدٍ واحدٍ، فيُسلِّمُ بعضهم على بعضٍ، ويتفقُّ بعضهم بعضاً ثمَّ فيما يقولُ الخطيبُ تعليق على ما يجري داخلَ أرضِ الإسلامِ أو خارجه، وفيها أيضاً تصحيحٌ للعقيدة التي ينبغي أن نعتقدها وسنلقى اللهَ عليها، وفيها بيانٌ لما أحله اللهُ ليفعل، ولما حرَّمه فبترك، وفيها أيضاً تركيةٌ للنفوسِ من ظاهرِ الإثمِ وباطنه ... فهذا، ولمثل هذا وغير هذا كانت حُطْبَةُ الْجُمُعَةِ فِي الْإِسْلَامِ، لَا لِإِسْقَاطِ الْفَرِيضَةِ وَحَسْبُ.

احذروا من التَّطْوِيلِ:



وإني - بعدَ هذا العُمرِ المديدِ في الحُطْبَةِ على المنابرِ وفي المحافلِ العامَّةِ والخاصَّةِ - إنِّي لأنصحُ لكلِّ خطيبٍ أن يحذرَ من الإطالةِ كلَّ الحذرِ في حُطْبِ الْجُمُعَةِ والعِيدَيْنِ، وحُطْبِ المحافلِ، وحتى لو قُدِّمَ للدُّعَاءِ فقط وما زلتُ أذكرُ يومَ كُنَّا في عزاءٍ فقُدِّمَ أحدهم للدُّعَاءِ، للدُّعَاءِ فقط

فجعل يدعو ويدعو ويدعو حتى أملَّ القومَ وأنا منهم، بل إنَّ بعضَ الحاضرينَ تركَ المكانَ مُغضَباً وغادره على عَجَلٍ، ومن بقيَ بقيَ على مَضَضٍ، ولو أنَّ هذا الرَّجُلَ ثَقِيلَ الظِّلِّ - أرح اللهُ منه ومن أمثاله ميدانِ الدعوة - قرأ أدعيةَ الرَّسُولِ ﷺ لوجدَها لا تتجاوزُ سَطْرَيْنِ أو ثلاثةً في الغالبِ!

اجعلها خُطبتين أو خُطباً:

خُطبتُ ذاتَ مرّةٍ عن مَوْضوعِ السِّحْرِ، وقد
دَعاني لذلكِ سِوى أهِمِّيَةِ المَوْضوعِ أَنْ دَجَّالاً حَطَّ
رِحالَهُ في القَرِيَةِ الَّتِي كُنتُ أُخَطِّبُ بِهَا فَأَحْبَبْتُ أَنْ
أُبَيِّنَ الأَمْرَ وَأُوضِّحَهُ، وَلَكِنِّي وَقَعْتُ في العَدْوِ
اللَّدودِ لِلخُطيبِ، أَلَا وَهُوَ التَّطْوِيلُ وَلَمَّا أَنْ انْتَهَيْتُ
قَالَ لي أَحَدُ الأَصْدِقَاءِ المُخْلِصِينَ: هَلَّا جَعَلْتَهَا
خُطبتين!



٢- كيف تُثيرُ اهتمامَ جمهورِكَ؟

إنَّ الوُصولَ إلى إثارةِ الجَماهيرِ والحُصولِ على انتباهِها واهتمامِها
لَهُو غايةٌ ما يُريدُ الخطيبُ والمُتكلِّمُ، ولكن هل من سبيلٍ إلى إثارةِ الجَماهيرِ؟

التعليقُ على الأحداثِ المحليَّةِ والعالميَّةِ:

إنَّ ممَّا يُثيرُ الجمهورَ جِداً أن يعلِّقَ الخطيبُ أو المُتكلِّمُ على الأحداثِ
التي تجري على السَّاحَتَيْنِ العالميَّةِ أو المحليَّةِ تعليقاَ رَشيداً يوضِّحُ فيه موقفَ
الإسلامِ ممَّا يجري هُنا أو هناك.

وأوكِّدُ هُنا على أنَّ الخَطيْبَ أو المُتكلِّمَ من شأنِه أن
يُوضِّحَ موقفَ الإسلامِ لا أن يكونَ صدياً لموقفِ
السَّاسةِ في بلاده من تلكِ الأحداثِ.

فالإسلامُ مَوقِفُه من اليَهُودِ الذينَ يحتلونَ فلسطينَ،
ولا يجوزُ أن يتغيَّرَ هذا الموقفُ لأنَّ حكومةَ بلاده
أبرمتْ صلحاً مع أولئكِ المُعتدينِ.



وللإسلامِ مَوقِفُه من العِلْمانيَّةِ التي تعني تنحيةَ الشَّريعةِ
عن الحياةِ، ولا يجوزُ أن يتغيَّرَ هذا المَوقِفُ لأنَّ الحُكومةَ
تبنَّت العِلْمانيَّةَ مَنهجاً.

وقُلْ عن الرأسماليَّةِ والقوميَّةِ والاشتراكيَّةِ ... ما قُلْتَه
عن العِلْمانيَّةِ.

أخبرهم بشيءٍ جديدٍ عن القديم:

إنَّ الأحاديثَ المُكرَّرةَ والمُعَادَةَ لا تُثيرُ الاهتمامَ فالإثارةُ لا تحصلُ إلاَّ للمرةِ الأولى فقط وذلك كالرواياتِ أو القصصِ هل تُثيرُكَ للمرةِ الثانية؟
والحلُّ إذا ما اضطرَّ الخطيبُ لإعادةِ مَوْضوعٍ كان قد طرَّحه هو أو غيره
أنَّ يبحثَ عن نقاطٍ جديدةٍ فيه ليحصلَ على إثارةٍ جُمهوره.



ولنأخذُ على سبيلِ المِثالِ غزوةَ بدرٍ، ومَنْ مِنَ النَّاسِ لا يعرفُ بدرًا؟ وللحصولِ على الإثارةِ ابحثْ عن تفاصيلٍ لا يَعْلَمُها النَّاسُ، أو ركِّزْ على زوايا كانت تُطرحُ على عَجَلٍ، وخيرُ مِثالٍ على ذلك التَّفصيلُ في مُشاركةِ الملائكةِ لأهلِ بدرٍ، وكيفَ أنَّ جُنودَ السَّماءِ نَزَلُوا مَددًا لِجُنودِ الأرضِ في معاركِ الحقِّ والباطلِ.

حدِّثهم عن أنفسهم:

سُئِلَ أحدُ الحُكَماءِ عن أكثرِ شيءٍ يُهَمُّ النَّاسَ ويُثيرُهُم فأجابَ " أنْفُسَهُم "
يقولُ أحدُ المُدرِّبينَ المشهورينَ: تذكَّرْ أنَّ النَّاسَ الذينَ تتحدَّثُ إليهم
يقضونَ مُعظَمَ وقتهم - عندَ ما لا يكونونَ مُنشغَلينَ - بالتَّفكيرِ بأنفسهم.



تذكَّرْ أنَّ الإنسانَ العاديَّ يهتمُّ بالطَّباخِ الذي غابَ أكثرُ من اهتمامه بدفعِ ديونِ إيطاليا للولاياتِ المُتَّحدةِ



ويهتمُّ بشفرةِ الحلاقةِ أكثرَ ممَّا يهتمُّ بثورةِ تقَعُ في أمريكا الجنوبيَّةِ



وألم أسنان المرأة يُحزنها أكثر ممّا
يُحزنها زلزالٌ يقع في آسيا يذهبُ ضحيّته
نصفُ مليون إنسانٍ، وتُفضّلُ الاستماعَ إلى
شيءٍ لطيفٍ تذكّره عنها على أن تحدّثها عن
أعظم الرجال في التاريخ.

ويذكرُ هذا المُدرّبُ هذه القِصّةَ فيقولُ: ألقى مُدرّبُ خطاباً حقّقَ نجاحاً
باهراً خلالَ مَآذِبَةِ عِشاءٍ اختتمتَ فصلاً من فصولِ تعليمِ الخطابةِ، فتحدّثَ
عن كلّ رجلٍ بمُفردِهِ، وأخبرهم كيف كانوا يخطّبونَ في بدايةِ الفِصلِ وكيف
تطوّروا، وأعادَ قراءةَ الحُطْبِ التي ألقاها مُختلفُ الأعضاءِ والمواضيعِ التي
ناقشوها فسخرَ من بعضهم، وبألغ في وصفِ أخطائهم، فأثارَ ضحكَ الجَميعِ
و أدخلَ السُرورَ إلى قلوبهم، ولا يُمكنُ أن يفشلَ مثلُ هذا الأسلوبِ.

اهتمامهم واهتمامك!

لفتَ نظري وأنا أطلعُ في بعضِ الكُتبِ هذه العبارةَ " إنَّ سببَ إخفاقِ
الكثيرِ من الخُطباءِ هو حديثُهم عن الأشياءِ التي تُثيرُ اهتمامهم فقط، وربّما
كان ذلكَ مُملاً للآخرينَ ".



أقولُ: وما أكثرَ الأشياءِ التي تُثيرُ اهتمامَ الناسِ
ويتطلّعونَ إلى من يُرشدهم في أمرهم هذا، على أن ما
يُثيرُ الناسَ قد يبدو عندَ الخُطباءِ سخيفاً مثلَ بطوالةِ كُرةِ
القدمِ، مُسلسلٍ يتّمّ عرضه، مُوضيّةٍ، طعامٍ معيّنٍ، ...
ورغم ذلكَ فالخطيبُ الناجحُ يستطيعُ أن يستخرجَ منه ما
يُفيدُ ويُمْتَعُ.



المَوَاضِيعُ الْمُثِيرَةُ:

ثَمَّةَ مَوَاضِيعُ مُثِيرَةٌ بحدِّ ذاتِها كالحديثِ عن علاماتِ قيامِ السَّاعَةِ، وعذابِ القبرِ، والسِّحْرِ، وعالَمِ الجانِ، وعالَمِ المَلائِكَةِ، وعالَمِ الأرواحِ، والرُّقِيَةِ، وتعبيرِ الرُّؤيا ...



والخطيبُ النَّاجِحُ يأخذُ منها مادَّةً مُفيدةً هادِفةً ولا يَكُنُّ كلَّ همِّهِ الإثارةُ.
وأنا أنصحُ للخطيبِ المُبتدئِ، أو مَنْ يخطُبُ في مسجدٍ جديدٍ أن يبتدأَ بمثلِ
هذه المَوَاضِيعِ لكي تَصيرَ له شَعبيَّةً بينَ جمهورِهِ، ولا يبتدأَ بما يُمكنُ أن
يُزهدَهُم به، أو ينفِّرَهُم منه.

٣- كَلَّمَا جَاءَ الْخَطِيبُ

لم يشكر الله من لم يشكر الناس:

- روى الإمام الترمذي في أبواب البرِّ والصِّلَةِ وبِسْنَدٍ حَسَنٍ عن أبي سعيد الخُدريِّ (١٩٥٥) أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ "



لا تتخدع يا أيها الخطيب!

كُفِّتْ خَطِيباً فِي أَحَدِ الْمَسَاجِدِ فَأَمَمْتُ ذَاكَ الْمَسْجِدَ وَخَطَبْتُ فِيهِ، وَكَانَ الْحُضُورُ كَبِيراً عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْمَسْجِدِ أَنَّهُمْ كَلَّمَا جَاءَ خَطِيبٌ جَدِيدٌ تَقَاطَرُوا لِيَرَوْهُ ثُمَّ إِذَا حَسُنَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَضَرُوا عِنْدَهُ، وَإِلَّا اعْتَزَلُوهُ.

وَمَا إِنْ انْتَهتِ الْخُطْبَةُ حَتَّى تَحَلَّقَ النَّاسُ حَوْلِي تَحُلُّقَ الْفُضُولِ الْمَعْرُوفِ حَوْلَ كُلِّ خَطِيبٍ جَدِيدٍ، وَرَحَّبُوا بِي وَأَثَنُوا عَلَى خُطْبَتِي، - وَعَلَى الْخَطِيبِ أَلَّا يَلْتَفِتَ إِلَى ثَنَاءِ النَّاسِ فِي وَجْهِهِ - وَإِلَى هُنَا فَالْأَمْرُ مَقْبُولٌ وَحَسُنَ بَلْ وَمُشَجِّعٌ.

غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمْ فَاجَأَنِي بِقَوْلِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَّصَنَا بِكَ مِنْ ذَاكَ الْخَطِيبِ لَقَدْ كَانَ ... وَهُنَا قَاطَعْتُهُ وَقَطَعْتُ عَلَيْهِ كَلَامَهُ قَائِلاً: يَا هَذَا تَوَقَّفْ وَلَا تُكْمِلْ، أَوْ لَا تَعْلَمْ أَنَّ هَذَا هُوَ الْغَيْبَةُ الْمُحَرَّمَةُ؟

وَأَيْنَ؟ فِي بَيْتِ اللَّهِ!

وَأَمَامَ مَنْ؟ أَمَامَ الْخَطِيبِ!

وَعَلَى مَنْ؟ عَلَى خَطِيبٍ كَانَ يَعْلُو هَذَا الْمِنْبَرَ وَيُذَكِّرُكُمْ بِاللَّهِ؟!





ثُمَّ قُلْتُ لَهُ وَلِمَنْ يُحِيطُ بِهِ: كَأَنِّي بِكُمْ كَلَّمَا جَاءَ
خَطِيبٌ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَعَظَّمْتُمُوهُ، ثُمَّ نَمَمْتُمْ مِنْ
كَانَ قَبْلَهُ وَتَنَقَّصْتُمُوهُ؟! أَهَذِهِ أَخْلَاقُ الْمُؤْمِنِينَ؟!

وَأَنَا الْآنَ لَا أَشْكُ أَنِّي عِنْدَمَا أُغَادِرُكُمْ يَوْمًا – وَلَا
بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ – فَلَسَوْفَ تُثْنُونَ عَلَيَّ مَنْ
يَخْلِفُنِي وَتَدْمُونِي أَمَامَهُ!

فَسَكَتَ الْقَوْمُ وَسَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ.

ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: يَا إِخْوَتِي: لَا يُوجَدُ خَطِيبٌ كَامِلٌ كَمَا أَنَّهُ لَا يُوجَدُ جُمْهُورٌ
كَامِلٌ، وَلَئِنْ أُوتِيَ بَيَانًا فَقَدْ يُحْرَمُ عُمُقَ الْفِكْرَةِ، وَلَئِنْ كَانَ ذَا فِكْرٍ ثَاقِبٍ فَقَدْ
يُحْرَمُ حُسْنَ الْعَرْضِ وَالْأَدَاءِ، وَلَئِنْ بَرَعَ فِي مَوَاضِعٍ فَقَدْ لَا يَبْرَعُ فِي غَيْرِهَا؟

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْجَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

وَأَقُولُ لِكُلِّ خَطِيبٍ: إِيَّاكَ وَالْإِغْتِرَارَ بِبِنَاءِ النَّاسِ عَلَيْكَ وَلَا سِيَّمَا فِي وَجْهِكَ،
وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْمَحَ لِلنَّاسِ بِأَنْ يَذْمُوا مَنْ قَبْلَكَ لِأَنَّهُ سَيَأْتِي يَوْمٌ يَذْمُونَكَ فِيهِ أَيْضًا!

٤-أذواق النَّاسِ

وللناس فيما يعشقون مذاهب:



دخلت ذات مرّة إلى جزّارٍ اشتري منه شيئاً من لحمٍ، وبينما كان يقطّع ويقطّع قال لي: يا أستاذ إنّ بعض الناس لهم بعض الملاحظات على خُطْبِكَ ... وقبل أن يستفيض بالشرح - ولعلّه هو ذاك البعض، ولكّنه يتستّر ببعض الناس - فاجأته بهذا السؤال قائلاً: كم عندك من الأولاد؟

قال الرَّجُل مُندهشاً ولعلّه ظنّ أنّي بهذا أُغَيِّرُ مجرى الحديث - قال: خمسة من الأولاد.

فقلتُ له: حسناً جداً بارَكَ اللهُ لك بهم وجعلهم قُرّة عينٍ لك ولكنّ عندي سؤالٌ آخر، هل هم راضون عنك؟

الرَّجُلُ مُسرِعاً: لا لا إنّ (أولاد الكلب - هكذا قال عن نفسه -) ما حدا عابو شي).

فقلتُ له: حسناً إنّك أبّ وتعجّر عن إرضاء أولادك الذين هم من صلْبِكَ وكلّهم خمسة، فكيف تطلب منّي أن أَرْضِيَ أذواقَ جمهوري وهم فوق الآلاف الخمسة؟! الخَمسة!؟

وما أنا بأبيهم؟

وهنا بُهتَ اللّحَامُ وأفجمَ ، وأسقطَ في يده وألجمَ، وكادت سيكّينه الحادّة تقطّع يده، وما كان منه إلّا أن أعطاني ما طلبته من لحمٍ وألجمَ وقبضَ ثمنه ثمّ مضى كلُّ إلى عمله، هو يذبح الأنعامَ - وأنا بفضلِ الله - أعلمُ الأنام!

إنّ الخُطيبَ أيّ خُطيبٍ كانَ ومهما أُوتِيَ من القُوّة والقُدرة لن يستطيع أن يُرضِيَ أذواقَ جميعِ الناسِ مهما أحسنَ اختيارَ الموضوعِ، ومهما تفنّنَ في عَرْضِهِ؛ ذلك أنّ أذواقَ الناسِ في هذا وفي غيره من أمورِ الحياةِ مُختلفةٌ كلِّ الاختلافِ إلى حدِّ التقاتلِ والخلافِ.

فبعض الناس مثلاً يُفضّل الخطيب الشاب، وبعضهم يُفضّل الشيخ المُجربَ الذي خبِرَ الحياةَ وخبرته.



وبعض الناس مثلاً يُفضّل الخطيب الذي يُخاطب العقول، وبعضهم يُفضّل الذي يهمسُ في المشاعر.



وبعض الناس مثلاً يَرغبُ في مواضيع، وبعضهم يَرغبُ عنها.
وبعض الناس مثلاً يُفضّل الخطيب القصّاص، وبعضهم يَرى في القصص مضيعةً للوقت ... وهكذا.



وبعض الناس يميلُ إلى أحاديث التّرهيب، وآخرون يميلونَ إلى أحاديث التّرهيب وهكذا.

موقف الخطيب إزاء إرضاء أذواق الجمهور:



فماذا يفعل الخطيب حيال كل ما سبق؟

- إنَّ بعضَ الخطباءِ يُغلقُ عينيهِ ويُصمُّ أُذنيه ضارباً بعرضِ الحائطِ جميعَ ملاحظاتِ الناسِ قائلاً: إرضاءُ الناسِ غايةٌ لا تُدرَكُ إذا فلتتركِ.
- وبعضُ الخطباءِ يُراعي أذواقَ الناسِ، وينظرُ إلى رأيِ الأغلبيةِ وهذا حسنٌ جداً، وهو المطلوبُ، وإلاَّ سينتهي أمرُ الخطيبِ بأنَّ يهجره الناسُ، أو تعزله السلطنةُ بناءً على رغبةِ الناسِ، والسلطنةُ لا تُلبّي رغباتِ الناسِ إلاَّ في هذا الموطن!

همسةٌ في أذنِ الجمهورِ:

وأقولُ للجمهورِ العزيزِ إذا لم يتفقْ مِلاكٌ مع الخطيبِ فالأفضلُ أن تلتمسَ لكَ خطيباً يتناسبُ مع ذوقكَ ولا تُعبه، فرسولنا ﷺ أوصانا إذا ما أحببنا طعاماً أكلناه وإلاَّ تركناه وما عبناه، فكيفَ بالناسِ؟ والخطباءُ منهم.

٥- أعمار النَّاسِ

قصةٌ فيها عبرةٌ:

حدَّثنا أحدُ الخُطباءِ قائلاً: دُعيتُ لإلقاءِ كلمةٍ في مُناسبةٍ عامَّةٍ فأَممتُ المَسجِدَ ولمَّا أنِ اقترَبْتُ منه بَحِيتُ أسمعُ صوتَ مَنْ يتكلَّمُ فيه واضِحاً بيِّناً فإذا بي أسمعُ صوتَ خطيبٍ وكانَ صوتُهُ عالياً مُدوياً مُجلجلاً، وكانَ يتحدَّثُ في موضوعٍ من المَواضيعِ الكُبرى فأسعدني ذلكَ ولكنِّي ظننتُ - على حَسبِ ما أسمعُ - المَسجِدَ مُمتلئاً بِرجالِ الفِكرِ والعقلِ والمُتقِّينَ ... هكذا ظننتُ.



ولكنِّي عندما دخلتُ أصابتنِي الدهشةُ واعتَراني من الحيرةِ ما اعتَراني، لقد كانَ المَسجِدُ خالياً خاوياً إلا مِن قَلَّةٍ من الأطفالِ (جذبتهُم بُطونُهُم وأغراهم الملبَّسُ والحلوى) ومِن بعضِ كبارِ السِنِّ الذين جَعَلوا المَسجِدَ مأواهُم ما قبلَ الأخيرِ فقلتُ في نفسي: لِمَن يا تُرى يخطُبُ هذا الخطيبُ؟!!



وبعدَ قليلٍ انتهتْ كلمةُ ذاكِ المُتكلِّمِ، وقُدِّمتُ للكلامِ فطلبتُ كُرسيّاً جَلستُ عليه وأدنيتُ مِنِّي الأطفالَ وجَعَلتُ أنشدُ لهمُ ويُعيدونَ خلفي، وهم فرحونَ وسطَ دهشةٍ عجايزِ المَسجِدِ، وتركتُ المَوضوعَ الَّذي أعددتُهُ إلى مُناسبةٍ مُناسبةٍ .

إنَّ لكلِّ مَرحلةٍ عُمريةٍ طُموحَها، وهمومَها، وآمالَها، وآلامَها. فأولاً هناكَ مَرحلةُ الطفولةِ بلهوها، ومَرحِها، وتطلُّعِها لكلِّ جديدٍ. ثمَّ مَرحلةُ المراهقةِ بما فيها من تقلُّباتٍ، وتبدُّلاتٍ، وتطلُّعاتٍ. ثمَّ مَرحلةُ الشَّبَابِ وهي مَرحلةُ الإنجازاتِ. ثمَّ مَرحلةُ الرُّجولةِ، فالكُهولةِ، والشَّيخوخةِ وفيها الاستعدادُ للقاءِ اللهِ.



ولئن كانَ مجتمعنا مجتمعاً شاباً - كما يقولونَ - فهذا لا يُلغي الفئاتِ
العُمريَّةَ الأخرى الموجودةِ في المساجِدِ والمَحاظِلِ والتي إن شَعرتُ أنَّها ليستُ
هي المقصودةُ بالكلامِ زهدتُ بالاستِماعِ.

فعلى الخطيبِ - إذن - أن يُراعِيَ اختيَارَ المواضيعِ التي تهتمُّ كلَّ الفئاتِ
العُمريَّةَ - وما أكثرَها - ولا مانعَ أن يخصَّ بينَ الحينِ والحينِ فئةً عمريَّةً
بالحديثِ.



وبعضُ الأحاديثِ تغطِّي فئتينِ عُمريَّتينِ
معاً مثلَ موضوعِ بَرِّ الوالدينِ فعلى
الخطيبِ هنا أن يوزِّعَ الكلامَ بالعدلِ بينَ
الفئتينِ غيرَ متحيِّزٍ لفئةٍ على حسابِ الفئةِ
الأخرى.

٦- أفهام النَّاسِ

عُقُولُكُمْ وَعُقُولُهُمْ!

• روى البخاريُّ في صحيحه في كتابِ العلمِ عن عليٍّ (١٢٧) أَنَّهُ قَالَ " حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتَحِبُّونَ أَنْ يُكَذِّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ " .

• وروى مُسْلِمٌ في مقدِّمةِ صحيحه عن ابنِ مسعودٍ أَنَّهُ قَالَ: " مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ " .

قَالَ ابْنُ حَجْرٍ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْبُخَارِيِّ (١/ ٢٢٥) مُعَلِّقًا عَلَى حَدِيثِ عَلِيِّ وَالْمَعْنَى: حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَفْهَمُونَ ... وَدَعُوا مَا يُنْكَرُونَ أَيُّ: يُشْتَبَهَ عَلَيْهِمْ فَهْمُهُ ... وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُذَكَرَ عِنْدَ الْعَامَّةِ ...

وَمِمَّنْ كَرِهَ التَّحْدِيثَ بَعْضُ دُونَ بَعْضِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي ظَاهَرُهَا الْخُرُوجُ عَلَى السُّلْطَانِ .

وَالْإِمَامُ مَالِكٌ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ .

وَالْإِمَامُ أَبُو يُونُسَ فِي الْغَرَائِبِ .

وَمِنْ قَبْلِهِمُ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ أَبُو هُرَيْرَةَ ... وَنَحْوَهُ عَنِ خُذَيْفَةَ .

وَعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ أَنْكَرَ تَحْدِيثَ أَنَسٍ لِلْحَجَّاجِ بِقِصَّةِ الْعُرَنْبِيِّينَ لِأَنَّهُ اتَّخَذَهَا وَسِيلَةً إِلَى مَا كَانَ يَعْتَمِدُهُ مِنَ الْمُبَالِغَةِ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ بِتَأْوِيلِهِ الْوَاهِي، وَضَابِطُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ يُقْوِي الْبِدْعَةَ، وَظَاهِرُهُ فِي الْأَصْلِ غَيْرُ مُرَادٍ، فَالْإِمْسَاكُ عَنْهُ عِنْدَ مَنْ يُخْشَى عَلَيْهِ الْأَخْذَ بِظَاهِرِهِ مَطْلُوبٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الكرامات والمتشابهات!

لبعض الخطباء ولع في سرد الكرامات، وهي حق في أصلها، ولكن هل تهضمها عقول أبناء زماننا؟

ولبعض الخطباء ولع في سرد الآيات والأحاديث المتشابهات، وترك المحكمات مما قد يُشوّش على العقيدة فليتق الله هؤلاء وهؤلاء وليحدثوا الناس بما يعرفون وإلا فستكون النتائج كارثية!

قصة طريفة:



حدّثنا أحدُ أساتِدتنا عن قصةٍ جرّت معه فيها لطافةٌ وطرافةٌ قال:



انتشر بين الناس ورقةٌ تُنذِرُ النَّاسَ بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ، وتعدُّ مَنْ يطبَعُها ويوزّعُها بالأجر، وتيسرُ الأمر، وتتوعّدُ مَنْ يهملُها ولا يساهمُ بنشرها بالإثم، وتعسرُ الأمر.

وقرّب الساعة حق، ولكن هذه الورقة باطلة، ومما يؤكّد بطلانها أنها ممهورة بتوقيع رجلٍ اسمه أحمد، وعمله هو خدمة الحجرة النبوية الشريفة، وقد رأى رؤيا، فيها الله، رجلٌ لا وجود له، لعملٍ لا وجود له، لرؤيا مفتراة، إنها الظلمات بعضها فوق بعض.

يقول الأستاذ: وبسبب الانتشار الواسع لهذه الورقة، وكثرة القيل والقال فيها، والكلام البطال عنها، أفردت لهذا الموضوع خطبةً، بيّنت أن القيامة حقٌ وقرّبها حقٌ وأن هذه الورقة أمرها باطلٌ ثم مزقتها بين الناس ردّاً على ما جاء فيها أن من مزّقها فإن الله سيُمزّقه، وكانها كتابُ رسولِ الله ﷺ لكسرى.

يقول الأستاذ: وحانت صلاة العصر، وحضرني بعد الصلاة رجلان أب وابنه.

قال الابن: اختلفت مع أبي وقد جئناك لتفصل الخلاف فيما بيننا.

فقال الأستاذ: وفيم اختلافكما؟

قَالَ الْإِبْنُ: اختلفنا هل قلت أن ننسخ الورقة خمس مرات أم عشر مرات قبل أن نقوم بتوزيعها؟

ومِمَّا جرى معي:

هذا ما جرى مع ذلك الأستاذ، وأما ما جرى معي فهو أنني تحدثت في مطلع العام الدراسي عن أهمية العلم، ومكانته في الإسلام، وقلت: إذا ما انتهى الفتى أو الفتاة من مرحلة التعليم الأساسي، فعلى الوالد أن يجلس مع ولده، ثم يُخَيِّرَهُ بَيْنَ مُتَابَعَةِ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَإِلَّا فليُوجِّهْهُ نحوَ حِرْفَةٍ يُحِبُّهَا لِيَتَعَلَّمَهَا، وتكونَ مصدرَ رِزْقٍ لَهُ فيما بَعْدُ.

ولكنني مع وضوح ما قلت فهم البعض كلامي فهماً مغلوطاً، إذ ظنوا أنني أحرّض أبناءهم على ترك مقاعد الدراسة، والتوجُّه نحو ميدان العمل، وأنا إنما تحدثت عن فئة من الطلاب لا تجدُ مستقبلها على مقاعد الدراسة؟! وأيُّ أمرٍ في هذا؟



هل أنا ضد المرأة؟

هكذا قال لي المحقق ، ويا لها من تهمه في عصر المرأة! ولكن ما هي القصة؟

لقد خطبت ذات مرة عن العمل، واقتزحت أن يقدم الرجل على المرأة في فرص العمل - ما عدا الأعمال التي تكون فيها الأولوية للمرأة مثل تدريس أطفال الحضانة، ومداواة المرأة ...



-وذلك للأسباب التالية:

- ١- أن الرجل عندما يعمل فإنه يفكر بالزواج ويسعى له، بخلاف المرأة فتأمين فرصة عمل هو إعانة على تأسيس أسرة.
- ٢- أن الرجل هو المكلف بالإنفاق شرعاً وقانوناً وعرفاً فتأمين فرصة العمل له أولى من المرأة.

هذا ما قلته فهل يفهم منه أي ضد المرأة؟

لقد تفهم المحقق هذا الكلام وبرأني من تهمه اضطهاد المرأة والسعي لتدميرها لأنها تهمه كبيرة في عصر المرأة الذي نعيشه!

مناقشة مع الذات قبل الخطبة:

إنَّ اختلافَ أفهامِ النَّاسِ أشدُّ من اختلافِ أذواقِهِم بِدرجاتٍ
ولئن كانَ من المُستحيلِ توحيدُ أذواقِ النَّاسِ فإنَّه من الأشدِّ استحالةً توحيدُ
أفهامِ النَّاسِ.

وعلى كلِّ حالٍ فعلى الخطيبِ وغيره أن يطرحَ على نفسه عدَّةَ أسئلةٍ قبلَ
أن يَرضَّجَ موضوعه على النَّاسِ:

- هل الموضوعُ الَّذي سأطرحُه مَفهُومٌ أو غامِضٌ من حيثِ طبيعتهُ؟
- وهل الموضوعُ الَّذي سأطرحُه يَحتوي على أفكارٍ أو عباراتٍ غامِضيةٍ
غيرِ مَفهُومةٍ؟
- وهل يُمكنُ أن يُفهمَ كلامي على غيرِ وجهه؟

فإنَّ كانَ الموضوعُ في طبيعته غامِضاً تَرَكَه، وإنَّ كانَ واضحاً، ولكنَّ
الغُمُوضَ قد يلفُّ بعضَ نقاطه عدَّلاًها، وإنَّ كانَ قد يُفهمُ على غيرِ ما يُريدُ
الخطيبُ احترسَ من ذلكِ.

وذلكَ أنَّه إنَّ لم يفعلْ ذلكَ فإنَّه سيضطرُّ إلى الشرحِ والاعتذارِ في الخطبِ
اللَّاحِقةِ، وهو يَغنى عن ذلكِ.

وصدقَ مَنْ قالَ:

لا تتكلمنَّ اليومَ بكلامٍ تحتاجُ إلى الاعتذارِ عنه غداً.

٧-رُبَّ مُسْتَمِعٍ أَعْلَمُ مِنْ خَطِيبٍ

اللهُ يُعَاتِبُ كَلِيمَهُ مُوسَى:

• روى البخاريُّ في صحيحه في كتابِ الفِتنِ عن أبي بكرة^(٧٠٧٨)

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَسَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ " ... فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّ رُبَّ مُبْلَغٍ يُبْلِغُهُ لِمَنْ هُوَ أَوْعَى مِنْهُ ... الْحَدِيثَ.

• روى البخاريُّ في صحيحه في كتابِ أحاديثِ الأنبياءِ عن أبي بن

كعبِ (٣٤٠١) عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا.

فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ.

فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ ... هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ... الْحَدِيثَ.

لَسْتُ بِخَيْرِكُمْ!

إِنَّ فِيمَا جَرَى مَعَ سَيِّدِنَا مُوسَى - وَهُوَ رَسُولٌ مِنْ أُولِي الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ - لَدَرْسًا وَعِبْرَةً لِكُلِّ خَطِيبٍ يعلو منبراً، أو يتقدّم أو يُقدّم للكلام في محفلٍ ما من المحافل.

فاعتلاؤه للمنبر فوق الناس، أو تقدّمه في المحافل أمام الناس، لا يعني - بالضرورة - أنه أعلم الحاضرين، وأفقههم، وأفضلهم ...

أَنْ يُقَدِّمَ أَحْسَنَ مَا عِنْدَهُ قاصداً وجه الله، وألا يشمخ بأنفه، وألا يغترّ، وألا يزهو، وأن يعلم أنه قد يكون بين الحاضرين من هو أعلم منه، أو أفقه أو أفضل، وعليه أن يتقبّل النصيحة بصدقٍ رحبٍ، وأن يشكر الناصح، ويعمل بما نُصِحَ.

أخبرني أحد الأصدقاء قال: قُدِّمْتُ لألقي كلمةً في عزاءٍ فتحدّثتُ ورأيتُ إعجابَ النَّاسِ بي وبكلمتي، ورَهتُ نفسي، ولمَّا هَمَمْتُ بالانصرافِ دنا مِنِّي أحدُهُم ونبّهني إلى خطأ بدر مِنِّي، ولمَّا سألتُه - يقولُ صديقي - عن اسمه أخبرني عن اسمه وأنه يحملُ شهادةَ الدكتوراه في الشريعة ... قال صديقي: فأصبتُ بالحرَج.

ومما حدّثَ معي أنّي خطبتُ ذاتَ مرّةٍ فسُقْتُ حادثَةً تاريخيّةً حضرَني من غير أن أكونَ قد حضرَتها من قبل، ولمَّا أن انتهيتُ من الخطبةِ والصلاةِ، إذا برجلٍ وقورٍ يدنو مِنِّي بثقةٍ ويصوّبُ لي الخطأَ الَّذي وقعتُ فيه، وأنا أسوقُ تلكَ الحادثَةَ التاريخيّةَ، وعرفّني بنفسه أنه مُدرِّسٌ لمادةِ التاريخِ وصدقَ اللهُ

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٧]



يقولُ العلامَةُ القرطبيُّ (٤٩٢/٢) ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ فوقه أرفعُ درجةً منه في علمه، وفوقَ العُلَماءِ كُلِّهم عليمٌ هم دونَه في العلمِ وهو اللهُ عزَّ وجلَّ.

٨-النِّسَاءُ وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ

في ذاك العصرِ المُباركِ:

- روى التِّرْمِذِيُّ في بابِ ما جاءَ في بيعةِ النِّسَاءِ عن أُمَيَّةَ بنتِ رُقَيْقَةَ

(١٥٩٧) أَنَّهَا قَالَتْ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نِسْوَةٍ فَقَالَ لَنَا: " فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ ... الْحَدِيثُ

- روى البُخَارِيُّ في كتابِ العيدِ عن حفصةَ (١٦٥٢) أَنَّهَا قَالَتْ:

كُنَّا نَمْنَعُ عَوَاتِقَنَا أَنْ يَخْرُجْنَ، فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ فَنَزَلَتْ قِصْرَ بَنِي خَلْفٍ فَحَدَّثَتْ أَنَّ أُخْتَهَا كَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً، وَكَانَتْ أُخْتِي مَعَهُ فِي سِتِّ غَزَوَاتٍ قَالَتْ: كُنَّا نُدَاوِي الكَلْمَى (الجَرْحَى)، وَنَقُومُ عَلَى المَرَضَى ... الْحَدِيثُ.

- روى التِّرْمِذِيُّ في بابِ خُرُوجِ النِّسَاءِ إِلَى المَسَاجِدِ عن ابنِ عُمَرَ (٥٧٠) أَنَّهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " ائْذِنُوا لِلنِّسَاءِ بِاللَّيْلِ إِلَى المَسَاجِدِ ... الْحَدِيثُ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



روى النَّسَائِيُّ عن ابنِ عُمَرَ (٧٠٦) أَنَّهُ قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِذَا اسْتَأْذَنْتِ امْرَأَةٌ أَحَدَكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَمْنَعُهَا "



• روى أبو داودَ في كتابِ الصَّلَاةِ عن جَابِرٍ (١١٤١) أَنَّهُ قَالَ:

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ يَوْمَ الْفِطْرِ فَصَلَّى، فَبَدَأَ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ فَلَمَّا فَرَغَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ فَأَتَى النِّسَاءَ فَذَكَرَهُنَّ ... الْحَدِيثُ.

هكذا كانتِ النِّسَاءُ في ذاكِ الزَّمَنِ الْمُبَارِكِ، هاجرنَ كما هاجرَ الرِّجَالُ، وباعنَ كما بايعَ الرِّجَالُ، وجاهدنَ كما جاهدَ الرِّجَالُ - وإن لم تكن تُشاركُ في القتالِ - وشاركنَ في الجَماعاتِ والجُمُوعِ والأعيادِ ...

في هذا الزَّمنِ المُرتبِكِ:



وأما في زَمَانِنَا هذا فقد حَرَجَتِ الْمَرَأَةُ من بَيْتِهَا، طَالِبَةً إلى مَدْرَسَتِهَا وجامِعَتِهَا، ومُوظَّفَةً إلى وظيفَتِهَا، وزاحمتِ الرِّجَالَ وزَحَمَتُهُمْ في المَدارسِ والمَعاملِ والدَّوائرِ الحُكوميَّةِ والمَلابِغِ الرِّياضيَّةِ، والأسواقِ والمَتاجرِ وشاشاتِ التِّلْفازِ والإعلامِ ...

لقد امتلأَ بِالْمَرَأَةِ كُلُّ مَكَانٍ إِلَّا الْمَسْجِدَ فهوَ اليومَ خالٍ مِنْهَا مُتَحَسِّرٌ عَلَيْهَا فَلَا تُشَارِكُ الْمَرَأَةُ اليومَ في جَماعَةٍ ولا جُمُوعَةٍ ولا صَلَاةِ عِيدٍ ... إِلَّا ما نَدُرُ!

عقول متخلفة:

كنتُ أخطبُ في أحدِ المساجدِ وكانت سَقِيفَةُ ذاكِ المسجدِ مُغلقةً لِعدمِ الحَاجةِ إليها فَاغْتَنَمْتُ هذهَ الفُرصةَ وأفردتُ خُطبةً عن المَرأةِ ومُشاركتِها في الحَياةِ الاجتِماعِيَّةِ، وبَيَّنْتُ أَنَّ المَساجِدَ في الإسلامِ ليستُ حِكراً على الرِّجالِ بل هي لمجموعِ أفرادِ المُجتمَعِ رجالِهم ونِسائِهم، كبارِهم وصغارِهم، عُلَمائِهم وعامِّيهم...

واقترحتُ أن تُفْتَحَ السَّقِيفَةُ للنِّساءِ كيما تَحضُرَ مَعَنَا وتُشارِكَنَا وتَسْتَمَعَ وتَتعلَّمُ وتُعَلِّمُ، والمَرأةُ أنْفَعُ لأولادِها مِنَ الرِّجُلِ إذا ما تَعَلَّمتُ ... وسُرْعانَ ما انطوى الأُسبوعُ وجاءَ آخِرُ فحَضَرْتُ فإذا السَّقِيفَةُ قد فَتَحَتْ أبوابَها وإذا فيها الأَطْفالُ والشَّبَابُ والرِّجالُ ولا وُجودَ للنِّساءِ أبداً ولَمَّا اسنَفَسَرْتُ عن ذلكِ قِيلَ لي: إِنَّ أَهْلَ البَلَدَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - لم يَجِدُوا حَاجةً في افْتِتاحِ هذا القِسمِ مِنَ المَسجِدِ للنِّساءِ!

مُفارقة!



ومن المُفارقاتِ أَنَّ أَهْلَ تِلْكَ البَلَدَةِ ما زالوا حتَّى ذاكِ الحينِ يُقيمونَ أعراسَهم مُختلطةً يُشارِكُ فيها الرِّجالُ والنِّساءُ ويرفُصونَ مَعاً والمَرأةُ بأحلى مَلابِسِها وكاملِ زِينَتِها فقلتُ لهم مُعَاتِباً:

أَحلالُ مُشاركةِ النِّساءِ في الدَّبكاتِ، وحَرامٌ عليهم الجُمعُ والجماعاتُ؟؟

٩- الجُمهورُ بينَ التَّريغِيبِ والتَّرهيبِ

إِنَّ الْأَبْرَارَ ... إِنَّ الْفَجَّارَ:



مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ وَجَدَ فِيهِ ظَاهِرَةً لَا تُخْطِئُهَا الْعَيْنُ - وَمَا أَجْمَلُهَا مِنْ ظَاهِرَةٍ -
وَهَذِهِ الظَّاهِرَةُ هِيَ الْمُزَاوَجَةُ بَيْنَ التَّرْغِيبِ
والتَّرهيبِ فلا يَذْكَرُ الْجَنَّةَ إِلَّا وَيَذْكَرُ بَعْدَهَا
النَّارَ، وَلَا يَذْكَرُ النَّعِيمَ إِلَّا وَيَذْكَرُ بَعْدَهُ الْجَحِيمَ
، وَلَا يَذْكَرُ أَهْلَ الْإِيمَانِ إِلَّا وَأَتْبَعَهُمُ بِالْحَدِيثِ
عَنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ ...



قال العلامة ابن كثير (٢٠٣/١) تعليقا على قوله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا
قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ
فِيهَا أزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥]

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا أَعَدَّه لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ الْكَافِرِينَ بِهِ وَبُرْسُلِهِ مِنَ
العَذَابِ وَالنَّكَالِ، عَطَفَ بِذِكْرِ حَالِ أَوْلِيَائِهِ مِنَ السُّعْدَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبُرْسُلِهِ،
الَّذِينَ صَدَّقُوا إِيمَانَهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ، وَهَذَا مَعْنَى تَسْمِيَةِ الْقُرْآنِ " مِثَانِي "
" عَلَى أَصْحَاقِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ اهـ

هذا وقد اقتبسَ الرَّسولُ ﷺ من مَنهَجِ الْقُرْآنِ فَجَاءَتْ أَحَادِيثُهُ مُتْرَاوِحَةً
مَا بَيْنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرهيبِ.

اقتدوا يا أيها الخطباء!

فعلى الخطباء أن يُراعوا هذا الجانبَ تمامَ المُرَاعاةِ في خُطبِهِم بِشكْلِ عامٍ، بَلْ في الخُطبةِ الواحدةِ بِشكْلِ خاصٍ، و السِّرُّ وراءَ ذلكَ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُقَادُ إلى الطَّاعةِ وينتهي عن المَعصيةِ بالتَّخويفِ والتَّرْهيبِ الَّذِي يستطيعُ إطفاءَ نارِ الشَّهواتِ المُتَّقِدةِ في نفسِهِ، ومِثْلُ هذا ينجحُ معهُ التَّرْهيبُ.

ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُقَادُ إلى الطَّاعةِ وَيَكْفُ عن المَعصيةِ بالشَّوقِ الَّذِي يُشعلُهُ التَّرْغيبُ ومِثْلُ هذا يُفلحُ معهُ التَّرْغيبُ.

لا لِلونِ الواحدِ:



لبعضِ الخطباءِ وُلَعٌ في الاقتصارِ على أحاديثِ التَّرْهيبِ فتراهُ لا يتحدَّثُ إلا عن غَضَبِ اللهِ وسَخَطِهِ ونارِهِ وما أعدَّهُ في الجَحيمِ مِنَ الحياتِ والعقاربِ والحَمِيمِ ... حتَّى لِيُخَيِّلَ للمُستمِعينَ أَنَّ ناراً ستُخرُجُ من تحتِ المنبرِ لِتُحرقَ المُصلِّينَ أجمعينَ!



ولِبعضِهِم وُلَعٌ في الاقتصارِ على أحاديثِ التَّرْغيبِ فتراهُ لا يتحدَّثُ إلا عن رحمةِ اللهِ وجنَّتهِ وما فيها مِنَ الطَّعامِ والشَّرابِ والحُورِ العِينِ ... حتَّى لِيُخَيِّلَ للحاضرينَ أَنَّهُم - جَميعاً - سيَدْخُلونَها ما أنْ يَخرُجُوا من بابِ المَسجِدِ.

ولئنْ كانَ كلُّ من الخُطيبينَ مُصيباً فيما قاله، فإنَّه مُخطئٌ في الاقتصارِ على جانبٍ واحدٍ، فالطَّائرُ لا يَطيرُ إلا بِجناحَيْنِ، فلا يَنبغي أنْ نُقنِطَ النَّاسَ من رحمةِ اللهِ، كما لا يَنبغي أنْ نُطمِعَ النَّاسَ بِعَفْوِهِ، وخيرُ الأمورِ أوسطُها.

١٠- رسائلُ الجمهورِ

اقرأ جمهورك:

- روى البيهقي في سننه الكبرى عن عبد الله بن مسعود (٦٠٣) أنه قال:

حدّث القوم إذا أقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت عنك فلا تحدّثهم.

فقيل له: وما علامة ذلك؟

قال: إذا أهدقوا إليك أبصارهم فقد أقبلت عليك قلوبهم، فإذا اتكأ بعضهم على بعض فقد انصرفت عنك قلوبهم فلا تحدّثهم.



- وفي رواية ساقها البغوي (٣١٣/١) عن ابن مسعود أيضاً أنه قال: حدّث القوم ما حدجوك بأبصارهم، وأقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت عنك قلوبهم فلا تحدّثهم.

فقيل له: وما علامة ذلك؟

قال: إذا التفت بعضهم إلى بعض، ورأيتهم يتشاءمون، فلا تحدّثهم.

- روى الدارمي عن الحسن (٤٦٣) أنه كان يقول " حدّث القوم ما أقبلوا عليك بوجوههم، فإذا التفتوا، فاعلم أنّ لهم حاجاتٍ ".

وغير خطتك:



كنتُ أخطبُ ذاتَ يومٍ وكان الحرُّ شديداً فرأيتُ
الرؤوسَ قد تدلَّتْ على أذقانيها، والعيونَ تُقاومُ كراها، فما
كان ممي إلا أن اختصرتُ الخطبةَ جداً وكذلك الصلاةَ،

وبيئنا كنتُ مُصرفاً استوقفني أحدهم وقال: يا أستاذُ
كانَ في خطبتك اليومَ نقصاً، فأثنيْتُ عليه لانتباهه ونبهته على السببِ .

فعلى الخطيبِ أن يقرأَ جُمهورَه بنظره إليه، وترجمته لِحركاته ولُغةِ
جسده ثم عليه أن يتصرّفَ على هذا الأساس، ولكم يقتلني خطيبٌ يرى المَلَل
قد دبَّ في القومِ، ويرى رؤوسهم قد لامستْ صدورهم، وعيونهم قد أطبقتْ
أو كادتْ، وقد يكونُ بعضُ منهم خارجَ المسجدِ تجلده الشمسُ بسياطها، أو
تلفحه الرياحُ الباردةُ بهوائها، وتُسقطُ عليه الغيومُ من أمطارها، وقد يكونُ
هناك جنازةٌ في المسجدِ ثم يخطبُ ويخطبُ وكان شيئاً لم يكن، ما أنقلَ هؤلاءِ
وما أجدَر أن يُنفوا من على منايرنا، ويُنادي عليهم هؤلاءِ المنفرونَ
فاحذروهم!

نصيحةٌ رشيدةٌ من خليفة راشد:

• روى البيهقيُّ في سننه عن عُمر بن
الخطابِ (٦٠١) أنه قال:

" أيُّها النَّاسُ لا تُبغضوا الله إلى عباده "

قال قائلٌ: وكيف ذلك؟

قال: يجلسُ أحدُكم قاصاً (أو خطيباً) فيطولُ على النَّاسِ حتَّى يُبغضَ إليهم
ما هم فيه، ويقومُ أحدُكم إماماً فيطولُ على النَّاسِ حتَّى يُبغضَ إليهم ما هم
فيه "

نصيحةٌ ذهبيةٌ من أم المؤمنين عائشة:

• روى البيهقيُّ أنَّ عائشةَ قالتْ لعبيد بن عميرٍ وقد بلغها أنَّه يجلسُ
إليه " إياك وإملا ل النَّاسِ وتقنيطهم "

١١- بين الصّمت والرّضا

منبرٌ واحدٌ ومُتكلّمٌ واحدٌ:

روى البخاريُّ في صحيحه في كتاب الجمعة عن أبي هريرة (٩٣٤) أن رسولَ الله ﷺ قال: " إذا قُلتَ لصاحبك يومَ الجمعةِ أنصتْ والإمامُ يخطبُ فقد لغوتُ " .



قال ابن حجر (٤١٥/٢) واستدلَّ بهذا الحديثِ على منع جميع أنواع الكلام حال الخطبة و به قال الجمهورُ في حقِّ مَنْ سَمِعَهَا، وكذا الحكمُ في حقِّ مَنْ لا يسمَعُها عندَ الأكثرِ قالوا: وإذا أرادَ الأمرَ بالمعروفِ فليجعلهُ بالإشارة ...

الصّمتُ والمُوافقةُ!

إنَّ سُكوتَ الجمهورِ عندَ استماعِ خُطبةِ الجمعةِ أمرٌ يُملِيهِ الشَّرْعُ - كما أوردنا سابقاً - ولكنّه لا يعني - بالضرورة - أنَّ الجمهورَ مُوافقٌ على جميع ما يَقولُهُ الخَطيبُ - ولا سيّما في القضايا التي تَحتمِلُ تعدُّدَ وجهاتِ النَّظرِ.

وعلى الخَطيبِ أن يعيَ هذا جيِّداً على أن في تعابيرِ وجوه الحاضرين ما يُغني عن نطقهم لو نطقوا!



اسأل جُمهورَكَ:

يَحْسُنُ بِالْخَطِيبِ أَنْ يُقَرِّبَ مِنْهُ مَجْمُوعَةً مِنْ أَوْلِي الْفَهْمِ مِمَّنْ يُتَابِعُونَ خُطْبَتَهُ - وَلَا يَخْلُو مِنْهُمْ مَسْجِدٌ - ثُمَّ يَجْلِسُ مَعَهُمْ مُنْفَرِداً بِهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ رَأْيِهِمْ فِي خُطْبَتِهِ وَمَا فِيهَا مِنْ مَوَاطِنِ قُوَّةٍ، وَمِنْ مَوَاطِنِ ضَعْفٍ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُصَارِحُوهُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَقَبَّلَ اعْتِرَاضَهُمْ تَقَبُّلاً لِثَنَائِهِمْ، وَيُصَحِّحَ إِنْ كَانَ أَخْطَأَ

...

صندوقُ الملاحظات:

هذه الفكرة فكرةٌ جديدةٌ لم يعمل بها خطيبٌ بعدُ وقوامها أن يجعل الخطيبُ في مسجده صندوقاً توضع فيه الملاحظاتُ عليه وعلى خطبته ممن لا يحبُّ فكرةَ مواجهةِ الخطيبِ ومصارحته.



١٢- وأمرهم شورى بينهم

وشاورهم في الأمر:



يقول العلامة ابن كثير (٢١١/٧) تعليقا على قوله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ أي: لا يُبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بأرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كما قال تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يُشاورهم في الحروب ونحوها ليُطِيبَ بذلك قلوبهم، وهكذا لما حضرت عمر الوفاة حين طعن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر ...



ويقول صاحب الظلال (٣١٦٠/٥) وهنا - في هذه الآيات - يُصور القرآن خصائص هذه الجماعة التي تطبعها وتُميِّزها، ومع أن هذه الآيات مكية نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة فإننا نجد فيها من صفة هذه الجماعة المسلمة أن أمرهم "شورى بينهم" مما يُوجي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسياً للدولة، فهو طابع أساسي للجماعة كلها، يقوم عليها أمرها كجماعة، ثم يتسرّب من الجماعة إلى الدولة بوصفها إفراساً طبيعياً للجماعة.

مجلس شورى المسجد:

من المُستحسن أن يصطفي الخطيبُ ثلثةً من أهل المسجد من أهل الفهم والعلم ويجعلَ منهم مجلسَ شورى تكونُ من مهامِهِ اقتراحَ المواضيع التي يخطبُ بها الخطيبُ، ويُقدِّمها للناس، لأنَّ الخطيبَ في كثيرٍ من الأحيان لا يكونُ من أهل البلدة، وأهل البلدة أدرى بمشاكلها وآمالها وآلامها.

صندوق الاقتراحات:

وهذا صندوقٌ آخرُ من الصناديق التي أقتَرَحُ أن يضعها الخطيبُ في مسجده الذي يخطبُ فيه ويكونُ مُخصَّصاً لاقتراحاتِ أهل المسجد حولَ المواضيع والأفكار التي يرغَبون أن يتَّمَّ طرْحُها من خلالِ خطيبِهِم.



١٣- رَغْبَةُ الْجُمْهُورِ

وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ:

- روى أبو داودَ في بابِ الرَّجْلِ يَوْمَ الْقَوْمِ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو (٥٩٣) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ " ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَلَاةً، مَنْ تَقَدَّمَ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ... الْحَدِيثُ.
- روى التِّرْمِذِيُّ في باب: مَا جَاءَ فِيمَنْ أُمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (٣٥٨) أَنَّهُ قَالَ " لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةً: رَجُلٌ أُمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ... الْحَدِيثُ.

ارْحَلْ قَبْلَ أَنْ:

قد يحدثُ أن يفقدَ أهلُ المَسْجِدِ إعجابَهُمْ وَمَحَبَّتَهُمْ لِخَطِيبِ مَسْجِدِهِمْ بِحَقِّ أو بغيرِ حَقِّ وَيَطْلُبُوا مِنْهُ أَنْ يُغَادِرَهُمْ لِغَايَةٍ فِي أَنْفُسِهِمْ أو فِي نَفْسِ بَعْضِهِمْ. وَمِنْ خِلَالِ خِبْرَتِي فَأَتَيْتُ أَنْصَحُ لِلخَطِيبِ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِهَذَا الطَّلَبِ - وَلَوْ كَانَ غيرَ مُحَقِّقٍ - وَأَنْ يُغَادِرَ المَسْجِدَ، وَعَسَى اللهُ أَنْ يَخْلِفَهُ أَهْلَ مَسْجِدٍ خَيْرًا مِنْ هَؤُلَاءِ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَإِنَّهُمْ سَيَتَقَدَّمُونَ بِطَلَبِ إِقَالَتِهِ وَعَزَلَهُ إِلَى الأَوْقَافِ أو جِهَةِ أَمْنِيَّةٍ وَعِنْدَهَا سَيَتِمُّ تَلْبِيَةُ طَلِبِهِمْ - وَيَكَادُ يَكُونُ هَذَا الطَّلَبُ الوَحِيدُ الَّذِي يُوَافِقُ المَسْئُولُونَ عَلَيْهِ فَوْرًا - وَعِنْدَهَا سَيَتْرُكُ المَسْجِدَ مُهَانًا مَكْسُورَ الجَنَاحِ.

نُريدُ الخَطيْبَ السَّابِقَ:

خَطَبْتُ فِي أَحَدِ الْمَسَاجِدِ حِينَئِذٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَذَاتَ جُمُعَةٍ وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الصَّلَاةِ
جَاءَنِي أَحَدُهُمْ وَقَالَ لِي: جَزَاكَ اللهُ عَنَّا خَيْرًا، وَلَكِنِّي بِاسْمِي وَاسْمِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ
- هَكَذَا قَالَ - نُريدُ خَطيْبِنَا السَّابِقَ وَقَبْلَ أَنْ يُتِمَّ حَدِيثَهُ قُلْتُ لَهُ: كَمَا تَشَاءُ
وَتَرَكْتُ الْمَسْجِدَ إِلَى غَيْرِهِ.

لَقَدْ كَانَ بِإِمْكَانِي أَنْ أَتَجَاهَلَ كَلَامَهُ أَوْ عَلَى الْأَقْلِ أَتَحَقَّقَ مِنْهُ وَلَكِنِّي لَمْ
أُرْغَبْ بِهَذَا وَلَا بِذَلِكَ فَتَرَكْتُ الْمَسْجِدَ وَأَبْدَلَنِي اللهُ أَهْلَ مَسْجِدٍ خَيْرًا مِنْ أَهْلِ
ذَلِكَ الْمَسْجِدِ، وَكُلُّ مَسَاجِدِ اللهِ خَيْرٌ.

- ٥ -



علاقة السُّلْطَةِ بِالْمِنْبِرِ

سُلْطَةُ الْمِنْبِرِ
التَّسَلُّطُ عَلَى الْمِنْبِرِ

١- سُلْطَةُ الْمَنِيرِ

المَبْنَى الْأَوَّلُ:



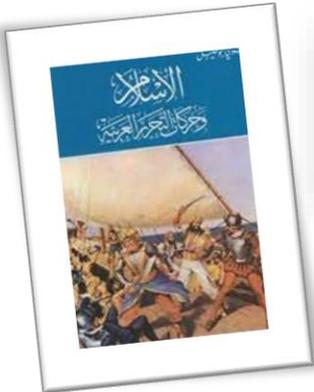
عِنْدَمَا هَاجَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ هُوَ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَبْنِيَ دَاراً لَهُ حَيْثُ ظَلَّ ضَيْفَاً عَلَى أَبِي أَيُّوبَ رَيْثَمَا تَمَّ بِنَاءُ الْمَسْجِدِ وَبَنَى مَنْزِلَهُ إِلَى جِوَارِهِ.



يَقُولُ مُحَمَّدٌ الْغَزَالِيُّ فِي فَحْهِ السَّيْرَةِ (١٨٨) إِنَّ مَكَانَةَ الْمَسْجِدِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ تَجْعَلُهُ مَصْدَرَ التَّوْجِيهِ الرُّوحِيِّ وَالْمَادِيِّ.

أَقُولُ: ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْخُطْبِ وَالدُّرُوسِ، وَقَدْ كَانَتْ كَلِمَاتٌ قَلِيلَةٌ مِنْ عَلَى الْمَنِيرِ كَافِيَةً لِيُؤَدِّ بِاطِلٍ أَطْلَ بِرَأْسِهِ، وَإِحْيَاءٍ حَقِّ أَحْيَاطٍ بِهِ، بَلْ وَلِعِزْلٍ مُتَسَلِّطٍ، وَلِتَحْرِيكِ الْجُيُوشِ ... فَأَيُّ سُلْطَةٍ بَعْدَ هَذِهِ السُّلْطَةِ؟

نَمُودَجٌ مُشْرِقٌ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ:

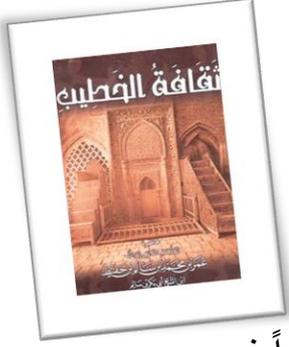


يُرْوِي شَوْقِي أَبُو خَلِيلٍ فِي كِتَابِهِ " الْإِسْلَامُ وَحَرَكَاتُ التَّحَرُّرِ الْعَرَبِيَّةِ " هَذِهِ الْحَادِثَةَ عَنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ الدَّقْرِ زَمَنَ الْاِحْتِلَالِ الْفَرَنْسِيِّ لِسُورِيَا يَقُولُ: وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْأَمْرُ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ أَنْهَى خُطْبَتَهُ بِجَامِعِ السَّنَانِيَّةِ يَقُولُهُ: " يَا إِخْوَانَنَا، اللَّصُّ دَاخِلَ الدَّارِ، وَهُوَ يَطْلُبُ مِنْكُمْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءٍ: دِينَكُمْ وَمَالَكُمْ وَعِرْضَكُمْ "

وَلَمَّا سَأَلَهُ أَحَدُ الْمُسْتَمْعِينَ وَمَنْ هُوَ هَذَا اللَّصُّ يَا شَيْخِي؟

أَجَابَ الشَّيْخُ عَلِيُّ الدَّقْرِ: إِنَّهُ فَرَنْسَا!

أعطوني منابرَكم شهراً:



يقول عماد الدين رشيد في كتابه "ثقافة الخطيب" ص / ١٨
" إنَّ الخُطباءَ هم القادرونَ على تجييش الأمة، وهم القادرونَ على
أن يبيئوا في الأمة أنماطاً من السلوكِ تحتاجُ تجديداً يوافقُ الشريعةَ

...

إنَّ الخُطباءَ هم أقدَرُ النَّاسِ على ذلكَ لأنَّ النَّاسَ يُحشرونَ لهم حشراً في
خُطبةِ الجمعةِ وفي العيدِ وفي المناسباتِ الشرعيَّةِ والاجتماعيَّةِ.

إنَّ هذا الفضاءَ الواسعَ الَّذي يشغله الخُطباءُ يُشكِّلُ حالةً من أهمِّ حالاتِ التَّغييرِ
في المُجتمعِ.

إنَّ هذا الفضاءَ الواسعَ يجعلُ من الخُطيبِ إعلامياً بامتيازٍ، بل يجعلُ منه
إعلامياً من الدَّرجةِ الأولى وحتى ندركَ ذلكَ ينبغي أن نعرفَ كيفَ يُغيَّرُ
الإعلامُ في سلوكِ البشرِ.



يقولُ الرئيْسُ الفرنسيُّ ديغولُ " أعطني هذه الشَّاشةَ
أغيِّرُ لك الشَّعبَ الفرنسيَّ " .

إذاً: مجردُ ملكِكِ وسيلةً من وسائلِ الإعلامِ
تستطيعُ أن تُغيِّرَ الجُمهورَ، ونحنُ نملكُ وسيلةً من
أهمِّ وسائلِ الإعلامِ، وسيلةً مقدَّسةً يُقبلُ النَّاسُ عليها
بجاهزيَّةٍ وتَهَيُّؤٍ كاملين، إنَّها المنبرُ يُقبلُ النَّاسُ عليها
بايمانٍ، يُقبلُ النَّاسُ عليها باستعدادٍ مُطلقٍ للتلقِّيِ.

إنَّنا نملكُ منبراً عظيماً للإعلامِ، ولهذا السَّببِ قالَ أحدُ زُعماءِ الأحزابِ
الشُّيوعيَّةِ في بلادنا أتمنَّى لو أُعطِيَ منابرَ الجمعةِ شهراً.

كانَ يتمنَّى أن يأخذَها شهراً، لأنَّه يُدركُ كمَ تُؤثِّرُ في سلوكِ النَّاسِ.

أقولُ: والخطباءُ يعتلونَ منها منذ سنين فما الذي غيَّروه في هذا المُجتمعِ؟

٢- التَّسَلُّطُ عَلَى الْمَنْبَرِ

بِدْعَةُ مَرَوَانَ:

• روى البُخَارِيُّ في صَحِيحِهِ في كِتَابِ الْجُمُعَةِ عن أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ (٩٥٦) أَنَّهُ قَالَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلَاةَ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُومُ مُقَابِلَ النَّاسِ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى صُفُوفِهِمْ فَيُعِظُهُمْ وَيُوصِيهِمْ...

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: " فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَرَجْتُ مَعَ مَرَوَانَ - وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ - فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ، فَلَمَّا أَتَيْنَا الْمُصَلَّى إِذَا مَنْبَرٌ بِنَاهُ كَثِيرُ بَنِ الصَّلْتِ، فَإِذَا مَرَوَانُ يَرِيدُ أَنْ يَرْتَقِيهِ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَجَذَبْتُ بِثَوْبِهِ، فَجَبَدَنِي فَارْتَفَعَ فَخَطَبَ قَبْلَ الصَّلَاةِ.

فَقُلْتُ لَهُ: غَيْرْتُمْ وَاللَّهِ.

فَقَالَ يَا أَبَا سَعِيدٍ: قَدْ ذَهَبَ مَا تَعْلَمُ

فَقُلْتُ: مَا أَعْلَمُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا لَا أَعْلَمُ

فَقَالَ: إِنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَجْلِسُونَ لَنَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَجَعَلْتُهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ.

خُطْبَةُ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ وَالِي الْبَصْرَةِ:

يروى الجَاحِظُ في كِتَابِهِ " الْبَيَان " ١٧ / ٢٤٤ خُطْبَةَ لَزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ أَيَّامَ كَانَ وَالِيًّا لِمُعَاوِيَةَ عَلَى الْبَصْرَةِ وَمِمَّا جَاءَ فِيهَا " أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّا أَصَبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً، وَعَنْكُمْ زَادَةً، نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا، وَنَذُودٌ عَنْكُمْ بِفِيءِ اللَّهِ الَّذِي خَوَّلَنَا، فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَبْنَا، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وُلَّيْنَا، فَاسْتَوْجِبُوا عَدْلَنَا وَفِيئَنَا بِمُنَاصَحَتِكُمْ لَنَا ... وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفَذْتُ فِيكُمْ الْأَمْرَ فَاَنْفُذُوهُ عَلَى إِذْلَالِهِ، وَإِيْمِ اللَّهِ، إِنَّ لِي فِيكُمْ لَصَرْعَى كَثِيرَةً، فَلْيَحْذَرْ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرَعايِ ...



مِن خُطْبِ الْحَجَّاجِ فِي خِدْمَةِ السُّلْطَةِ:

• روى أبو داودَ في سُنَنِهِ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ عَنِ عَاصِمِ (٤٦٤٣) أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: " اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا لَيْسَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ، وَاللَّهِ لَوْ أَمَرْتُ النَّاسَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَخَرَجُوا مِنْ بَابٍ آخَرَ لَحَلَّتْ لِي دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، وَاللَّهِ لَوْ أَخَذْتُ رِبِيعَةَ بِمَضْرَ لَكَانَ ذَلِكَ لِي مِنَ اللَّهِ حَلَالًا ...

• روى أبو داودَ فِي سُنَنِهِ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خَالِدِ الضَّبِّيِّ (٤٦٤٢) أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَجَّاجَ يَخْطُبُ فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ " رَسُولُ أَحَدِكُمْ فِي حَاجَتِهِ أَكْرَمُ عَلَيْهِ أَمْ خَلِيفَتُهُ فِي أَهْلِهِ؟ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لِلَّهِ عَلَيَّ الْأَصْلِيُّ خَلْفَكَ صَلَاةً أَبَدًا ...

انحراف:

إنَّ فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ الَّتِي سَقَّتْهَا وَغَيْرَهَا كَثِيرٌ جِدًّا مَا يُعَدُّ انْحِرَافًا لَخَطِّ الْمِنْبَرِ الْأَصْلِيِّ وَنَرَى هُنَا تَسَلُّطًا عَلَى الْمِنْبَرِ وَاسْتِغْلَالًا لَهُ لِفَرْضِ سِيَاسِيَّاتٍ مُعَيَّنَةٍ.

فهرس الموضوعات

١٦	مُقدِّمةُ هذا الكِتَابِ
٢٢	التَّقْدِيم
٢٣	الخطابة
٢٤	١- الخطابة
٢٤	تعريفُها – أركانها
٢٤	ما هي الخطابة؟
٢٥	أركانُ الخطابة
٢٥	الرُّكنُ الأوَّلُ من أركانِ العمليَّةِ الخطابيَّةِ (الخطيبُ)
٢٥	١- الخطيبُ عندَ أهلِ اللُّغةِ:
٢٦	٢- الخطيبُ اصطِلاحاً:
٢٦	الرُّكنُ الثَّاني من أركانِ العمليَّةِ الخطابيَّةِ (الخطبة):
٢٦	١- الخطبةُ عندَ أهلِ اللُّغةِ:
٢٧	٢- الخطبةُ اصطِلاحاً:
٢٨	الرُّكنُ الثَّالثُ من أركانِ العمليَّةِ الخطابيَّةِ (الجمهُور):
٢٨	١- الجمهُورُ عندَ أهلِ اللُّغةِ
٢٨	٢- الجمهُورُ اصطِلاحاً:
٢٩	٢- الخطابةُ والفنونُ الدَّعويَّةُ الأخرى
٣١	الفنونُ الدَّعويَّةُ الأخرى:
٣١	التَّدريسُ من الفنونِ الدَّعويَّةِ:
٣٢	الوعظُ والإرشادُ منَ الفنونِ الدَّعويَّةِ:
٣٣	التأليفُ والتَّحقيقُ منَ الفنونِ الدَّعويَّةِ:
٣٤	الدَّعوةُ إلى اللهِ بالحال:

٣٧ الخَطِيبُ
٣٩ ١- مَنْ هُوَ الخَطِيبُ؟
٤٣ ٢- فِتْيَانُ المَنَابِرِ
٤٥ ٣- المُعَمَّرُونَ
٤٧ ٤- مِيرَاثُ المَنَابِرِ
٥١ ٥- الخَطِيبُ وَالقُرْآنُ العَظِيمُ
٥١ القرآنُ وَمِنْبَرُ الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
٥٢ القرآنُ وَثقَافَةُ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ:
٥٢ زَادَ الخَطِيبِ مِنَ القُرْآنِ العَظِيمِ:
٥٤ ٢- الاستِثْنَاءُ مِنَ مَحْفُوظَاتِهِمْ مِنْهُ - مع إِتْقَانِ ذَاكَ المَحْفُوظِ -
٥٥ قُرْآنُ المَنَابِرِ وَالمَحَافِلِ:
٥٧ تَحْرِيفُ عَلَى المَنَابِرِ وَالمَحَافِلِ:
٦٢ مَوْقِفُ مُسْتَعْرَبٍ مِنَ بَعْضِ الخُطَبَاءِ!
٦٥ القُرْآنُ عَلَى مَنَابِرِنَا اليَوْمَ!
٦٦ ٦- الخَطِيبُ وَأَحَادِيثُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
٦٧ زَادَ الخَطِيبِ مِنَ أَحَادِيثِ الحَبِيبِ ﷺ:
٧٣ نَمَازِجُ مُحْرَنَةٍ!
٧٦ • الأَحَادِيثُ المَوْضُوعَةُ تُغْرُو مَنَابِرِنَا وَ مَحَافِلِنَا!
٧٧ • وَاجِبُ الخَطِيبِ
٨٢ ٧- الخَطِيبُ وَالسِّيَرَةُ النَبَوِيَّةُ
٨٥ ٨- الخَطِيبُ وَالتَّارِيخُ
٨٥ الأَحْدَاثُ وَالشَّخْصِيَّاتُ
٩٨ ٩- الخَطِيبُ وَالقِصَصُ القُرْآنِي وَالنَّبَوِي
٩٨ الأَحْدَاثُ وَالشَّخْصِيَّاتُ
٩٨ ١- القِصَصُ القُرْآنِي:
١٠٤ ٢- القِصَصُ النَّبَوِي:

- ١٠٧ ١٠-الخطيبُ والحكايا
- ١١٠ ١١-الخطيبُ والصحابةُ رضيَ اللهُ عنهم
- ١١٥ ١٢-الخطيبُ والفقهُ
- ١٢١ ١٣-الخطيبُ والعربيةُ
- ١٢١ نحوها وصرفها
- ١٢١ سوطُ عمرَ بن الخطّابِ:
- ١٢٢ تشدّدٌ ولكن في محلّه:
- ١٢٢ فنُّ النّحو:
- ١٢٤ فنُّ الصّرف:
- ١٢٤ جولةٌ مع المصايرِ والمراجع:
- ١٢٥ تجربةٌ لو تتكرّر:
- ١٢٦ ١٤-الخطيبُ والبلاغةُ
- ١٢٦ بلاغةُ الخطيبِ والأقوالُ البليغةُ
- ١٢٧ فنُّ البلاغة:
- ١٢٨ الأقوالُ البليغة:
- ١٢٨ منابغُ الأدب:
- ١٢٩ أمُّ ثوصي ابنتها العروس:
- ١٣٠ ١٥-الخطيبُ والشعر
- ١٣٠ ما هو الشّعْرُ؟
- ١٣١ إيضاحٌ لا دفاع:
- ١٣٢ زادُ الخطيبِ من الشّعْر:
- ١٣٢ منبري والشّعْر:
- ١٣٣ السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكُتب:
- ١٣٤ الشّعْرُ المعاصر:
- ١٣٤ نزار و نكسةُ ١٩٦٧:
- ١٣٧ أحمد شوقي يرثي الخلافة عام ١٩٢٤:

- ١٣٨ عبد الرحيم محمود واستشراف ضياع الأقصى:
- ١٣٩ أحمد مطر و اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل:
- ١٤٠ نزار قباني و اتفاقية أوسلو بين السلطة وإسرائيل ١٩٩٣:
- ١٤١ أبو ريشة يُناجي الأمة:
- ١٤٢ ١٦- الخُطيبُ والعُلومُ المُعاصرة
- ١٤٤ ١٧- علمانيون ولكن لا يشعرون
- ١٤٥ العلمانيّة:
- ١٤٦ حقيقة العلمانيّة (اللادينيّة):
- ١٤٧ ولكن لا يشعرون:
- ١٥١ ١٨- الخُطيبُ بين الوَسامةِ و الأناقة
- ١٥١ الوَسامةُ و الأناقة:
- ١٥٢ لا غنى عن الأناقة لكلِّ خُطيب:
- ١٥٢ سحرُ المَلابسِ وسرُّها:
- ١٥٤ حَذارِ مِنَ السُّمنةِ و البِدانةِ!
- ١٥٦ ١٩- هو أفصحُ مني لساناً
- ١٥٦ موسى عليه السّلام:
- ١٥٦ ما هي الفصاحة؟
- ١٥٧ العيوبُ النُّطقيّةُ وأثرها على فصاحةِ الخُطيب:
- ١٦١ موقفُ الخُطيبِ تجاهَ أزمةِ العيوبِ النُّطقيّة:
- ١٦٢ العيوبُ النُّطقيّةُ عندَ كبارِ السِّنِّ لا دواءَ لها:
- ١٦٥ ٢٠- إنّما الأعمالُ بالنيّات
- ١٦٧ الدَّفْعُ و التَّدافُع:
- ١٦٨ ٢١- الثِّقةُ بالنَّفْسِ
- ١٦٨ الإخلاصُ و الثِّقةُ جَناحا الخُطيب:
- ١٦٨ صِناعةُ الثِّقة!
- ١٦٨ وَصْفَةُ سِحريّةُ لصناعةِ الثِّقة:

- ١٦٩ تَصَرَّفَ بِثِقَةٍ:
- ١٧٠ تَجْرِبَةٌ قَائِدِ جَيْشِ بَرِيطَانِيَّ:
- ١٧٠ اعْتِرَافَاتٌ لِخُطَبَاءِ عُظَمَاءٍ:
- ١٧٣ ٢٢- العِزَّةُ بِالْإِثْمِ
- ١٧٣ عُمُرُ وَالْمَرْأَةِ:
- ١٧٣ مُرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ:
- ١٧٥ ٢٣- بَيْنَ خَوْفَيْنِ
- ١٧٥ الخَوْفُ مِنَ اللَّهِ وَالخَوْفُ مِنَ السُّلْطَانِ
- ١٧٩ ٢٤- الرَّأْيُ وَالرَّأْيُ الْآخَرُ
- ١٧٩ الخِلَافُ وَالْاِخْتِلَافُ
- ١٧٩ الاِخْتِلَافُ:
- ١٨٠ الخِلَافُ:
- ١٨١ مَسْأَلُكَ مُرِيبٌ:
- ١٨٢ ٢٥- سُرْعَةُ الْبَدِيهَةِ وَإِنْقَادُ الْمَوْقِفِ
- ١٨٢ إِنَّهُ أَبُو الْحَسَنِ!
- ١٨٢ قِصَّةٌ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ:
- ١٨٣ مَوَاقِفٌ مَعِي:
- ١٨٣ رَجُلٌ يُقَاطِعُ الْخَطِيبَ:
- ١٨٣ رَجُلٌ يَهْتَفُ وَيُكَبِّرُ!
- ١٨٤ نَصِيحَةٌ غَيْرُ شِكْلِ!
- ١٨٤ الخُطْبَةُ لِمَنْ سَبَقَ:
- ١٨٥ ٢٦- الْحِيرَةُ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ
- ١٨٥ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟
- ١٨٦ خَطِيبٌ فِي النَّارِ!
- ١٨٦ وَصْفَةٌ مُجَرَّبَةٌ:
- ١٨٧ النَّاسُ وَالْخَطِيبُ:

١٨٩ الخُطْبَةُ
١٩٢ ما هي الخُطْبَةُ؟
٢٠٠ ٢- ما تُريدُ أن تقولَ
٢٠٠ من نَصَائِحِ خَطِيبٍ مُجَرَّبٍ:
٢٠١ أخطاءٌ وَعَثْرَاتٌ:
٢٠٢ ٣- تَحْضِيرُ الْمَوْضُوعِ
٢٠٢ احذِرْ هذا الْمَسْلَكَ:
٢٠٢ ما قبلَ التَّحْضِيرِ!
٢٠٣ التَّحْضِيرُ الصَّحِيحُ:
٢٠٤ لِماذا كُلُّ هذا الجُهدِ:
٢٠٩-المُقَدِّمَةُ
٢١٠ نَمَازِجُ رَائِعَةٌ :
٢١٠ مُقَدِّمَةُ خُطْبَةٍ عَنِ الذِّكْرِ:
٢١٠ مُقَدِّمَةُ خُطْبَةٍ عَنِ الزَّوْاجِ:
٢١١ مُقَدِّمَةُ خُطْبَةٍ عَنِ الْمَوْتِ:
٢١٢ ٥- أَمَّا بَعْدُ
٢١٢ أَمَّا بَعْدُ:
٢١٢ حُكْمُهَا:
٢١٢ من تلكَ الأحاديثِ:
٢١٣ ٦- كيفَ تَفْتَتِحُ خُطْبَتَكَ أو كَلِمَتَكَ؟؟؟
٢١٣ من ثقافتِ الشَّرْقِ:
٢١٣ من ثقافتِ الغَرْبِ:
٢١٣ التَّقَاءُ التَّقَاتِ:
٢١٤ صفاتُ الافتتاحيَّةِ النَّاجِحَةِ:
٢١٩ ٧- قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ
٢٢٤ ٨- كيفَ تَخْتَتِمُ خُطْبَتَكَ؟

٢٢٤	الجُزءُ الأصعبُ:
٢٢٥	كيفَ أختتمُ خطابي؟
٢٢٦	الخاتمةُ المرحَّةُ:
٢٢٦	الاختتامُ بمقتطفاتٍ شعريَّةٍ:
٢٢٦	• احذر من هذين:
٢٢٨	٩-الدُّعاءُ
٢٢٨	موقِعُ الدُّعاءِ في خُطبةِ الجُمعةِ والعيديْن:
٢٢٩	الدُّعاءُ للسُّلطان:
٢٣٠	الدُّعاءُ الرَّاقِي المُرْتَقِي:
٢٣٢	١٠-البَدائِلُ
٢٣٢	عيدٌ بعيدٌ:
٢٣٣	نماذجٌ ممَّا خطبتُ:
٢٣٣	الرِّنا والزَّواج:
٢٣٤	الرِّبا والمُضاربةُ:
٢٣٥	١١-الماضي والحاضرُ والمستقبلُ
٢٣٥	أسرى المَاضِي:
٢٣٥	المُتفائلون:
٢٣٦	خيرُ الأمورِ أوسطُها:
٢٣٧	١٢-الخُطباءُ والأطبَّاءُ
٢٣٧	حِفْظُ الحياةِ أوَّلاً:
٢٣٧	أنتمُ أطبَّاءُ الأمَّةِ:
٢٣٨	على أرضِ الواقعِ:
٢٤٠	١٣-الوحدةُ والفرقةُ
٢٤٢	١٤-بينَ التَّوعيةِ والتَّزكِيَّةِ
٢٤٢	التَّوعيةُ:
٢٤٢	التَّزكِيَّةُ

- ٢٤٣ إلقاء الخطبة
- ٢٤٥ ١- ما هو الإلقاء؟
- ٢٤٦ ٢- قالوا عن الإلقاء.
- ٢٤٧ ٣- وصعد على الصفا
- ٢٤٩ ٤- الخطباء الورقيون
- ٢٥٢ ٥- تقوية الذاكرة
- ٢٥٢ وصفة مُجربة لتقوية الذاكرة:
- ٢٥٥ كيف نتذكر التواريخ:
- ٢٥٦ ٦- كأنه منذر جيش
- ٢٥٨ ٧- كُن واضحاً
- ٢٦٣ ٨- كُن مؤثراً
- ٢٦٣ المهزَمون لا يُؤثرون:
- ٢٦٤ لا تُقلد غيرك:
- ٢٦٤ لا تتكلف:
- ٢٦٥ ممَّا يُساعدُ على التلقائية:
- ٢٦٦ شدّد على الكلمات المهمّة:
- ٢٦٧ توقّف قبل وبعد الأفكار المهمّة:
- ٢٦٨ ٩- العبارة والإشارة
- ٢٦٨ ما هي لغة الجسد؟
- ٢٧١ لغة العيون:
- ٢٧٢ ١٠- المرونة
- ٢٧٢ مفاتيح النجاح العشرة:
- ٢٧٢ المرونة:
- ٢٧٣ العوارض والطوارئ:
- ٢٧٥ ١١- إثارة على المنابر!
- ٢٧٥ يوسف وامرأة العزيز:

- القضايا الجنسية والمنبر: ٢٧٦
- ١٢- الاستخفاف بالخطبة هدرٌ لأوقات الأمة ٢٧٧
- شابٌ وقحٌ ولكن! ٢٧٧
- هدرٌ أوقات الأمة: ٢٧٨
- الجمهور ٢٨٠
- ١- هذا جلٌ ما يريدون! ٢٨٢
- احذروا من التطويل: ٢٨٣
- ٢- كيف تُثيرُ اهتمامَ جمهورك؟ ٢٨٥
- التعليقُ على الأحداثِ المحليَّةِ والعالميَّةِ: ٢٨٥
- أخبرهم بشيءٍ جديدٍ عن القديم: ٢٨٦
- حدِّثهم عن أنفسهم: ٢٨٦
- المواضيعُ المثيرةُ: ٢٨٨
- ٣- كَلِّمَ جَاءَ الخَطِيبُ ٢٨٩
- لا تتخدعْ ياأيُّها الخطيبُ! ٢٨٩
- ٤- أدواقُ النَّاسِ ٢٩١
- وللنَّاسِ فيما يَعشَقونَ مَذاهَبُ: ٢٩١
- ٥- أعمارُ النَّاسِ ٢٩٤
- قصةٌ فيها عِبْرَةٌ: ٢٩٤
- ٦- أفهامُ النَّاسِ ٢٩٦
- الكراماتُ والمُتشابهاتُ! ٢٩٧
- هل أنا ضدُّ المرأة؟ ٢٩٩
- مناقشةٌ مع الذاتِ قَبْلَ الخُطبةِ: ٣٠٠
- ٧- رَبِّ مستمعٍ أعلمُ من خطيبٍ ٣٠١
- اللهُ يُعاتبُ كليمةَ موسى: ٣٠١
- ٨- النَّساءُ وصلاةُ الجُمعةِ ٣٠٣
- في هذا الزَّمنِ المُرتبكِ: ٣٠٤

٣٠٥ عقول متخلفة:
٣٠٦ ٩-الجمهورُ بينَ التَّغْيِبِ والتَّهْيِيبِ
٣٠٦ إِنَّ الْأَبْرَارَ ... إِنَّ الْفُجَّارَ:
٣٠٧ لَا لِلَّوْنِ الْوَاحِدِ:
٣٠٨ ١٠-رسائلُ الجمهورِ
٣٠٨ إقرأ جُمهورَكَ:
٣٠٩ وَغَيْرَ خُطَّتَاكَ:
٣١٠ ١١-بينَ الصَّمْتِ والرِّضَا
٣١٢ ١٢-وأمرُهم شُورَى بينهم
٣١٢ وشاورهم في الأمر:
٣١٣ مجلسُ شُورَى المَسْجِدِ:
٣١٤ ١٣-رَغْبَةُ الجمهورِ
٣١٧ علاقةُ السُّلْطَةِ بالمِنْبِرِ
٣١٩ ١-سُلْطَةُ المِنْبِرِ
٣٢١ ٢-التَّسَلُّطُ على المِنْبِرِ